طه حسين روائيا

خالد عبد العزيز الكركي

المشرف

الاستاذ الدكتور محمود السمرة

استاذ النقد والبلاغة

نائب رئيس الجامعة الأردنية للشؤون الأكاديمية

تاريخ المناقشة

١/١/١٩٧٧

(قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وادابها بكلية الاداب بالجامعة الاردنية)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويـــــــات

	الصفحة
كلمـــة	..... ب
مقدمـة : البحث : أهدافه ، منهجه ، مصادره	١ - ٥
الفصل الأول :	٦ - ٣٢
١ . طه حسين انسانا .	٧ - ٢٤
٢ . طه حسين مؤلفا .	٢٥ - ٣٢
الفصل الثاني : الرواية العربية قبل طه حسين (نظرة تاريخية فنية) :	٣٣ - ٤٩
١ . فجر الرواية العربية (بين الأصالة والاقتباس) .	٣٤ - ٤٠
٢ . مراحل تطور الرواية العربية :	٤٠ - ٤٩
أ : بدايات وروّاد .	٤٠ - ٤١
ب : انتقال وتنوع .	٤٢ - ٤٣
جـ : نضج وتأصيل .	٤٣ - ٤٩
الفصل الثالث : طه حسين وفن الروايـة :	٥٠ - ٧١
١ . في النظريـة .	٥١ - ٦٢
٢ . في التطبيق .	٦٢ - ٧١
الفصل الرابع : روايات طه حسين (في الاتجاه والمضمون) :	٧٢ - ٢١٣
١ . في السيرة والسيرة الذاتية :	٧٤ - ١٠٨
أ : أديـب .	٧٤ - ٨٦
ب : الأيـام .	٨٧ - ١٠٨
٢ . في التيار الواقعـي :	١٠٩ - ١٣٩
أ : دعاء الكـروان .	١٠٩ - ١٢٠
ب : شجـرة البـؤس .	١٢١ - ١٣٢
جـ : المعذبون في الأرض .	١٣٣ - ١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . في القصة الاسطورية: ١٤٠ - ١٥٨
أ : القصر المسحور . ١٤٠ - ١٤٨
ب : أحلام شهرزاد . ١٤٩ - ١٥٨
٤ . بين القصة والقصة التاريخية: ١٥٩ - ١٨٨
أ : على هامش السيرة . ١٥٩ - ١٨٢
ب : الوعد الحق . ١٨٣ - ١٨٨
٥ . في التيار الرومانسي : ١٨٩ - ١٩٦
- الحب الضائع ١٨٩ - ١٩٦
٦ . على هامش الرواية والقصة القصيرة: ١٩٧ - ٢١٣
أ : ما وراء النهر (رواية لم تتم) . ١٩٨ - ٢٠٥
ب : ثلاثة فصول في مجلة القصة . ٢٠٥ - ٢٠٧
جـ : في الصيف . ٢٠٧ - ٢٠٨
د : جنة الشوك . ٢٠٨ - ٢٠٩
هـ : رحلة الربيع . ٢١٠
و : مرآة الضمير الحديث . ٢١٠
ز : جنة الحيوان . ٢١٠ - ٢١٢
ح : أحاديث . ٢١٢ - ٢١٣
ط : بين بين . ٢١٣
ى : من لغو الصيف . ٢١٣
الفصل الخامس : روايات طه حسين (في الشكل الفني) : ٢١٤ - ٢٤٠
١ . قضية الشكل الفني في الرواية العربية . ٢١٥ - ٢١٨
٢ . السمات العامة للشكل الفني في روايات طه حسين : ٢١٩ - ٢٣٧
أ : الشخصيات . ٢٢٢ - ٢٢٩
ب : الأحداث . ٢٢٩ - ٢٢٨
جـ : الحبكة . ٢٢٨ - ٢٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د : الأسلـــوب. ٢٣١ - ٢٣٤
هـ : علاقته بالقـارئ. ٢٣٤ - ٢٣٥
و : التنـــوع. ٢٣٥ - ٢٣٦
ز : الانشغال بالهدف. ٢٣٧
ح : القيم المطلقة في قصصه. ٢٣٧

٣. رأى ٢٣٨ - ٢٤٠

خلاصة البحـــث : ٢٤١ - ٢٤٥

ثبت المصادر والمراجع: ٢٤٦ - ٢٦٢

أولا : المصـــادر: ٢٤٧ - ٢٤٨
- مؤلفات طه حسيـــن. ٢٤٧ - ٢٤٨
ثانيا : المراجـــع : ٢٤٩ - ٢٦٢
أ : عن طه حسين. ٢٤٩
ب : عامـــة. ٢٥٠ - ٢٥٦
جـ : مترجمة. ٢٥٧
د : أجنبية. ٢٥٨
هـ : الدوريـــات. ٢٥٩ - ٢٦٢

خلاصة البحث باللغة الانجليزية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلمـــــــــة

استاذي الكريم الاستاذ الدكتور محمود السمرة،

كنت اتمنى طوال تلمذتي عليك أن أظلّ قريبا منك، وأن تكون لك مهمة الاشـــراف على بحث أقوم به. وقد حققت لي ذلك بقبولك الاشراف على هذا البحث عن عميـــــد الأدب العربي "طه حسين".

كنت اتمنى ذلك منذ أن حبّبت إلي النقد الأدبي بكتبك ومحاضراتك وملاحظاتك، غير أني أظلّ بعيدا عن الوصول إلى ما وصلت إليه انت، واكتفي بأن أظلّ تلميذك الـذي يقرأ ما تكتب، ويسمع ما تقول، ويحاول من هذا وذلك أن يكوّن له منهجا في البحـــــث، وطريقة في التعامل مع الفكر، الفكر الإنساني الذي عرفه تلميذك هذا من خلالك، منـــذ أن كان على مقاعد الدرس يسمعك تتحدث عن نقد العرب وبلاغتهم، وعن فكر الغربيين ومناهجهم.

وهذا البحث محاولة أرجو أن أشعر برضائك عنها، فقد حملتك سيدي الكثير من العناء وأنت تقرأ صفحاته، وسأظل أحتفظ بتلك الصفحات منه، التي تحمل ملاحظاتـــك، وقد وجدت فيها مجموعة من المواقف الفكرية الكريمة، إذ أتحت لي الحرية في الـــــرأي، وأتحت لي المخالفة في النظرة، وعلمتني أن البحث يجب أن يصدر عن ذات الباحـــث وخاصة تفكيره. وليس هذا بجديد علي في منهجك، فقد كنت تنبهني إلى أخطائـــي وهفواتي، وتريدني أن أدرس طه حسين بجملة مواقفه وعصره، لا بظنون الآخرين فيه.

وكم كان صعبا علي أن التزم بذلك كلّه، وقد كنت أريد أن أنهي بحثي هـــذا، فخففت من سورة الحماس، وأخذت بيدي حتى كان هذا العمل الذي بين يديك.

سيدي،

لقد وعدت ووفيـــت

وأعطيت وما انتهيت

وامنـــت وما انحنيت

وكنت لي طوال الرحلة، منذ بداياتها في قسم اللغة العربية وادابها مرعى الله القسم وفرسانه، كنت الموجه والناصح والصديق والمعلم، فأنا مدين لك بكل نجاح أحقق...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين أجد أن عليّ واجب الشكر لك، أجدك أجل في عيني ونفسي من أن أنهض بالوفاء والشكر لك.

استعير منك صيغة اهداء كتابك "فلسطين: الفكر والكلمة"، فأقدم هذا البحث:

إلى استاذي الدكتور محمود السمرة

وإلى تلميذته انصاف

وإلى رشا وليلى،

الذين أرى فيهم أيامي التي كانت وأيامي التي ستكون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . أهدافه :

هذه دراسة في فن الرواية في أدب الدكتور طه حسين ، تركز على هذا الجانب من فكره مع الإعتراف بوجود جوانب مهمة أخرى تحتاج إلى دراسات أكاديمية متعمقة .

فمن هذه الجوانب : طه حسين والشعر الجاهلي ؛ اسلاميات طه حسين ؛ المعرى في أدب طه حسين ؛ طه حسين ناقداً ، المؤثرات الغربية في أدب طه حسين ، كما يمكن أن تخصص دراسات لبعض كتبه مثل : "حديث الاربعاء" ، "الايام" ، "مع المتنبي" . . .

ومع أهمية هذه الجوانب ، فقد اخترنا أن نقف بالدراسة عند جانب الرواية ، والتي نعني بها هنا ما ورد في أدب طه حسين من أعمال ذات طابع قصصي بمعنى القصة الطويلة أو القصة القصيرة أو الرواية ، وذلك : أولا : لأن هذا الجانب لم يدرس حتى الآن دراسة مستقلة وافية . فالفصول التي تعرضت له ليست بكثيرة ، كما أنها دراسات جانبية لم تقف بالدرس والتحليل إلا عند بعض كتبه ذات الطابع القصصي .

واخترنا الوقوف عند هذا الجانب لسبب ثان : هو مساهمة طه حسين في فكرنا بعامة ، وفي نقد القصة وكتابتها بخاصة ، هذه المساهمة التي جاءت في فترة هامة من فترات التطور في فن الرواية العربية بعد أن قدم محمد حسين هيكل قصته "زينب" التي كانت بإجماع الدارسين ذات أهمية ريادية خاصة .

من هنا نقف عند "طه حسين روائيا" .

وهذه مجرد محاولة . . .

قد نستطيع بالدرس والتحليل أن نعرف ما في هذا الجانب من آراء وكتابات ، وما دار حوله من أحاديث .

وقد نستطيع التعرف على المكانة التي يحتلها طه حسين في تاريخ تطور الرواية العربية الحديثة ، وذلك من خلال آرائه النقدية في فن القصة ، وكتاباته القصصية .

إنها محاولة للبحث في سبيل الوصول إلى الاجابة عن أكثر من سؤال . لهذا سنقف عند آثاره جميعها للتعرف عليه ، فالدارس لهذا الجانب يحتاج إلى قراءة آثار طه حسين أولا ، لمعرفة ثقافته وتنوع اتجاهاته والمؤثرات العامة في فكره ، والتأثير الذي تركه في أكثر من ميدان عطاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . أهدافه :

هذه دراسة في فن الرواية في أدب الدكتور طه حسين ، تركز على هذا الجانب من فكره مع الإعتراف بوجود جوانب هامة أخرى تحتاج إلى دراسات أكاديمية متعمقة .

فمن هذه الجوانب : طه حسين والشعر الجاهلي ؛ اسلاميات طه حسين ؛ المعرى في أدب طه حسين ؛ طه حسين ناقد ، المؤثرات الغربية في أدب طه حسين ، كما يمكن أن تخصص دراسات لبعض كتبه مثل : "حديث الاربعاء" ، "الايام" ، "مع المتنبي" . . .

ومع أهمية هذه الجوانب ، فقد اخترنا أن نقف بالدراسة عند جانب الرواية ، والتي نعني بها هنا ما ورد في أدب طه حسين من أعمال ذات طابع قصصي بمعنى القصة الطويلة أو القصة القصيرة أو الرواية ، وذلك : أولا : لأن هذا الجانب لم يدرس حتى الآن دراسة مستقلة وافية . فالفصول التي تعرضت له ليست بكثيرة ، كما أنها دراسات جانبية لم تقف بالدرس والتحليل إلا عند بعض كتبه ذات الطابع القصصي .

واختبرنا الوقوف عند هذا الجانب لسبب ثان : هو مساهمة طه حسين في فكرنا بعامة ، وفي نقد القصة وكتابتها بخاصة ، هذه المساهمة التي جاءت في فترة هامة من فترات التطور في فن الرواية الغربية بعد أن قدم محمد حسين هيكل قصته "زينب" التي كانت بإجماع الدارسين ذات أهمية ريادية خاصة .

من هنا نقف عند "طه حسين روائيا" .

وهذه مجرد محاولة . . .

قد نستطيع بالدرس والتحليل أن نعرف ما في هذا الجانب من آراء وكتابات ، وما دار حوله من أحاديث .

وقد نستطيع التعرف على المكانة التي يحتلها طه حسين في تاريخ تطور الرواية العربية الحديثة ، وذلك من خلال آرائه النقدية في فن القصة ، وكتاباته القصصية .

إنها محاولة للبحث في سبيل الوصول إلى الاجابة عن أكثر من سؤال . لهذا سنقف عند آثاره جميعها للتعرف عليه ، فالدارس لهذا الجانب يحتاج إلى قراءة آثار طه حسين أولا ، لمعرفة ثقافته وتنوع اتجاهاته والمؤثرات العامة في فكره ، والتأثير الذي تركه في أكثر من ميدان عطاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والى جانب هذا لابد من فهم طه حسين الانسان والكاتب، بكل معاركه ومواقفه، وبكل المساهمات القيمة في ميادين النقد والتاريخ والاجتماع والتربية والسياسة والتعليم، في الفترة الممتدة من بداية العقد الثاني من هذا القرن حتى مشارف العقد السابع منه، يفهمه من كتاباته كلها، ومساهماته الصحفية في "السياسة" و"الوادى" و"الكاتب المصرى" و"الجمهورية" و"الهلال" و "الرسالة".

لعل هذه إطالة غير ذات مبرر، غير أن الفهم الذى تحدثنا عنه ضرورة لازمة للتعرف على جوانب فكره كلها لنحدد موقفنا من جانب واحد منها هو: جانب الرواية.

٢. منهجه:

وفي بحثنا هذا نحتاج إلى منهج نقدى واضح. فالترتيب التاريخي لما كتبه من قصص غير كاف، فهذه الآثار القصصية التي ندرسها ذات طابع خاص، نخضعها للتيارات لا إلى الترتيب التاريخي فأيامه على سبيل المثال كتبت أجزاؤه الثلاثة في سنوات ١٩٢٦، ١٩٣٩، ١٩٥٥، وبينها كتب كل ما تبقى مما سندرسه في هذا الباب. لهذا لا نعتمد الترتيب التاريخي على أن نستفيد من الواقع التاريخي، الذى عاشه وكتب عنه ومن خلاله.

وسنبحث هذا الفن عنده من الزوايا النظرية، والتطبيقية، والتاريخية، من خلال تفهم عام لتطور الرواية العربية الحديثة. وهذا يحتاج إلى قراءة أولية، ثم إلى قراءة نقدية واعية تستند الى النظرة للعمل الفني على أنه وحدة تتوافر فيها عناصر الانسجام، والوحدة، والتوازن، والا لقد. وتستعين هذه الدراسة النقدية بالمعارف الخارجية المحيطة بالكاتب، على أن تظل في النهاية خاضعة لمنهج التحليل الداخلي، مهتمة بالعمل الفني على أنه محاولة لنقل التجربة الانسانية في أى زمان ومكان، وأن القدم والمعاصرة مسألتان غير مرتبطتين بالزمان الذى كتب فيه العمل الفني أو المكان الذى جرت فيه أحداثه.

إن النظرة الموضوعية تؤدى إلى الاعتماد على الواقع التاريخي بقدر، لا على المنهج التاريخي، وتستفيد من العوامل الخاصة في حياة الكاتب دون أن تغرق في تحليلات المنهج النفسي، وتدرس الظروف الاجتماعية والاقتصادية دون أن تخضع لمنهج أيديولوجي معين. كما أن النظرة الموضوعية تقود إلى الاعتماد على الذوق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحدود ، وذلك تجنبا للاندفاع وراء تيار الانطباعية والتأثيرية ، وفي الوقت ذاته تبتعد هذه النظرة عن شكليات النقد البلاغي الجافة .

وهذه الدراسة محاولة للاجابة عن أسئلة محددة هي :

- هل لطه حسين نظرية محددة في فن الرواية ؟ .
- ما كتبه طه حسين في فن الرواية : تحليله والحكم عليه من حيث مقاييس الفن الروائي ، وهل هو مبدع في هذا الفن ومجدد ، واذا كان كذلك فإلى أى حد نعتبره كاتبا روائيا بالمقارنة مع الروائيين العرب من معاصريه ومن جاؤوا بعده ؟ .
- ما هو دوره في تطوير الرواية العربية الحديثة ، والى أى مدى تبرز هذه المساهمة من حيث تطوير الشكل وتعميق المضمون ؟ .

ومحاولة الاجابة عن هذه الأسئلة تكمن في دراسة آثاره وآرائه في فن الرواية ، من خلال الاهتمام الجاد بأعماله ، موضوع الدراسة ، ومن خلال فهم الدارس للعلاقة الحية بين الكاتب وواقعه وثقافته من جهة ، وبين أعماله وقرائه وناقديه من جهة ثانية ، ومع التنبيه على العلاقة الحيّة بين المضمون بما فيه من تيارات واتجاهات وقضايا وهموم ، وبين الشكل بما فيه من لغة وأسلوب وشخصيات وأحداث .

ويترك الباحث للدراسة أن تجيب عن هذه الاسئلة .

٣ . مصادره ومراجعه :

آثار طه حسين بعامة هي المصدر الرئيسي لكل دراسة عنه ، وفي هذا البحث تم النظر إلى هذه المصادر من زوايا ثلاث :

الأولى : قراءة آثاره بعامة حيث هدفت القراءة إلى التعرف عليه إنسانا ومفكرا ، ويتضح ذلك في الفصل الأول .

الثانية : قراءة بعض هذه الآثار قراءة أكثر دقة وعمقا للتعرف على آرائه النقدية بعامة ، وآرائه في فن القصة بخاصة ، وهذه الآراء متناثرة في جل كتاباته . ويبدو ذلك في الفصلين الثاني والثالث من الدراسة .

الثالثة : آثاره في فن القصة ، وهي موضوع البحث الرئيسي . وقد تم حصر ما له علاقة بالرواية ، وكان الفصلان الرابع والخامس موضوع ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه المصادر ليست مقسمة بهذه الحدة، فنحن قد نجد في بعض رواياته آراء نظرية في فن القصة، أو نجد مجموعة موضوعات منشورة في كتاب واحد بعضها ندرسه في باب القصة القصيرة، وبعضها مقالات نظرية ونقدية.

أما المراجع فقد بدت للدارس في خمس زوايا أيضا:

الأولى: ما كتب من مؤلفات عن طه حسين، وقد أفرد لها باب في "المصادر والمراجع"، وجلها بالعربية، وبعضها مما تيسر للدارس الاطلاع عليه بلغات أخرى.

الثانية: المراجع العامة، وهي كثيرة، وتمتد على مدى ما مرّ من هذا القرن، حيث نجد عميد الأدب العربي شاهدا ماثلا في معظم دراساتنا في الأدب بفنونه والنقد بمناهجه، في الأدب العربي الحديث.

الثالثة: مراجع أجنبية مترجمة إلى اللغة العربية، ومعظم هذه المراجع دراسات في النقد الغربي الحديث ساعدت الباحث في تكوين فكرة أكثر وضوحا عن قضايا النقد الأدبي الحديث، وبينها ما له علاقة بفكر طه حسين.

الرابعة: بعض المراجع بلغات أجنبية، ومن هذه المراجع ما هو عن طه حسين، ومنها ما له علاقة مباشرة بفكره ولو لم يكن خاصا به.

الخامسة: الدوريات العربية المعاصرة منذ أن بدأ عميد الأدب العربي كتاباته في مطالع هذا القرن وحتى السنوات الثلاث اللاحقة لوفاته. وفي اعتقاد الدارس أن أهمية هذه الدوريات وبخاصة "الهلال" و "السياسة" و "الآداب"، وغيرها - مما توفر للدارس الاطلاع عليه - لا تقل أهمية عن المراجع العامة في أدبنا الحديث.

ومما هو جدير بالذكر أن المراجع في موضوع هذه الدراسة ليست كثيرة، ذلك أن فن الرواية عند طه حسين لم يدرس دراسة جادة، مع تقدير الدارس لما كتبه بعض الباحثين من مقالات وبحوث قصيرة في ثنايا كتبهم أو في المجلات العربية، ونذكر منهم: سهير قلماوي وحسين نصار، وPierre Cachia وكمال قلته، وعبد المحسن بدر، وحسام الخطيب، وشوقي ضيف، ومحمد مندور، وعلي الراعي، ومحمود حامد شوكت، وطه وادي . . ، وسوف يشار في الدراسة والمراجع إلى هذه الفصول التي كتبوها عن فن الرواية عند طه حسين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . طه حسين انسانا

يقول الشاعر الانجليزي اودن Auden في ذكرى فرويد سنة ١٩٣٩ :
" لم يعد بالنسبة لنا الان شخصا على قيد الحياة ولكنه صار مناخا كاملا من الاراء تدير في ظله حيواتنا المختلفة ". (١)

وهكذا الأمر بالنسبة لطه حسين ، رحل الرجل وبقي فكره ، وظلت بيننا آراؤه . وهذا الفصل محاولة للتعرف على طه حسين الانسان والمفكر ، ونبدأ بمحاولة رسم صورة لحياته .

ما اكثر ما كتب عن طه حسين الانسان ، وأظن أن المراجع في هذا الباب كثيرة حتى ليصعب حصرها على الدارس . ذلك أن طه حسين كان ظاهرة انسانية تركت آثارا عميقة في تاريخنا الحديث ، وساهم وضعه الخاص كطفل ضرير، في تركيز الدراسات عليه ليعرف الدارسون كيف تمكن طفل من اعماق ريف مصر الفقير، أن يتجاوز ظلام البصر وظلمة الواقع في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، ليصبح أعلى ذروة في تاريخنا الأدبي الحديث .

إن أمانة البحث وموضوعيته شرطان أساسيان لدراسة هذا الجانب في حياته ، ذلك أن الدارس قد يقع دون وعي تحت تأثير كتابات محبيه أو اعدائه، فيصدر عليه أحكاما قد تكون " متحيزة أو جائرة" .

وهذا المدخل ليس سوى محاولة مختصرة للتعرف على حياة طه حسين ، والبذور الاولى في شخصيته وتكوينه ، للربط بينها وبين المواقف التي اتخذها فيما بعد ، حين أصبح عميدا لفكرنا ببحوثه ، ودراساته ، ومواقفه . وهذه المحاولة لدراسة حياته ، تبدأ من كتابه " الأيام" ويدفعنا للإيجاز في هذا الفصل عن حياته وجود فصل يعالج الباحث خلاله كتاب " الأيام" بالتفصيل . ولا يعني اعتماد " الأيام" اساسا للحديث عن حياته أن الباحث لن يستعين بما كتب عن حياته من دراسات جادة تكمل الصورة وتعطي كثيرا من التفاصيل عن هذه الحياة الخصبة بالمواقف والعطاء .

" والد الدكتور طه حسين . . اسمه حسين علي سلامة. وقد كان علي جدّ

---

(١) في مقال لعلي شلش بعنوان " في ذكرى طه حسين" ، مجلة الكاتب، سنة ١٤ العدد ١٦٤ نوفمبر ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدكتور طه مشتغلا بالتجارة في مديرية سوهاج ، أما حسين والد الدكتور طـــه واخوته الأحد عشر، فقد كان يشتغل بفاوريقة الدائرة السنية بالمنيا وانتقل الى مغاغة بوظيفة قباني براتب شهرى قدره أربعة جنيهات، وكانت الدائرة السنية تبنـــي لموظفيها مساكن ، وقد ابتنت بعض هذه المساكن بقرية أو عزبة تسمى بعزبة الكيلـــو لانها تبعد عن مغاغة بمقدار كيلومتر. وقد استقر حسين بهذه العزبة منذ عام ١٨٨١، أى قبل مولد الدكتور طه حسين بثماني سنوات. وقد تزوج حسين من اسرة عوف التـي كان يتاجر معها أبوه وهي عائلة تجار بالخرنفش بحي الجمالية. وبنتهم التي تزوجهـا اسمها نفيسة، وقد ولدت له ابنتين هما أمينة وجلفدان. (١)

"أما أبناء حسين فهم أمينة وجلفدان ومحمد توفيق وأحمد حسين... وبعد أحمد حسين جاء محمود الذى وصل في التعليم العالي إلى البكالوريا وتهيأ لدخول مدرسة الطب، ولكن الأجل وافاه مصابا بالكوليرا في إجازة الصيف. وبعد محمود جـاء حامد الذى درس ثم اشتغل بوزارة الأوقاف ثم فاطمة وزينب ثم طـه حسين في عـــام ١٨٨٩، ثم عبد العزيز وياسين واخيرا عبد المجيد عام ١٩٠٣. وقد ظل الوالد حسين يعمل في شركة كوم امبو الى سنة ١٩٣٢، ثم عاد الى المنيا وتوفي رحمه الله سنة ١٩٤٢. أما والدة الدكتور طه فقد اختارها الله عام ١٩٥١". (٢)

كانت ولادة الدكتور طه من ابيه حسين وأمه رقية في ١٤ نوفمبر سنـــة ١٨٨٩. والسنوات الأولى حتى الثالثة عشرة من عمره موصوفة بدقة في الجزء الاول من كتابـــه "الأيام"، وهي السنوات التي ــ كما يبدو ــ كانت ذات تأثير عميق في حياته. ووصفـه لها في "الايام" يشمل حياته مع اهله، ثم في الكتاب. فقد وصف حياته في القريـــة منذ ان "كان مطمئنا الى أن الدنيا تنتهي عن يمينة بهذه القناه التي لم يكن بينـه وبينها الاّ خطوات معدودة". (٣) كما وصف أستاذه في الكتاب الذى "كان ضريـــرا الا بصيصا ضئيلا جدا من النور في إحدى عينيه" (٤) كما كان جده الشيخ ضريرا. (٥)

---

١) ثروت أباظه : شعاع من طه حسين، ص ٩٣، ٩٤.

٢) المرجع نفسه، ص ٩٥، ٩٦.

٣) طه حسيـــن : الأيام، الجزء الاول، ص ٩.

٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٥.

٥) المصدر نفسه، ١/ ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطه كما يقول هو: "كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه وخامس أحد عشر من أشقته" (١). وقد وصف اصابته بالعمى بقوله: "أصابة الرمد، فأهمل أياما، ثم دعي الحلاق فعالجه علاجا ذهب بعينيه". (٢) وكانت المؤثرات في ثقافته ما يرويه شاعر القرية عن أبي زيد الهلالي والزناتي خليفة وذياب ابن غانم وغيرها من الخرافات والأساطير. (٣) كما وصف موقف أبويه منه حيث كان يعاني منهما شيئا من الرحمة والرأفة وشيئا من الاهمال والفلظة. كما كان موقف إخوته وأخواته يؤذيه لأنه كان يجد فيه شيئا من الإشفاق مشوبا بشيء من الازدراء. (٤) وكان وهو طفل صغير يعزل نفسه على ما فيها من خوف من الأشباح والناس، فقد "كان يخاف أشد الخوف أشخاصا يتمثلها وقد وقفت على باب الحجرة فسدته سدا". (٥)

وفي الجزء الأول وصف لتطور ثقافته من الطلاسم وخاتم سليمان، إلى دروسه في الكتاب، مما يجعل هذا الجزء صورة كاملة تكاد تقترب من البحث الاجتماعي في حياة القرية المصرية في تلك الفترة.

ففي الكتّاب والقرية والبيئة المحيطة والطرق الصوفية والأوراد والأدعية والتمديد وشعر الهلاليين والزناتيين، تكونت ثقافته الأولى. فقد حفظ القرآن وهو في التاسعة وأصبح شيخا (٦). وبعد أن يصف الكتّاب بكل ما فيه يتابع دراسته لحياته، أو سيرته الخاصة، حين التمس فقيها آخر يدرس عليه القرآن. وكل حدث في حياته كان يعلمه درسا جديدا يترك تأثيراته العميقة في نفسه طوال حياته. ولعل قصته مع الطعام أبرز دليل على ذلك (٧).

ثم تطورت ثقافته إلى ألفية ابن مالك، مجموع المتون، وغيرها من الكتب التي أحضرها أخوه الشيخ من القاهرة. وقد تأثر بأخيه إلى حد كبير، لأنه كان صورة الأزهري الذي يحترمه أهل الريف، حيث أصبح حريصا على الذهاب الى المحكمة

---

١) المصدر نفسه، ١/ ١٤.

٢) المصدر نفسه، ١/ ١٠٥.

٣) المصدر نفسه، ١/ ٥، ٦.

٤) المصدر نفسه، ١/ ١٥.

٥) المصدر نفسه، ١/ ٧.

٦) المصدر نفسه، ١/ ٣٠.

٧) المصدر نفسه، ١/ ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليقرأ على القاضي أبواب الألفية وهو يرقب الناس حوله وخاصة "العلماء" المتمثلين في كاتب المحكمة الشرعية والقاضي وشيخ الكتّاب وإمام المسجد، وغيرهم من أصحاب الطرق حيث كان يأخذ عنهم جميعا ما يرى فيه أنه "عمل عملا غير قليل في تكوين عقله الذى لم يخل من اضطراب واختلاف وتناقض"(١) عن هؤلاء كلهم وشيوخ الطرق، كانت ثقافته، وكانت بداية التمرد ضد شيخ الكتّاب وبداية معرفته بالمعلم الذى يمتزج فيه الوعظ والصوفية والسحر والطلاسم وأخبار الفتوح. وقد عني من هذا كله بالسحر والتصوف.

ثم انتقل إلى القراءة على المفتش، وهو شخص يعرف الفرنسية، ومتخرج من مدرسة الفنون والصنائع(٢)، فتردد على بيته سنة، وهنا يبرز المؤثر النسائي للمرة الثانية في حياته، فقد كانت الفتاة الأولى نفيسة(٣) صبية الكتّاب، وكانت الثانية زوجة المفتش التي كانت له بها علاقة صادقة، أظنها نوعا من الحب المبكر الساذج، فهو يقول "وأخذت الفتاة تنتظره حتى إذا أقبل أخذته إلى غرفتها فجلست وأجلسته وتحدثا، وما هي إلى أن استحال الحديث إلى لعب، إلى لعب كلعب الصبيان لا أكثر ولا أقل ولكنه كان لعبا لذيذا"(٤)

ولعل من المؤثرات الأخرى التي جعلت طه يعرف الحزن ويلازمه طوال حياته، كما يقول، حادثتين: أولاهما وفاة أخت له في الرابعة من عمرها. وقد وصف هذا الحادث بروعة(٥) لا تعدلها تأثيرا وروعة في وصف الحزن الا وفاة أخيه، الذى توفي سنة ١٩٠٢ بمرض الكوليرا حيث "منذ ذلك اليوم إستقر الحزن العميق في هذه الدار ..... ومنذ ذلك اليوم تغيرت نفسية صبينا تغيرا تاما، عرف الله حقا وحرص على أن يتقرب اليه بكل ألوان التقرب. ومنذ ذلك اليوم عرف ذلك الصبي أرق الليل، فكم أنفق سواد الليل كاملا يفكر في أخيه ...."(٦).

---

١) المصدر نفسه، ١/٧٣.

٢) المصدر نفسه، ١/٩٧.

٣) المصدر نفسه، ١/٤٦.

٤) المصدر نفسه، ١/١٠١.

٥) المصدر نفسه، ١/١٠٤-١٠٩.

٦) المصدر نفسه، ١/١١٨، ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد هذا كانت فكرة سفره إلى القاهرة مع أخيه . ويوجز صورة حياته في تلك الفترة على النحو التالي : " عرفته في الثالثة عشرة من عمره حين أرسل الى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر . . . كان نحيفا ، شاحب اللون ، مهمل الزى ، أقرب الى الفقر منه إلى الغنى ، تقتحمه العين اقتحاما في عباءته القذرة ، وطاقيته التي استحال بياضها الى سواد قاتم . وفي هذا القميص الذى يبين أثناء عباءته ، وقد اتخذ ألوانا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من الطعام ، ومن نعليه الباليتين المرقعتين (١) .

من كل ما تقدم تبرز تأثيرات عميقة ، كان المفروض من خلالها أن لا يطمح طه حسين لنفسه بمستقبل أكثر مما صور أبوه بأن يكون صاحب عمود في الأزهر . لكن هذه العوامل الكافية لسحق شخصية قوية في ذلك الزمن ، كانت تلين أمام صلابة طه ، وحتى عاهته انسحقت أمام هذه الصلابة ، فبرزت في نفسه عوامل التحدى ، وتشابكت صلابته وتحديه ، لتقف ضد الموروثات التاريخية والاجتماعية ، ولو أن هذه العملية لا يمكن أن تتم بوعي في هذه المرحلة المبكرة من حياته ، ذلك أنه كان منذ البداية يجهل حقيقة النور والظلمة (٢) ، حيث بدأت حواسه الأخرى هي التي تشكل مواجهته الحقيقة أمام كل التحديات التي نقلته من طفل مهمل إلى رجل له في المستقبل نصيب وأى نصيب ، وله من قوة إرادته واحتماله للالم والوحدة والخوف قوة حديدية ، إن جاز التعبير ، وذاكرة فذة ساهمت كلها في تشكيل نفسيته في هذه المرحلة الاولى من حياته ، التي تجعلنا نعتبر الجزأين الأول والثاني من حياته ، في القرية والقاهرة ، مرحلة كاملة ، واعتبار سفره الى فرنسا بداية المرحلة الثالثة ، التي استمرت بعد عودته إلى مصر حيث خاض معاركه المستمرة إلى ما بعد الحرب الثانية بقليل . على أن تكون مرحلة ما بعد اعتزاله العمل الرسمي وخروجه من وزارة الوفد في مطلع الخمسينات مرحلة الشيخوخة الهادئة التي لا تخلو من مساهمات .

في الأزهر :

في عام ١٩٠٢ ، التحق طه حسين بالأزهر ، ولم تكن البداية مشجعة في هذا الانتقال لطفل ضرير من جوار أهله وإخوته إلى هذا المركز الثقافي الهام ، الذى يفرض عليه من المسؤوليات ما هو أكبر من احتمال الضرير القادم من الصعيد . فقد ووجه

---

١) المصدر نفسه ، ١ / ١٣٠ .

٢) المصدر نفسه ، ١ / ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمماهة عماه أكثر من مرة . وناداه شيوخ الأزهر بقولهم " أقبل يا أعمى "، (١) أو " انصرف يا أعمى ، فتح الله عليك" (٢) ؛ إلى جانب ذلك ما يعانيه في " جوش عطا "، من علاقاته الجديدة بمسكنه ورفاقه والطريق الى الازهر .

وفي الجزء الثاني من الأيام وقوف عند هذه المعاناة ، ووصف لحال الأزهر والتعليم فيه في مطلع هذا القرن ، وتدقيق في رسم شخصيات الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، ولأحوال الطلبة الذين كان عليهم الصبر والاحتمال في ظروف لا تطاق .

كان مسكنه ، كما يصفه ، في هذه الغرفة " غرفة النوم ، وغرفة الطعام ، وغرفة الحديث ، وغرفة السمر ، وغرفة القراءة والدرس . وكان مجلس الصبي من هذه الغرفة ممروفا محدودا كمجلسه من كل غرفة سكنها واختلف اليها . . " (٣) .

ووصفه للبيئة الأزهرية متسم بالقسوة والسخرية اللاذعة ، فاذا كان الجزء الأول من " أيامه " يقدم ما يشبه الصورة الاجتماعية للقرية ، فان هذا الجزء الثاني يقدم ما يقرب من التحليل الواقعي للبيئة التي يعيش فيها طالب عالم ، مما أدى به إلى تكوين موقف واضح تجاوز الأشخاص الذين يتعامل معهم ، إلى فكر الأزهريين وطرائقهم في التدريس ، موقف فيه تبرم وضيق فالطريق التي كان يسلكها " ضيقة أشد الضيق ، ملتوية أشد الإلتواء قذرة أشد القذارة . . " (٤) ، أو حياته التي وصفها بقوله : " كان يعيش فيها (أي في غرفته) غريبا عن الناس ، وغريبا عن الأشياء ، وضيقا حتى بذلك الهواء الثقيل الذي كان يتنفس فلا يجد فيه راحة ولا حياة . . " (٥)

وزاد من عزلته وغربته أن أخاه كان يتركه وحيدا في غرفته . مما جعله يصف هذه العزلة وما كان يسمعه في شقوق جدران الغرفة من أصوات الحشرات التي تخيفه ، وما كان يتحرك في أعماقه من حنين إلى الريف وأهله وكل ما فيه ، وصفا فيه روعة وصدق (٦) .

---

١) الأيام ، الجزء الثاني ، ص ١١٨ .
٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٩ .
٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٧ .
٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٣ .
٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧ .
٦) المصدر نفسه ، ٢ / ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك ملاحظة متعلقة بمعاهته ، فهو يقول إنه كان في بداية إقامته في القاهرة "يفرق تفرقة غامضة بين الظلمة والنور ، وكان يجد في المصباح إذا اضيء جليسا له ومؤنسا ، وكان يجد للظلمة صوتا يكاد يبلغ أذنيه" . (١) ويبدو أن أخاه لم يكن يدرك ذلك من وضع الفتى الشيخ ، ويبدو أن هذه التفرقة وهذا التعلق بضوء المصباح كانا كل ما بقي من حنين الضرير الى البصر بما حوله .

وفي هذه الفترة بدأت معرفته بشيوخه ، الذين وصفهم ونقل للقارئ من خلال هذا الوصف صورة لما تلقى على أيديهم من دروس وهم كثيرون ، منهم الشيخ راضي (٢) ، والشيخ الصالحي (٣) ، والشيخ بخيت والشيخ أبو خطوة (٤) ، وأستاذه المشهور الشيخ المرصفي (٥) ، والأستاذ الإمام محمد عبده الذى وصف خروجه من الأزهر وموقف الأزهريين منه (٦) .

وهو يعترف بأن اتصاله بالناس والبيئة حوله قد أثر في تكوينه وشخصيته تأثيرا "لم يكن أقل خطرا مما اكتسبه في بيئته الأزهرية من العلم بالفقه والنحو" . (٧)

وبعد أن أنهى عامه الأول في الأزهر ، وحضر دروس المبتدئين لذلك العام ، تكونت لديه فكرة معينة عن الثقافة التي سوف يواجه ، والحياة التي يمكن أن يعيش ، لقد احتمل في عامه الأول عذاب الوحدة والخوف ليالي طويلة ، ولكن الذى كان يمده بقوة وإرادة هو الأمل في العودة إلى القرية ، والاستقبال الذى سيحظى به كما كان الأمر مع أخيه من قبل . غير أن عودته الى القرية لم تكن كما تصور ، لقد ضاعت أمانيه وأحلامه منذ لحظة وصوله عائدا إلى القرية ، حيث أحسّ أن مكانته في نفوس أهله ما زالت كما هي حين رحل عنهم سيما القاهرة قبل عام .

عاد فاستقبلته القرية ، كما ودعته ، أعمى قليل الحظ ، أو قل شيخا صغيرا يحفظ القرآن ، لكنه واجه هذا الواقع المرّ بأول تمرد هام في حياته ، فقد بدأ يجادل "علماء قريته" : القاضي ، وسيدنا ، وأباه الشيخ حسين خليل ، ويهاجم معتقداتهم ويرد لنفسه اعتبارها حيث لم يكد يقضي أياما بين أسرته ، وأهل قريته ،

---

١) المصدر نفسه ، ٢ / ٤٤ .

٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٢ .

٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٣٦ .

٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٧٦ .

٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٣ .

٦) المصدر نفسه ، ٢ / ١٦٩ .

٧) المصدر نفسه ، ٢ / ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى غير رأى الناس فيه ، ولفتهم اليه ، لا لفت عطف ومودة ، ولكن لفت إنكار وإعراض وازدراء . فقد احتمل من أهل القرية ما كان يحتمل قديما يوما ويوما وايا ما ، ولكنه لم يطق على ذلك صبرا ، وإنما هو ينبو على ما كان يألف ، وينكر ما كان يعرف ، ويتمرد على من كان يظهر لهم الإذعان والخضوع" . (١)

وهكذا اصطدم مع سيدنا" ، وسخر من أبيه وعلومه ، وتشاجر مع إخوانه ، وسمع من أبيه "اخرس ، قطع الله لسانك" ، ولكنه صبر على هذا بما يملك من عناد وإصرار . وواصل معركته مع "فقهاء" القرية . وإذا بالقرية التي رفضته تحرض على الاستماع إلى ما يقول ، وكانت النتيجة كما أراد "فقد انتقم الصبي لنفسه ، وخرج من عزلته ، وشغل الناس في القرية والمدينة بالحديث عنه ، والتفكير فيه ، وتغير مكانه في الأسرة ، مكانه المعنوى إن صح هذا التعبير ، فلم يهمله أبوه ، ولم تعرض عنه أمه وإخوته ، ولم تقم الصلة بينه وبينهم على الرحمة والإشفاق" . (٢)

ثم عاد إلى الازهر في عامة الثاني وأخذ رأيه في علوم الازهر يزداد سوءا وخاصة ما بين الشيوخ من غيبة ونميمة . (٣)

غير أنه رغم هذا الواقع الذى ضايقه ، استمر يقرأ النحو والفقه والتوحيد والمنطق وقد ضايقه موقف الازهريين بعد وفاة الإمام كما ضايقه موقفهم قبل خروجه من الازهر ، غير أن شيئا واحدا كان يعوض عليه كل هذا العذاب ، وهذا الضيق ، وهو دروس الشيخ المرصفي في الأدب حيث قرأ عليه "ديوان الحماسة" ، وتوثقت بينهما عرى مودة ومحبة (٤) ، وأخرجه من صراعه بين عاهته ، وبين الحياة ، ولو إلى حين . فقد كان بارعا في "الفنقلة" متعبا لمعلميه وشيوخه ، وإن كان يعترف بعد ذلك بأنه استفاد من الأزهر "الحرص على التعمق في فهم النصوص ، وتجنب السطحية ، والعلم المحفوظ" . (٥)

وكانت علاقته الوثيقة بالشيخ المرصفي ذات أثر في ثقافته الادبية . وقد تحدث عنه في "الأيام" وفي مقدمة كتابه "ذكرى أبي العلاء" ، وفي كتابه "في الشعر

---

١) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤١ .

٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٨ .

٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٥٤ .

٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، ومقدمته لذكرى أبي العلاء (أ) .

٥) فؤاد دوّارة : عشرة أدباء يتحدثون ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاهـــلي" ، فقد كانت علاقته بـه ذات تأثير هام في توجيهـه وقد اعتبـــر أول الأساتذة الذين أثروا في نشأته الادبية (١)،وقد استمرت علاقته به ما يقرب مـــن سنوات أربع .

ولم يلبث طه حسين أن طرد مع صاحبيه الزناتي والزيات لتشيعهم على الأزهريين وجهرهم بارائهم ، غير أن لطفي السيد أعادهم الى الأزهر ، لكن نقمة طه حسين كانت قد وصلت ذروتها " واشتد ضيق الفتى بالأزهر وبحياته في القاهرة"(٢) .

وفي نهاية عامه الثاني عاد إلى أهله ، وما لبث أن سافر معهم للاقامة مـــع أبيه في إحدى مدن أقصى الصعيد، وهي مدينة " كوم امبو" التي عمل بها والـــده حتى عام ١٩٣٢ . وكان سفرهم في القطار حيث نسيه أهله فيه فطلب منه أصحـــاب المحطة أن يغني لهم فآذته هذه الواقعة بشكل عنيف (٣) . وأمضى الصيف مع اهله في منزلهم الجديد .

في الجامعة المصرية :

فتحت الجامعة المصرية أبوابها عام ١٩٠٨ وعاد طه حسين إلى القاهرة مـــن الصعيد ومعه غلام اسود مرافق له . وقد استمر مسجلا بالأزهر مع أنه كان قد قطـــع صلته الفعلية به .

أخذ يختلف إلى الجامعة الجديدة ، وبدأ صراعه بين قديم الأزهر وجديـــد الجامعة ،وتوثقت صلاته بأحمد لطفي السيد ، رئيس تحرير " الجريدة"،وعبد العزيز جاويش ، رئيس تحرير جريدة " العلم" . وسمع محاضرات أحمد زكي باشا في الحضارة الاسلامية والمستشرق جويدى في أدبيات التاريخ والجغرافيا . ثم عاد إلى الأزهـر حيث اسقطه شيوخه في امتحان العالمية ، وغضب كذلك من استاذه المرصفي الـــذى " أعرض عن معابثة تلاميذه وتوهم ان الجواسيس قد أرصدت له . . . وقال للفتى ذات يوم حين أخذ في بعض ذلك : لا . لا . لا . دعنا نأكل العيش(٤) .

---

١) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

٢) الأيام : ٢ / ٢٠١ .

٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٠٧ .

٤) طه حسين : الأيام ، الجزء الثالث ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا الوقت بالذات بدأت تتبلور ملامح اتجاهاته الفكرية من خلال كتاباتـــه الصحفية ، فكان يكتب في صحيفتين هما : " الجريدة " و"المقطم" ، يديرالأولى لطفي السيد وتمثل حزب الأمة ويرأسه محمود سليمان باشا ، ويديرالثانية عبـــد العزيز جاويش وتمثل الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل.غير أن دارس هـــذه الفترة من حياة طه حسين ، وهي بداية مواجهته للحياة ومشاركته فيها من خـــلال طرح أفكاره ، لا يلمس لديه أنه كان ينتمي حزبيا لهذه الفئة أو تلك،فهو يبين هـذه الفترة بقوله :

" وأصبح الفتى يكتب في صحيفتي أستاذيه ، فإذا اقتصد في النقد ـ نقد الأزهر ـ نشر في " الجريدة" ،وإذا غلا به نشر في صحف الحزب الوطني".(١)

وقد ساعدت كتابته في هذه الصحف على قطع الخيط بينه وبين الأزهر ،واتجاهـه نهائيا إلى الجامعة المصرية ، وإلى العمل الصحفي و خاصة بتشجيع الشيخ جاويش الذي كان يحثه على الغلو والإسراف في النقد . وكان في هذه الفترة،التي امتـدت عشرة اعوام يكتب دون أن يكسب درهما أو مليما كما يقول.(٢)

والشيـــخ المرصفي عند طه حسين بمنزلة لطفي السيد " اصبح للفتـــى أستاذان يخصهما بحبه واعجابه ، أحدهما يذكره بأئمة البصرة والكوفة وهو الشـــيخ سيد المرصفي ،والآخر يذكره بفلاسفة اليونان الذين سمع أسماءهم في الازهر وجعـــل يدرس أطرافا من فلسفتهم في الجامعة وهو لطفي السيد".(٣)

وفي هذه الفترة خاض أول معاركه النقدية ضد المنفلوطي ، ويعترف طه حسين بأنه هاجم المنفلوطي بتشجيع من الشيخ جاويش ، غير أنه يسمي هذه المرحلة فـــي حياته النقدية " بالنقد السخيف".(٤)

ولعل تأثير الجامعة في تطور فكره كان هو العامل الهام في ابتعاده عـــن الأزهر وعن أسلوب الشيخ جاويش في النقد ، ولهذا نجده في مقدمة رسالته الاولى

---

١) المصدر نفسه ، ٣ / ١١ .

٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٢٤ .

٣) المصدر نفسه ، ٣ / ٢٢ .

٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للدكتوراه ، " ذكرى أبي العلاء" ، يمتدح استاذه المرصفي وذوقه ، غير أنه يلمح الجديد في مناهج الجامعة وأثر المستشرقين، ويقول في قسم الآداب في الجامعة كل هذا الجديد " وأخذت أسمع الدروس فيه فإذا ألوان من الدروس لم أعرفها من قبل ، وإذا فنون من النقد لم يكن لي بها عهد ، وإذا دارس الأدب لنفسه ينبغي أن يدرس غثه وسمينه ... وإذا الباحث في تاريخ الآداب ليس عليه أن يتقن علوم اللغة وآدابها فحسب بل لا بد له أن يلم إلماما بعلوم الفلسفة والدين ، ولا بد له من أن يدرس التاريخ وتقويم البلدان ... ولا بد له من أن يدرس أصول اللغة القديمة ... وأن يدرس علم النفس ... والآداب الحديثة في اوروبا ... ودروس مناهج البحث عند الفرنج ..."(١) .

إن هذا الوعي الجديد يجعلنا نرى الصورة من زاويتين : زاوية الأزهر الذي أمضى فيه طه عدة سنين ساهمت في تكوينه إلى حد بعيد ، ثم زاوية الجامعة التي وضعته أمام هذا التصور الجديد ، والتي لم يخرج عن تصوره بأنها نهاية المطاف غير فكرة للشيخ جاويش ، لعلها هي التي غيرت في مسار حياة طه حسين، وهي ضرورة سفر طه " إلى فرنسا عامين أو ثلاثة"(٢) .

وما لبث أن استمر في الكتابة مع الشيخ جاويش في مجلة " الهداية" وخاض معركة مع الشيخ رشيد رضا لانحرافه عن طريق الاستاذ الإمام ومالأته للخديوي . ثم علم الادب في مدرسة أسسها الشيخ جاويش . وعرف الكثير من خلال الشيخ جاويش وأحمد لطفي السيد ، عبد العزيز فهمي في هذه الفترة المبكرة" هيكل ، ومحمود عزمي ، والسيد كامل ، وكامل البندار" (٣) ثم اتصل بمجلس مي زيادة ، ولعلها كانت المرأة الثالثة بعد نفيسة ، وزوجة المفتش، وخرج من مجلس مي وقد:" سحر الفتى .... وفي نفس الفتى من الصوت وما قرأ شيء كثير (٤) .

---

١) طه حسين : ذكرى أبي العلاء ، المقدمة (د) .

٢) الأيام ، ٣ / ٢٤ .

٣) المصدر نفسه ، ٣ / ٢٩ .

٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الجامعة المصرية كانت تأثيرات اساتذته تعمق المناهج الحديثة في نفسه ، ومن بينهم نفر من كبار المستشرقين ، فقد درس على نلينو (Nallino) تاريخ الأدب والشعر الاموى ، وعلى ليتمان (Litmann) اللغات السامية ، وحضر دروس جويدى (Guidi) في أدبيات الجغرافيا والتاريخ ، ودروس الأدب الفرنسي على الاستاذ كليمان (Clement) ، وحضر دروسا لغيرهم عن تاريخ الشرق القديم والفلسفة الاسلامية والاصطلاحات الفلسفية .

ومن الأساتذة العرب تتلمذ على الشيخ الخضرى والشيخ محمد مهدى، وأحمد كمال باشا، واسماعيل رأفت ، ونال درجة الدكتوراه سنة ١٩١٤ عن رسالته " ذكرى أبي العلاء " ، ويصف المناقشة بقوله: " كانت لجنة امتحان العالمية المؤلفة من الأستاذ محمد الخضرى رئيسا والأستاذين محمد المهدى ومحمود فهمي ، المدرسين في الجامعة، والأستاذين اسماعيل رأفت بك وعلام سلامة ، المندوبين من نظارة المعارف العمومية أعضاء لامتحان .... الطالب بالجامعة المصرية ، وكان اجتماعها بهيئة علنية .

ناقشت الطالب في رسالته التي قدمها في تاريخ أبي العلاء المعرى، ثم في العلمين اللذين اختارهما وهما الجغرافية عند العرب والروح الدينية عند الخوارج فقررت أنه يستحق :

أ . درجة جيد جدا في الرسالة .

ب . درجة فائق في الجغرافيا عند العرب .

جـ . درجة فائق في الروح الدينية عند الخوارج ". (١)

في فرنسا :

قابل طه حسين مشاكل جديدة بعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة المصرية ، مشاكل تتعلق بالعمل والسفر . فقد قابل الخديوى عباس الذى نصحه بعدم تعلم الفلسفة في فرنسا لأنها " تفسد العقول " (٢) . وعمل مدرسا في الجامعة المصرية لفترة قصيرة ، تقرر بعدها أن يسافر الى باريس، والتحق بها أبحر ومعه أخوه وطالبان من طلاب البعثة . واستقر في مونبلييه ، وحضر دروسا في علم النفس واللغة الفرنسية

(١) المصدر نفسه ، ٣ / ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طوال الفترة من تشرين الثاني ١٩١٤ الى أيلول ١٩١٥ .

وقد واجه بعض المصاعب منها صعوبة الحياة، والدراسة، ومنها خلافه مع أخيه " حتى اضطرا إلى أن يفترقا ، يسكن كل واحد منهما في منزل".(١)

في عام ١٩١٥ أفلست الجامعة المصرية، فعاد إلى القاهرة ليختلف من جديد مع أستاذه المهدى . فقد سبق لطه حسين أن انتقده في رسالته للدكتوراه عن أبي العلاء . وفي عودته هذه كتب عن إحدى محاضراته في " السفور"، ففضب الشيخ، ثم أصلحها لطفي السيد .

ما لبث طه حسين أن عاد إلى جامعة السوربون، حيث درس التاريخ الروماني ، واليوناني ،والحديث ودرس علم الاجتماع مع دوركهايم (Durkheim)وتفسير القرآن مع كازانوفا (Casanova)، وحصل على الليسانس في الآداب عام١٩١٧ . وحضر دروس ليفي برايل (Levy-Bruhl)، ولانسون (Lanson) وغيرهم .

لكن أبرز حدث في حياته في فرنسا أنه تعرف على زوجته سوزان ،وقد عبر عن هذا التغير بقوله : " وإذا الحياة تبتسم له فجأة في يوم من أيام الربيع ، ابتسامة تغير حياته كلها تغييرا ، واذا هو لا يعرف الوحدة ولا يجد الوحشة حين يخلو إلى نفسه : إذا أظلم الليل".(٢) .

وهكذا استطاع صوت " سوزان" أن يمحو من نفسه كل التشاؤم الذى استمده من المعرى كما يقول ، وخلقه الصوت خلقا جديدا . فأحب الحياة ، وأقبل على الدرس . كان هذا قبل عودته القصيرة إلى مصر . واستمرت قصة الحب بينهما بعد عودته إلى فرنسا حيث احتمل مشقة حياته المادية . وأنفق سنته الاولى في باريس لا يخرج من بيته .

وظلت تلازمه بعض حالات اليأس ، والخوف ، والحياء ، وخاصة ما تعلق منها بالطعام (٣) .

---

١) المصدر نفسه ، ٣ / ٦٨ .

٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٨٦ .

٣) المصدر نفسه ، ٣ / ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في عام ١٩١٧ تزوج من سوزان ، وفي كانون الثاني ١٩١٨ ناقش رسالته " فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" ، وفي عام ١٩١٩ أتم دبلوم الدراسات العليا حيث تعلم اللاتينية من أجل ذلك . وفي العام ذاته عاد الى مصر ومعه " المرأة التي أبصر بعينيها"(١) .

في مصر اصبح أستاذا للتاريخ القديم ، اليوناني والروماني ، حتى سنة ١٩٢٥ حيث قدم في هذه الفترة عددا من مؤلفاته مثل " النهضة اليونان" ،و" دروس التاريخ القديم في الجامعة المصرية" ،و " صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان" ، و " نظام الأثينيين" ،و " قادة الفكر" .

في عام ١٩٢٥ أصبحت الجامعة المصرية جامعة حكومية ، فعين أستاذ التاريخ الأدب العربي في كلية الآداب . وبعدها بعام واحد ،استجوبه بعض النواب الوفديين عن كتابه " في الشعر الجاهلي" ، فواجه النيابة العامة وأحرق الكتاب .

هذا الموقف من الوفديين ظل يطرح أسئلة كثيرة عن علاقة طه حسين بحزب الأمة،ثم حزب الأحرار الدستوريين حتى عام ١٩٣٢ ، وهما حزبان غلب عليهما طابع الأعيان والأرستقراطية . لكن الدارس يلاحظ أن زعامة هذين الحزبين كانت لكبار المثقفين مثل لطفي السيد ومحمد حسين هيكل ، وهما صديقان لطه حسين ، كما أن ارتباطه بهما كان ارتباطا فكريا لا سياسيا . ولهما مواقف قد تكون في نظر بعض الدارسين وطنية . فقد طالبا بوضع الدستور ونشر التعليم والتحصيل والاستقلال في وقت كان يؤخذ على الحزب الوطني الذى أسسه مصطفى كامل تحالفه مع الخديوى عباس طويلا ،ودعوته إلى استقلال مصر في ظل الخلافة التركية حسب معاهدة ١٨٤٠ (٢) . كما أخذت على الوفد مجموعة مآخذ منها أنه كان حزبا تتبعه الدهماء من الشعب،وليست له تصورات فكرية واضحة . وقد انشق الوفد بين سعد وعدلي ومؤيديهما، أى بين الوفد ورجالات حزب الامة السابق ، ثم بين الوفد وحزب الأحرار الدستوريين،الذى قام سنة ١٩٢٢ على أنقاض حزب الأمة بعد

---

١) المصدر نفسه ، ٣ / ١٢٠ .

٢) انظر في ذلك : أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ،ص ١٠٤ - ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاف سعد وعدلي (١) .

ولعل مما يشفع لطه موقفه هذا أن للطفي السيد وعلي عبد الرزاق وهيكل من التأثير في تاريخ مصر الفكري ، ما لسعد زغلول من تأثير في تاريخها السياسي ، وإن كان يسجل على سعد موقفه من قضية الشعر الجاهلي ، وذلك في خطابه أمام المتظاهرين ضد طه حسين إتهمه بالجنون ، وقال فيه قولته المشهورة : " ماذا علينا إذا لم تفهم البقر" (٢) ، في حين دافع عنه لطفي السيد وعبد الخالق ثروت وعدلي باشا .

إنتهت قضية الشعر الجاهلي ليواجه طه حسين أزمة سياسية أخرى حين عين عميد الكلية الآداب سنة ١٩٢٨ خلفا للعميد الفرنسي ميشو ، وكانت الحكومة برئاسة النحاس باشا ،وهي ائتلافية من الوفديين والأحرار الدستوريين . وكان وزير المعارف فيها هو علي الشمسي باشا الذي عارض في تعيين طه حسين عميدا ، فطلب منه التنحي عن العمادة ، فقبل أن يستقيل شريطة أن يصدر قرار تعيينه وأن يباشر واجبات العميد ولو يوما واحدا . وقد كان ، فصدر قرار تعيينه ، واختلف إلى مكتبه ووقع بعض الأوراق ثم استقال في المساء ،وعاد ميشو إلى عمادة الآداب .

وفي سنة ١٩٣٠ استقال النحاس باشا ، وبدأ صدقي باشا دكتاتوريته الأولى . وفي هذا العام انتخب طه حسين عميدا ،ووافق وزير المعارف مراد سيد أحمد على ذلك ، لكن صدقي باشا ألغى دستور ١٩٢٣ القائم على الانتخاب المباشر ، وأصدر دستورا يقوم على التمثيل النسبي ،وألف حزب " الشعب"،واصدر جريدة أراد أن يكون طه حسين رئيسا لتحريرها فرفض ، وبعد عامين من ذلك طرد من الجامعة حين رفض رغبة حلمي عيسى وزير المعارف في منح الدكتوراة الفخرية لكل من : علي ماهر ، وابراهيم يحيى ، وعبد العزيز فهمي ، وتوفيق رفعت . ونقل إلى وزارة المعارف سنة ١٩٣٢ وأحيل إلى المعاش بعد ثلاثة اسابيع من تعيينه لرفضه العمل مع عيسى باشا ، فأضربت الجامعة لنقله منها وأصبح رمزا لاستقلالها ، وبرز واحدا

---

١) المرجع نفسه ، ص ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٣ .

٢) رجاء النقاش : أدباء معاصرون ، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قادة الرأى ذوى التأثير الجماهيرى الواسع ، وهذا تحول هام من نظرته للحرية على أنها حرية العقل المثقف لا حرية المجتمع ، إلى النظر للحرية على أنها ملك الجماهير المسلوب ،ومن الانضواء تحت راية الصفوة من العقلانيين الأرستقراطيين إلى حمل راية حزب الوفد ، حزب الشعب ، كما كان انذاك ، فقبل أن يكتب في صحيفتهم " كوكب الشرق" سنة ١٩٣٣ ، ثم أزرهم وهو يكتب في " الوادى" حتى أعيد لمنصبه في الجامعة سنة ١٩٣٤ في عهد وزارة توفيق نسيم .

ويعلق لويس عوض على هذا التحول فيقول :" هذه هي الفترة التي برز فيها طه حسين لأول مرة على قدم المساواة مع عباس العقاد قائدا للمثقفين الراديكاليين المناضلين ضد الملك و (أصحاب المصالح الحقيقية) ، الذين كان يمثلهم صدقي باشا بلغته هو ، أو بلغة الواقع الاقتصادى (الاتحاد المصرى للصناعات) الذى كان صدقي باشا قطبا من أقطابه ثم رئيسا له ؛ وهو تحالف بين الرأسمالية الاجنبية الضخمة في مصر ، والرأسمالية المصرية الوليدة ..." (١)

وهكذا انتقل سنة ١٩٣٢ من الأحرار الدستوريين "عقل الامة" الى حزب الوفد " قلب الامة" كما يقول الدكتور لويس عوض(٢) ، ذلك بعد أن فقد الاحرار الدستوريون بالوفاة عدلي يكن وعبد الخالق ثروت ، والت زعامته الحزب إلى محمد محمود باشا الذى حكم مصر بالحديد والنار عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ . واعتزل لطفي السيد السياسة ومعه علي عبد الرزاق ومصطفى عبد الرزاق .

إن هذا التحول ذو دلالة هامة ، فهو تحول يتبعه اتخاذ مواقف جديدة ايديولوجية في السياسة والاجتماع ، وفيه ابتعاد منه عن حلم حكم مصر على طريقة الديمقراطية الاثينية ، رغم يأسه من الوضع كله .(٣) .

وفي سنة ١٩٣٦ عين طه حسين عميدا لكلية الاداب وظل في منصبه هذا حتى سنة ١٩٣٩ ، ولم توافق حكومة محمد محمود باشا على إعادة انتخابه فظل استاذا في الجامعة،ومصر انذاك تعاني من توالي دكتاتوريات اسماعيل صدقي باشا

---

(١) لويس عوض : الحرية ونقد الحرية ، ص ١١ .

٢) المرجع نفسه ص ٩ .

٣) في كتابه " مع المتنبي" ،وقد ألفه سنة ١٩٣٦ ،إشارة صريحة لتبرمه بوضع مصر وحكامها طيلة تاريخها ، ويسمي من حكموا مصر " دول الثعالب" ، وذلك في معرض تعليقه على بيت المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن فما تغني المناقيد .

انظر : مع المتنبي ،ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومحمد محمود باشا. ظهرت نزعات مصر الفتاة والاخوان والحزب الوطني ودعاة حكم الصفوة، ومعاهدة ١٩٣٦.

وفي سنة ١٩٣٩ انتدب مراقبا عاما للثقافة في وزارة المعارف وبقي في هذا المنصب حتى ١٩٤٣، وكانت هذه السنوات الأربع بعد أن هدأت المعركة حول كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" الذي يرى فيه أن مصر مرتبطة منذ القدم بشعوب البحر المتوسط، وقد خالط فكرها الفكر اليوناني فتأثر به وأثر فيه، كما يرى فيه أن مصر غير شرقية ولكنه لا يكاد يجردها من شرقيتها حتى يعود بها الى مصريتها..) وقد استند في هذا الكتاب الى أن الثقافة في مصر يجب أن تقوم على أركان أربعة هي: تراث مصر الفرعونية والتراث الهللينى والاسلام والثقافة العربية.

وحين عاد الوفد الى الحكم سنة ١٩٤٢ عينه نجيب الهلالي، وزير المعارف، مستشارا فنيا للوزارة، وذلك حتى لحالته على المعاش سنة ١٩٤٤، وفي هذه الفترة كان قد انشأ جامعة الاسكندرية وأصبح مديرا لها سنة ١٩٤٢، وكان اعتزاله هذه المرة مناصبه في فترة حكم مصر فيها أحمد ماهر والنقراشي وابراهيم عبد الهادى أمثالهم، حتى عودة الوفد للحكم سنة ١٩٥٠ حين عين وزيرا للمعارف لينفذ ما خططه للتعليم في مصر.

لكن فترة هامة يجدر بالباحث الوقوف عندها، وهي رئاسته تحرير مجلة "الكاتب المصرى" عامي ١٩٤٦، ١٩٤٧، حيث كانت الدار التي تصدر عنها ملكيتها لأخوة أربعة من يهود مصر الاغنياء (١)، غير أن الوقوف على ما نشر في هذه المجلة، لعدد كبير من كتاب مصر، وما قدمته من ترجمات، ومنها لطه حسين نفسه، وما نشره فيها من قصص مثل: "المعذبون في الارض" و "ما وراء النهر" لا يعطي الدارس أية إشارة إلى أن هذه المجلة تحتمل تهمة كونها تخدم الفكر الصهيوني بطريقة أو بأخرى، غير أن السؤال يظل مطروحا عن الأهداف التي كانت وراء صدورها وعن أسباب توقفها.

في هذا الجو، وبعد تسلم الوزارة، تكاد حياة طه حسين العملية أن تقف أو أن تفقد الكثير من زخمها وعطائها، مع أنه استمر يكتب في "الجمهورية" وغيرها، ويعمل في مجمع اللغة والجامعة العربية وجامعة القاهرة: ففي عام ١٩٥٥ ترأس اللجنة الثقافية للجامعة العربية، وانتخب عام ١٩٦٣ رئيسا لمجمع اللغة العربية خلفا لأستاذه لطفي السيد، وفي ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٣ أغمض عينيه وصمت إلى الأبد.

---

(١) لويس عوض: الحرية ونقد الحرية، ص٣٦-٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن كل ما تقدم لا يعدو أن يكون محاولة سريعة لرسم الخطوط البهامة في حياة طه حسين، مع الإعتراف بأن الفترة الممتدة من عودته من بعثته إلى باريس حتى خروجه من وزارة الوفد، هي أروع مراحل حياته وأكثرها عطاء ومعارك فكر، منذ مقالاته الاولى في "حديث الاربعاء" الى صدور كتابه "المعذبون في الارض".

هذا التصور لحياته لا يعني أننا نحدده بمراحل تاريخية تقاس بعدد السنوات، فهذه مراحل متصلة من القرية إلى الأزهر فالجامعة المصرية، ومن مصر كلها الى مونبيلية وباريس في فرنسا، ثم عودته إلى مصر حيث المرحلة التي يمكن اعتبارها مرحلة النضج والعطاء، بعد مرحلة الأخذ والتعلم. وقد استمرت كل من المرحلتين ثلاثة عقود. وكادت مرحلة الصمت والشيخوخة والهدوء تكون قريبة من ثلاثة عقود ايضا.

هذا الجانب الذي عرفناه من حياته يكمله جانب آخر، جانب نبحث فيه بإيجاز الملامح العامة للمؤلفات التي قدمها طه حسين، وهذه الملامح ليست أحكاما نهائية بل هي تعريف للقارئ بتراث طه حسين ومحاور الإهتمام البارزة فيه، ومن هذه الملامح كثير مما يستحق دراسات جادة، وبخاصة الاسئلة حول كل من القضايا التالية:
في الشعر الجاهلي، منهجه النقدي في حديث الأربعاء، دراساته في الأدب الحديث، اسلاميات طه حسين، علاقته بالفكر اليوناني، مصادر فكره، دراساته عن المعري، مساهماته في الكاتب المصري، مواقفه السياسية، دوره في الصحافة، أسلوبه، كتابه "مع المتنبي"، وغيرها من القضايا، لكن دراستنا تتعرض لجانب محدد، نرى من خلاله، هل كان طه حسين صاحب هذه الحياة الصاخبة قادرا على التفاعل من خلال فن أدبي معين هو فن الرواية، مع مجتمعه ونقل صورة صادقة له، وهل كان له في هذه المؤلفات أن يكتب نشيد "كروانه" و "الحب الضائع" وسمر تدوسها سنابك خيل إلانجليز؟!

سنحاول أثناء الفصول القادمة الإجابة عن الاسئلة المطروحة حول هذه القضايا عند حديثنا عن "فن الرواية في أدب طه حسين".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ . طه حسين مؤلفـــا

إن الحديث عن هذا الجانب في حياة طه حسين هو في مثل اهمية الحديث عن كل حياته. ذلك أن فكره لم يكن مجرد ردود فعل سطحية لهذه الحياة، ولمعاناتـــه الطويلة، بل كان صورة شاملة لثقافته الواسعة وشخصيته القوية ومواقفه الفكرية. فكـــل ما كتب كان دلالة على جانب من جوانب هذا الفكر. وإذا كان هذا الفكر كله تجمعـــه ميزة معينة، فانها ميزة الوحدة لأن طه حسين صاحب أكبر ثورة عقلانية في الفكر العربـــي الحديـــث.

إن مصادر ثقافة طه حسين ترجع إلى تيارات ثلاثة: أولها الفكر العربـــــي الاسلامي، وفي هذه النقطة أود أن أشير إلى أن أحد الدارسين قد سمى هذا المصدر الأدب العربي القديم والعلوم الازهرية (١) وهذا في تصوري تعبير غير دقيق، لأنـــه لا يدل بدقة على الثقافة العربية الانسانية الشاملة. وثانيها هو الفكر الغربي ممثـــلا بالفكر اليوناني واللاتيني من جهة، والفكر الفرنسي من جهة ثانية. أما المصدر الثالث لثقافته فهو في تصوري، معاناته الخاصة مع الحياة حيث صبغت شخصيته كل فكره بصبغـــة خاصة.

واذا كان المصدر الأول قد جاءه من مصر، أي من الكتّاب والقرية والأزهـــــر والجامعة المصرية، فإن المصدر الثاني قد جاءه من اوروبا لدراسته طالبا في فرنســـا، ثم ارتباطه العميق بالثقافتين اليونانية والفرنسية، حتى أنه كان مشغوفا بثقافة اليونـان وقد قال عنها: "وأنا مشغوف بكل ما يتصل ببلاد اليونان لأن حبي لهذه البـــلاد لا ينقضي، ولأن اعجابي بها لا حد له، ولأن وفائي لها هو وفاء الابن البكر لـــلأم الكريمة الرؤوم، وكل انسان مثقف فهو ابن لهذه البلاد الخالدة" (٢)

والحديث عن طه حسين الكاتب يمكن أن يؤدي بالدارس إلى تجزئة تراثه الـــــى تيارات، غير أن الهدف من هذه المجالة هو إعطاء لمحة موجزة عن فكره.

---

١) كمال قلته: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص٣٠.

٢) طه حسين: فصول في الأدب والنقد، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت رسالته للجامعة المصرية عن أبي العلاء "أول كتاب امتحن بين يدى الجمهور وهو أول كتاب نال صاحبه إجازة علمية منها ـ أى من الجامعة" (١). وقد مهد لهذه الرسالة بخلفية متميزة وذلك حين كان الازهر بتيار الثقافة الاسلامية يشكل خلاصة قرون كثيرة من التراث العربي، وكانت أبرز ملاحظات طه حسين على العلم في الازهر هي هذا الجمود المسيطر على الدراسات الدينية واللغوية والتاريخية. ولعله لم يجد أسلوبا فيه شيء من الحداثة غير أسلوب المرصفي. أما الجامعة المصرية فقد قدمت له المنهج الجديد في التعامل مع التراث والثقافة، وعددا من المواضيع الجديدة. وقد برز هذا التأثر في مقدمته لرسالته الاولى والتي قال عنها المستشرق هملتون جب (H. Gibb): "كشف في مقدمته لها عن جرأته بمهاجمة أساليب تدريس الادب العربي في مصر" (٢)

ولعل دراسته في فرنسا كانت ضرورية له حيث منحته البعد المقابل للثقافة الشرقية وغاص في أعماق أكثر من حضارة قديمة وحديثة. واكتسب أفضل المناهج. فقد كان تلميذا لدوركهايم وغيره من رجالات الفكر في فرنسا.

كما تأثر فكره بمصر، مصر بصعيدها الفقير وتفتحها على الحضارة حيث واجهت بقايا الاتراك والخديوى والاستعمار الانجليزى، وتأثرت بحربين عالميتين، وبثورة ١٩١٩ بخاصة. وانتصرت في ثورة ١٩٥٢، عاش طه كل هذه الاحداث وكان في فكره صدى لالام وطنه وانعكاسا حقيقيا لتطلعاته.

الى هذا كله تميز طه حسين بوعي عميق لحاجات مصر في نهضتها، وحاجتها إلى تغيير نظرتها إلى جوانب من الحياة كثيرة تقادم عليها العهد، وتراكم فوقها الغبار. وكانت تحتاج إلى جرأة من مفكريها، أن يكونوا عقولا تفكر لا أقداما تتحرك. وكأن طه حسين كان يحس بقدرته على التحدى، وكان له أن ينتصر في معاركه التي خاضها لتبقى مصر وتنهض.

وفكر طه حسين فكر طليعي جمع بين الأصالة والمعاصرة. وهو فكر فيه روح الخصام والمعركة، يميزه أن شخصيته مؤلفة وأسلوبه يبرزان بشكل واضح كمدرسة في الفكر والمعاناة والدعوة إلى الحرية من جهة والأصالة من جهة ثانية، وإن كانت بدايات ذلك ذات سمات عقلية رفيعة دون تماس مباشر بالشعب العادى. وفي مؤلفات طه حسين نزعة توفيقية بين القديم والجديد والعلم والفن. ومنهجه في مقدمته لكتاب "في الأدب الجاهلي"، إن كان قد أثار خلافا في حينه، فهو اليوم منهج ضرورى في البحث والدراسة.

---

١) ذكرى أبي العلاء، المقدمة.

٢) جب هملتون، دراسات في الحضارة الاسلامية، ص٣٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مؤلفاته أيضا هذا التنوع الذي يجعل من الكاتب مفكرا ومؤرخا وناقدا وصحفيا وباحثا إجتماعيا ،غير أنه رغم ذلك كله يبقى (طه حسين)الذي استطاع أن يقدم لحضارتنا فكر الآخرين،وأن يقدم تراثنا بطريقة حديثة دون أن ينجرف نحو الغرب أو ينغلق مع الشرق .

طه حسين مفكر حر ملتزم،ساعده على التزام هذه المواقف ثقافته الواسعة ونزعته التحليلية العقلية وصدقه في التعامل مع الفكر ، فهو لم يكن تابعا لأحد،بل كان ينتمي لمصر والفكر الإنساني بعامة وللفكر العربي الاسلامي قديمه وحديثه بخاصة .

ويمكن أن نلاحظ في مؤلفاته ــ على كثرتها ــ نقاط استقطاب لعل أبرزها :

أولا : العصر الجاهلي : وفيه دارت معركته الأولى،كما درس شعراء هذا العصر في الجزأين الاول والثاني من "حديث الأربعاء". وإذا نظرنا إلى الفترة التي قدم فيها هذه الدراسات،برزت لنا أهميتها من حيث أنها أحدثت هزة عميقة في المسلمات الرئيسية عند دارسي تلك الفترة .

ثانيا : إسلاميات : قدم طه حسين دراسات بارزة عن الاسلام ولكن بأسلوب جديد . ففي "على هامش السيرة" و "الوعد الحق" جمع بين الأسطورة والتاريخ ،كما فعل رينان في كتابه عن السيد المسيح أما في "مرآة الاسلام" و "الشيخان" و "الفتنة الكبرى" فقد اقترب من المؤرخ . وأقدم تاريخ لمؤلفاته الاسلامية هو سنة ١٩٣٣، وآخر هذه المؤلفات هو "الشيخان" سنة ١٩٦٠ .

ثالثا : العصر العباسي : ونذكر هنا أنه لم يهمل العصر الاموي،غير أن اهتمامه بالعصر العباسي كان أكثر . فاذا كان قد كتب في "حديث الاربعاء" فصولا عن الأدب في عصر بني أمية،فإنه اهتم من العصر العباسي بمعالجة الفكر فيه . فقد درس المتنبي في كتابه المعروف، ودرس المعرّي في أكثر من كتاب،كما درس البحتري وأبا تمام،وغيرهم في كتابه " من حديث الشعر والنثر" .

رابعا : الترجمة والثقافة الغربية : وتأخذ حيزا واضحا في كتبه ومقالاته.فقد ترجم رواية "الواجب" لجول سيمون سنة ١٩٢٠، ثم ترجم ودرس عن الفرنسية أيضا "قصص تمثيلية"، و "أندروماك"، و "لحظات"، و "صوت باريس" و "زاديج "، "من ادب التمثيل الغربي" . كما قدم في بحوثه ومقالاته ترجمات شخصية لعدد كبير من الكتّاب والمفكرين . وقد ظهرت هذه الترجمات في كتب فيما بعد . وترجم عن اليونانية "نظام الاثينيين" . كما ألف في الفكر اليوناني حين كتب عن "قادة الفكر" و "آلهة اليونان" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن نعتبر مؤلفاته عن اليونان والفرنسيين ضمن هذا التيار، فقد ذكرنا ما ألف عن اليونانيين، وقدم الى جانب ذلك دراسات أخرى عن الأدب الغربي وكتب عددا كبيرا من المقدمات لما ترجم، وكتاباه "ألوان" و "فصول في الأدب والنقد"، ورحلته "في الصيف" و "رحلة الربيع" تقع ضمن هذا الاهتمام بالثقافات الأجنبية.

خامسا: في التربية والاجتماع: أبرز ما له في هذا المجال رسالته عن "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" التي قدمها إلى جامعة السوربون، ثم ترجمته لكتاب "روح التربية" لسبنسر لوبون، ثم كتابه المشهور "مستقبل الثقافة في مصر".

سادسا: في الأدب الحديث: قدّم طه حسين في هذا الباب مساهمتين رئيسيتين: الأولى في دراساته ومقالاته ومعاركه النقدية. ولعل أبرز ملامح هذه المساهمة نجدها في كتبه: "حافظ وشوقي"، و "فصول في الأدب والنقد"، و "نقد وإصلاح"، و "خصام ونقد"، و "بين بين"، و "كلمات"، و "أحاديث"، و "من أدبنا المعاصر"، و "حديث الأربعاء" "الجزء الثالث".

والجانب الثاني من مساهمته في الأدب الحديث هو موضوع دراستنا، أي ما قدمه في باب الرواية والقصة من حيث آراؤه النظرية ومؤلفاته ومقالاته وبحوثه، حيث يدرج في هذا الباب مبدئيا: "أديب"، و"الأيام"، و"دعاء الكروان"، و"شجرة البؤس"، و" أحلام شهرزاد"، و"الحب الضائع"، و"جنة الحيوان"، و"على هامش السيرة"، و"الوعد الحق"، و"المعذبون في الارض"، و"القصر المسحور" الذي ألفه بالاشتراك مع توفيق الحكيم.

يتبين مما تقدم أن أدبنا قلما عرف أدبيا بمثل هذه الحيوية وهذه القدرة على العطاء، في قلب معركة التطور اللاهبة طوال هذا القرن. وقلما عرف أدبنا أديبا له هذه القدرة على الأخذ من ينابيع الثقافة الانسانية، رغم الظروف التي كانت تمنعه من ذلك. ولعله كان الوحيد القادر على أن ينفق من بعثته على أخيه حامد، الذي كان دليله في باريس، والوحيد القادر أن يجعل فكره فوق منصبه. ولعل الوقوف عند مؤلفاته بالدراسة التفصيلية ككل، هو أفضل وسيلة للتعرف على فكره الذي حكم العقل والمنطق، وأزال القداسة عن القديم إن كانت لمجرد قدمه، والذي فتح من خلاله الباب واسعا لعدد وافر من الدراسات التي تلت ذلك؛ ولعل الدارس عندئذ سيجد في طه حسين أديبا ملتزما متفاعلا مع مجتمعه، واعيا لهواجس البسطاء وأشواقهم نحو الحرية والثقافة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورغيف الخبز،كما كان صالح في "المعذبون في الارض"، وامينة في "دعاء الكروان"،وجلال شعيب(١) في "أديب".

وكان طه حسين مساهما في كل التحولات الضخمة التي حدثت في مصر،خاصة في الصحافة والجامعات،فقد كان في كل المناصب التي تولاها يسعى،إلى تنفيذ برنامجه الفكرى،ومثال ذلك أنه حين تولى وزارة المعارف،سعى إلى تطبيق ما طرحه حول التعليم في مصر . وقد كان يرى أن المصريين يحتاجون إلى من يحمي الاستقلال ويثبت الديمقراطية ويكفل لهم تعليما يتيح لهم الحياة . وبهذا انتقل طه حسين من تمرس بالبحث العلمي في العقد الثاني من هذا القرن،الى داعية إلى الاصلاح التربوى الفكرى الشامل.وقد نفذ ذلك بثورته الاولى (في الشعر الجاهلي)،حتى كاد يقترب في نهاية الأربعينات،من خلال (المعذبون في الارض)،إلى صاحب نظرية اجتماعية. قد يقول الدارسون إن طه حسين استفاد الكثير من المفكرين الفرنسيين، من روسو،ومنتسكيو، وفولتير، ديكارت،وكونت،وسانت بيف، وتين . ونحن إذ نقر لهم بأنه فعل ذلك،فإننا ننظر بإعجاب الى الطريقة الرائعة التي استفاد بها من الغرب،وهي الطريقة التي منحته المنهج ليدرس العرب، تراثهم وفكرهم.ولا نريد أن نطيل الحديث في هذا الباب . فإذا كان طه حسين قد استطاع أن يخدم مصر رغم كل التناقضات الموجودة آنذاك، فهذا هو المطلوب منه . ولعلنا نذكر مرة أخرى أن خلافه مع الوفد كان خلافا لا يسمح لنا بتصنيف طه حسين مع الرجعية المصرية . فقد اختلف طه حسين مع سعد وتحدث عن ذلك في أيامه وعن هجومه على سعد ،لكنه ظل يقر بأنه عاد إلى وطنه مؤمنا بالثورة ودور المثقفين فيها.وهو إلى هذا كله اختلف مع سعد في البداية،لكنه لم يختلف مع مصر على الإطلاق .

ان الدارس يدرك أن هذه الصفحات القليلة لا تغني عن التعرف على آثاره بالتفصيل. فالى جانب آثاره ومعاركه النقدية والفكرية مع جيله وبعد هذا الجيل ،يحسن

---

(١) جلال شعيب هو البطل الذى أدار حوله طه حسين روايته "أديب"، ولم يصرح بذلك إلاّ عام ١٩٧١ في مقابلة أجراها عبد العزيز الدسوقي، ونشرت في "الرسالة الجديدة". انظر "أعلام الأدب المعاصر في مصر"، ١. طه حسين، ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظر إلى هذه المقدمات الكثيرة التي كتبها لعدد كبير من الدراسات والبحوث، وإلى تأثره في الجيل الذى عاش معه استاذا جامعيا وصحفيا لامعا ووزيرا ناجحا . ومن هذه الآثار كلها يستطيع الباحث الجاد أن يفهم طه حسين منذ أن كتب عن المعرى ، وابن خلدون ، وأرستقراطية فتيان قريش، إلى أن غاص في جوانب حياة المتنبي وشعره ، وحتى تعمقه في بؤس شعب مصر وعذاب المنتظرين وعد الله الحق .

وإلى جانب هذا فإن كلا من نقاط الاستقطاب في فكره تحتاج إلى جلاء ، وإلى التعرف على جوانبها الإجتماعية والأسلوبية وملاحظة هذا التعدد المدهش ذى الطابع المثقف ثقافة حقيقية واسعة في النقد والتاريخ والأدب والاجتماع والفلسفة وفكر القدماء والمحدثين . مع أن هذا التعدد يظل ضمن دائرة واحدة هي فكر طه حسين ومنهجه وأسلوبه ، هذا الفكر كله على روعته ، لا أستطيع القول إنه يشكل نظرية اجتماعية أو سياسية واضحة ، ففيه من أرستقراطية العقل والتجديد أكثر مما فيه من الفهم الحقيقي لحاجة مصر والوطن العربي طيلة هذا القرن إلى ثورة اجتماعية حقيقية . ولا نستطيع أن نقول إن فكر طه حسين بجملته - على مساهمته الرائدة - يمكن أن يكون هو الحل الوحيد .

وقراءة هذا التراث يجب أن لا تتم بمعزل عن الجيل الذى عاش معه طه حسين ، مثل : الحكيم ، وهيكل ، والعقاد ، وسلامه موسى ، وساطع الحصرى ، والمازني ، وأحمد زكي باشا ، ولطفي السيد ، وشكيب ارسلان ، وزكي مبارك ، والرافعي . . وذلك أنه مع هذا الجيل تفاعل ، وبهم اكتملت الجوانب التي نجدها عنده في النظرة إلى التطور ، أو في تقديم الفنون الأدبية العالمية ، أو في حمل رسالة التعليم ومحاولة الوقوف في وجه الدكتاتورية والفاشية و"الحق الإلهي" المزعوم للفاشية المصرية في الثلاثينات وبعدها . وكان منطق الساسة الذين رأوا في طه حسين رجلا يتحدى الحكومة بكتابه في "الشعر الجاهلي" ، ممثلا بما يقول عبد الخالق عطية ، أحد نواب البرلمان المصرى ، في مناقشته للكتاب: "إن تصرف هذا الشخص كان أيضا مخالفا للذوق ، فإنه مدرس بالجامعة المصرية وهي معهد أميرى يعيش من أموال الحكومة وهو يتقاضى مرتبه من هذه الهيئة التي دينها الإسلام ، فلم يكن من المفهوم ولا من المعقول أن يقوم هذا الشخص فيبصق في وجه الحكومة" . (١)

---

١) أنور الجندى : المعارك النقدية ، ص٣٤١ ، نقلا عن محضر جلسة مجلس النواب المصرى ، الأهرام ١٤ سبتمبر١٩٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست في مجال مناقشة قضية الكتاب، ولكن في فهم السلطة التشريعية لـــدور الجامعة وأستاذها، وللنصوص، موضع الاعتراض(١)، في الكتاب أوالمآخذ التي أثيـرت على المنهج الذى اتخذه في كتابه وأشار فيه إلى عدم اقحام العواطف الدينية والقوميـة حين نقوم بالبحث العلمي حيث يرى أنه "يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكـــل ما يتصل بها، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية، يجب الآ نتقيـــد بشيء ولا نذعن لشيء الآ مناهج البحث العلمي الصحيح . . ."(٢)

لعل في آرائه ما يؤخذ عليه، ولكن ألا نأخذ على سعد زغلول موقفه الغريب من القضية حين قال: "إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر في هذه الأمة المتمسكة بدينهـــا، هبوا أن رجلا مجنونا يهذى في الطريق فهل يضير العقلاء شيء من ذلك؟! إن هـــذا الدين متين وليس الذى شك فيه زعيما ولا إماما حتى نخشى من شكه على العامـــــة، فليشك ما شاء. ماذا علينا إذا لم تفهم البقر؟!".(٣)

إن هذا الجانب يحتاج إلى جلاء، وهناك جوانب متعددة غيره تحتاج إلـــى توضيح. إنها ليست قضايا طه حسين وحده، فقضية الحرية ما زالت تعاني حتى فـــي مجتمعاتنا، وبعد نصف قرن، وما يزال مفهوم غير ذوى المنطق هو الذى يحكم(٤)

إننا لا نقرأ فكره بمعزل عن أحداث عصره وعطاء معاصريه، لكن هذه تبقى إشارات لموقفه أو أكثر، تحتاج بحوثا جديدة في فكر طه حسين، وفكر مصر كلها، وبخاصة الفتـــرة التاريخية التي عاشها منذ ثورة ١٩١٩ وحتى ثورة ١٩٥٢، دون تسليخ ما بينهما مـــن ثورات ومعاهدات وقضايا سياسية واجتماعية وفكرية، قضايا سياسية حول ثورة ١٩١٩ وتحوله من الأحرار الدستوريين إلى الوفد بعد هذه الثورة بسنوات طويلة، وقضايا اجتماعية فـــي صميم واقع مصر الاقتصادى وتحكم طبقة قليلة بالشعب كله، وقضايا فكرية في صراعه فـــي سبيل الحرية والتعليم مع تنازع التيارات الفكرية القومية والفرعونية ودعوات التغريب. . .

---

١) هذه النصوص منشورة في المرجع السابق، ص٣٣٤-٣٣٧.

٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص ٦٧.

٣) أنور الجندى: المعارك النقدية ص ٣٣٠، نقلا عن الاهرام ٧ نوفمبر ١٩٢٦.

٤) في علاقة طه حسين بسعد أنظر: "الأيام" ٣/١٤٨-١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه الصورة الموجزة لحياته وجوانب فكره المتعددة لها ما يبرر أن يبدأ الباحث دراسته بها . فنحن نجد في رواياته التي ندرسها، صورة صادقة لحياته، بما فيها من مواقف وما واجه من قضايا ومعارك . فهناك ترابط وانعكاس واضحان بين حياته وجوانب فكره، بين الجانب الذي ندرسه، جانب الرواية، وبين حياته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثانـــــي

واقع الرواية العربية قبل طه حسيـــــــــن

لمحـة تاريخيـة فنيـــــة

١ . فجر الرواية العربية (بين الأصالة والإقتباس) .

٢ . مراحل تطور الرواية العربيـــة :

أ : بدايات وروّاد .

ب : إنتقال وتنّـوع.

جـ : نضج وتأصّيـل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . فجر الرواية العربية (بين الأصالة والاقتباس) :

دخل طه حسين ميدان الرواية بعد أن دخله عدد كبير من كتاب مصر ، مع التحفظ على الشكل الفني لما قدموا من روايات ، ومنهم : محمد لطفي جمعة ومحمود طاهر حقي ، والمنفلوطي ، ومحمد حسين هيكل ، وعيسى عبيد ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمود طاهر لاشين ويحي حقي ، ومحمود تيمور . كما دخل هذا الميدان في وقت قريب من دخول الماوتي والحكيم . وحين كتب قصته "شجرة البؤس" ، وقصصه القصيرة "المعذبون في الارض" ، كان نجيب محفوظ وجيله قد أرسوا قواعد الفن الروائي في الأدب العربي .

لذا أرى من المهم أن نقدم لدراستنا هذه عن طه حسين الروائي ، ومكانته في الرواية العربية ، بالحديث في هذا الفصل عن حال الرواية العربية الحديثة ، في هذه الفترة التي سبقت مساهمته في فن الرواية ، أو عاصرت هذه المساهمة .

لا أود في هذه الدراسة أن أدخل في تفصيلات عن الأصول والاتجاهات التي مهدت لظهور هذا الفن في أدبنا ، ولكني سأحاول تلمس الخطوط العريضة ، والمحاور الرئيسية في نشوء فن الرواية العربية . وضرورة معرفة هذه الخطوط والمحاور تكمن في أن هذه الدراسة تهدف ، فيما تهدف اليه ، الى معرفة المكانة التي يمكن أن توضع فيها روايات طه حسين بين الروايات العربية ، كما تحاول الوصول إلى تقييم موضوعي للدور الذي أسهم به في هذا المجال .

ان المؤثرات العامة في النهضة العربية التي ساهمت في تطور مناحي الحياة وفنون الأدب ، هي التي ساهمت في نشوء الرواية العربية ، مع ملاحظة أن الرواية الأوروبية لا تسبق الرواية العربية بفترة طويلة ، إذ لا يتجاوز عمر الرواية في الغرب القرنين ونصف القرن . فالقصة الأوروبية : "عرفت في القرن السابع عشر وليس قبل ذلك ، لذلك نجد أن اياهم في قالب واحد ، هذا يجب أن يكون واضحا ، لأنه يعطينا ثقة أكبر في أنفسنا وفي محاولاتنا ." (١)

ان العودة الى المنابع الأولى للقصص في حياة الشعب العربي وأدبه ، تعود بنا الى الأساطير التي كانت موجودة في العصر الجاهلي ، وجمعت في العصر الأموي في كتاب "التيجان" لوهب بن منبه ، وإلى "بخلاء" الجاحظ ، و "مقامات" الهمذاني ، و "مقامات" الحريري . كما نجدها في السير الشعبية مثل : "سيرة عنترة" ، وسيرة "الزير سالم" ، وسيرة الظاهر بيبرس ، وفي "تغريبة بني هلال" . ولعل هذه المنابع تعود أيضا الى "ألف ليلة وليلة" .

---

(١) الطيب صالح ، من رأى له في ندوة أقيمت في قطر ، ونشرت في مجلة الدوحة ، عدد مايو ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن على الناقد عند نظره في هذه الاثار الاولى في تطور الرواية العربية ،أن يقبل مثل هذه الأشكال ،التي لا تطابق مقاييس النقد الحديث، فلا يمكن للناقد أن ينظر بالمنهج النقدى الواحد الى القصص الحديثة ،وإلى "كليلة ودمنة" ،و"بخلاء" الجاحظ.

في بداية النهضة الحديثة ،استطاعت المؤثرات العامة مثل :الترجمة ،وإحياء الكتب،والمطابع،والصحف،والبعثات،ورجال الفكر أن تهيئ المناخ لتقبل الرواية كفن أدبي جديد له قواعده وشروطه. ولعل هذه العوامل تتفاوت فيما بينها من حيث التأثير في نشوء فن الرواية. اذ يمكن إعتبار ترجمة الروايات الغربية ،والبعثات،عاملين هامين في نشوئها.

إن خلاف الدارسين حول نشأة الرواية العربية الحديثة ،يتضح في تيارين :

أولهما تيار يرى أن الرواية العربية ذات أصول عربية إسلامية ،تمتد في جذورها من قصص الجاهلية الى القصص المترجم في العصر العباسي ثم السير ،وأن القصص المصرى الحديث بدأ في صورة امتداد للقصص الإسلامي الوسيط من حيث الإطار الفني. أما المادة القصصية فقد أخذت بالتدريج في التمقيد ،وقد بدأت في تلك المجموعات التي قلدت "ألف ليلة وليلة" "كتحفة المستنيم"* و"مقامات المارستان" لمحمد المهدى ، و"حديث عيسى بن هشام "للمويلحي" و "ليالي سطيح" ،لحافظ ابراهيم .....

كما بدا ذلك في القصص المنظوم الذى يروى حكايات على ألسنة المجاوات ويرسم مغزى انسانيا ،ممثلا في "اداب العرب" لأبراهيم العرب وفي حكايات شوقي". (١) ويتفق مع الرأى السابق محمود تيمور (٢) ،حيث يرد فن القصة في أدبنا الحديث الى جذور اسلاميه وشعبية ،بما في ذلك القرآن الكريم ،والأسمار والنوادر ،والاساطير ،و"ألف ليلة وليلة".

---

* أشير هنا الى رأى لمحمد زغلول سلام في كتابه "دراسات في القصة العربية الحديثة"، ص٧ ،إذ يقول : "في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر ألف أحد العلماء الذين رافقوها ،وهو المستشرق "مارسيل" ،قصة سماها "تحفة المستنيم" وعزاها الى الشيخ محمد المهدى أحد شيوخ الأزهر وقتئذ ،وأراد بها محاكاة ألف ليلة". ولم يعط زغلول سلام سببا لما قام به هذا المستشرق في نسبة القصة إلى شيخ أزهرى.

١) محمود حامد شوكت: الفن القصصي في الأدب الحديث ،ص٣ .

٢) محمود تيمور: اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة ،ص١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اننا لا نستطيع أن نخالف الآراء السابقة بشكل قاطع في نفي هذه العلاقة ، خاصة وأن عصر النهضة شهد التيارات الرئيسية الثلاثة التي تمثلت في الحفاظ على القديم ورفض غيره ، أو الأخذ بالجديد فقط ، أو محاولة التوفيق بينهما ! فقصص القرن التاسع عشر في مصر ولبنان وسوريا تأثرت بالمقامة ، ومثال ذلك الشدياق في مقاماته في كتابه "الساق على الساق فيما هو الفارياق" ، وناصيف اليازجي في "مجمع البحرين" ، وحافظ في "ليالي سطيح" ثم محمد المويلحي في "حديث عيسى بن هشام" ، وإن كانت مظاهر الاهتمام باللغة والبيان والبديع قد برزت واضحة في معظم هذه المؤلفات . ونلاحظ في هذه الفترة أيضا ، ظهور محاولات تأليف روايات عربية جديدة ، كما فعل فرنسيس مراش الحلبي الذي ألف رواية "درر الصدف في غرائب الصدف" ، وخليل اليازجي في "المروءة والوفاء" ، وهي على ضعفها — متطورة من حيث الفن القصصي إذا ما قيست "بحي بن يقظان" ، و "كليلة ودمنة" ، والسير الشعبية .

غير أن هذا الاتفاق الحذر مع هذه الآراء لا يمنع أن نناقش التيار الثاني ، الذي يرى أن للرواية العربية ، روافد غربية أساسية عن طريق القراءة أو الترجمة التي قام بها كتابنا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وذلك للقصص والروايات الانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والروسية ، وإن كانت النظرة لها آنذاك ، أنها روايات للتسلية أو مجرد فكاهات تحل محل قصص علي الزيبق ، وسيف بن ذي يزن ، والظاهر بيبرس ، ولعل أبرز تأثير للروايات الغربية المترجمة يبدو في محاولة الكتاب العرب تقليدها ، ومن هنا بدأت محاولات فرنسيس مراش ، وسليم البستاني ، وجرجي زيدان الذي يرى " أن أهل هذه النهضة قد أكثروا من نقل هذه الكتب عن الفرنسية ، والانجليزية ، والايطالية ، وهي تسمى في اصطلاح أهل هذا الزمان "روايات" . والروايات المنقولة إلى العربية في هذه النهضة لا تعد ولا تحصى . وأكثرها يراد به التسلية ، ويندر أن يراد بها الفائدة الاجتماعية أو التاريخية . . . " (١)

إن إشارة زيدان هذه تذكرنا بما قام به رفاعة الطهطاوي ، الذي ترجم "مغامرات تليماك" ، وسماها "وقائع الأفلاك في حوادث تليماك" (٢) ، ومحمد عثمان جلال مترجم بعض

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص٥٧٢ — ٥٧٣ .

٢) يرى محمد طه الحاجري أنها أول قصة ترجمت عن اللغات الأوروبية إلى العربية ، وذلك سنة ١٨٦٧ . أنظر "نشوء فن القصة في الأدب العربي الحديث" ، مجلة الثقافة القاهرة ، السنة ٣ ، العدد ٢٨ يناير ١٩٧٦ ، ص٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعمال "موليير" ونجيب الحداد مترجم "غرام وانتقام" عن قصة "السيد" لكورنيي، و"الفرسان الثلاثة" عن قصة لاسكندر ديماس بالعنوان نفسه. ونجيب الحداد هو الذي عرب رواية "إرنافي" لفكتور هوجو وسماها "محمدان"، و"روميو وجولييت" لشكسبير وسماها "شهداء الغرام"، ثم تبعهم على هذه الطريقة المنفلوطي في "بول وفرجيني" "لبرناردين سان بيير، و"ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون" لألفونس كار.. وغيرها. كما ترجم أحمد حسن الزيات "الام فرتر" لجيته، وبعد هؤلاء ساهم عدد كبير من كتابنا في ترجمة الروايات الغربية نذكر منهم: محمد السباعي، وطه حسين، ومحمد عوض محمد، وسهير القلماوي، ولويس عوض، وعبد الرحمن بدوي.

هذه أمثلة لجهود طويلة في ميدان الترجمة عن اللغات الاجنبية مما غذى فكرنا الحديث، ومهد الطريق لكتاب الرواية العربية هذه الجهود الكبيرة التي ساهمت في أن يكون "عدد القصص والروايات التي ترجمت بلغ نحو عشرة الآف قصة" (١).

إن هذه الصورة للترجمة، وما تبعها من مؤلفات باقلام رواد الرواية العربية، جعلت بعض الدارسين لهذه الروافد الغربية، يبدون تحفظا على القول بتأثر الرواية العربية بالجذور العربية الاسلامية، ومثال ذلك ما يراه محمد يوسف نجم من "أن اللبنانيين أهملوا أو كادوا التراث العربي القديم وأخذوا يتطلعون إلى نتاج الفكر الغربي الذي لعب دورا هاما في تحرير شعورهم وعقليتهم". (٢)

ويرى يحي حقي هذا الرأي، عند حديثة عن القصة في مصر، فهو يقول: "لا ضير أن نعترف ان القصة جاءتنا من الغرب وأن أول من أقام قواعدها عندنا أفراد تأثروا بالأدب الأوروبي والأدب الفرنسي". (٣)

ويجعل عبد المحسن بدر آراء الدارسين حول نشأة الرواية المصرية بالربط بين ثورة ١٩١٩ القومية ورغبة المصريين في التحرر الفردي والاستقلال بقوله: "إن تطور الرواية العربية في مصر تأثر إلى حد كبير بمحاولات اكتشاف المصريين لشخصيتهم ومقومات حياتهم

---

(١) محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة، ص٨. وقد أشار سلام في الهامش من الصفحة ذاتها إلى أن يوسف داغر قد جمعها في مجلد ونشر في بيروت.

(٢) محمد يوسف نجم: فن القصة في الأدب العربي الحديث، ص٥.

(٣) يحي حقي: فجر القصة المصرية، ص٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكرية والأدبية وترددهم في هذه المحاولات بين التأثر بتراثهم العربي القديم وبين التأثر بالحضارة الغربية المتفوقة". (١)

إن هذا الرأي الحذر لعبد المحسن بدر، تعارضه آراء بعض الدارسين المحدثين بعنف، فيقول محمود منقذ الهاشمي: "ورغم أن القول بأن الرواية فن أوروبي أخذه العرب في مطلع العصور الحديثة عن الأوروبيين، هو من الأمور الثابتة، إلا أن بعض المحافظين من الأدباء تزعجهم هذه الحقيقة، فينكبون على تأليف الدراسات المختلفة، يريدون أن يبرهنوا على أن الرواية العربية هي تطور للفنون القصصية المعروفة في الآداب العربية... ، إن في التراث العربي أمثلة لا تحصى لوجود القصص والحكايات والأساطير مما قد يمكن لها أن تكون جذورا للرواية العربية، ولكن الرواية العربية لم تنبت عن تلك الجذور، وإنما كانت أثرا من آثار الاتصال بالرواية عند الأوروبيين". (٢)

إن مثل هذا الرأي، بوضع حد قاطع ونهائي كما فعل يحي حقي، أيضا لأمر فيه شيء من البعد عن الموضوعية. فالمقامات حلقة تطور واضحة، فالمويلحي لم يخترع هذه الطريقة بل أوجدها الهمذاني في أدبنا. ويبدان في قصصه التاريخي لم يأخذ القصة التاريخية عن الغرب، وإن أخذها عنهم فهذا لا ينفي إطلاقا ما في تاريخ أدبنا من محاولات لكتابة القصة التاريخية، وليس من العدل في شيء أن نبعد أثر الروايات الغربية في الرواية العربية أيضا، غير أننا لا نستطيع أن ننفي وجود "ألف ليلة وليلة" و "كليلة ودمنة" و "مقامات الحريري"، وانها كانت من مواد الثقافة الأدبية للكاتب العربي في مطلع عصر النهضة، غير أننا في الوقت نفسه لا نستطيع ربط القصة في مصر بثورة ١٩١٩ ورواية "زينب" لمحمد حسين هيكل سابقة عليها.

إن التأثر بالثقافات الأخرى أمر لا يعيب أي شعب أو أية حضارة. والاعتراف بالريادة لأصحابها أمر في منتهى الموضوعية، فآداب الشعوب ليست محددة بالحدود السياسية، ولا خاضعة لقانون المرض والطلب. إنها حلقات واضحة، فالكاتب الحقيقي خلاصة حضارة منفتحة، لا مجموعة آراء محدودة ثابتة. والتراث ليس شيئا نرثه ونضع له حسابات، بل هو شيء نكتسبه بالجهد والتعب والمثابرة، فالحاضر امتداد للماضي، ونتاج الحاضر هو إضافة حقيقية للماضي وتنمية له، ونوافذ تفتح على المستقبل.

---

(١) عبد المحسن بدر: تطور الرواية العربية، ص. ٤٠.

(٢) محمود الهاشمي: دراسة في نقد الرواية، مجلة المعرفة، دمشق، عدد ١٥٠، آب ١٩٧٤، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن قضية نشوء الرواية قضية هامة في أدبنا ،فليست هناك نهضة تلقائية أو تطـــور بلا مبررات. فاستفادة الرواية العربية من الأصول الأولى في تراثنا أمر وارد، وبالذات في قضية الشكل واللغة والتاريخ والأسطورة. لكنها استطاعت تجاوز الشكل القديم وطرائـــق العرض والدرس والتحليل ،وهذا مطلب أساسي كي يكون للرواية أن تقدّر باعتبارها فنـــا يسعى إلى إثارة الاهتمام بقضايا الانسان وتلاحمه مع حضارته وإنسانيته. هذا التلاحـــم الذى صورته بعض رواياتنا الحديثة مثل موسم الهجرة إلى الشمال".

وظهور الرواية يبدو ــ في رأى الدارس ــ أنه جاء في الوقت المناسب له ،فنحن لا نستطيع الهجوم على القدماء ،لأنهم لم يقدموا لنا هذا الفن،فلهم أساليبهم وظروفهم ،كما لا نستطيع مطالبة المتأدبين في القرون الثلاثة السابقة للنهضة أن يخرجوا عن إطـــار "سيرة الظاهر بيبرس" أو حكايات "بني هلال".

إن التطور الذى مسّ بلهيبه الأرض العربية وإنسانها ،والهزات السياسية والاجتماعية والفكرية منذ حملة نابليون،هي التي ساهمت في خلق الانسان العربي الجديد ،الباحـــث عن مستقبل من خلال التركيب الاجتماعي الذى مزقه الاستعمار بكل وجوهه في مصر وسوريـا والعراق وفلسطين وشمال أفريقيا ،فدخلت الرواية العربية في هذا القرن هذا الميـــدان من الصراع،والأذهان مستعدة لتقبل الجديد، رغم دعوة السلفيين والمقلدين للتمســـك بالقديم. لكن الرواية نجحت في تخطي هذه الحواجز ،وأصبحت إلى جانب الشعر ،ولأول مرة ،منافسة له على قرائه ،معبرة أكثر منه عن الواقع.

إن رواية "زينب" (١) لمحمد حسين هيكل ،التي نشرها سنة ١٩١٤ باسم "مصرى فلاح"،هي أول رواية عربية ذات شكل فني فيه شروط الفن الروائي الحديث ،كما يجمع على ذلك دارسو الرواية في أدبنا الحديث ،ولعلها،في رأيهم،أول رواية عربية بالمعنى الحديـــث

---

(١) كتبها في "باريس ولندره وجنيف" بين نيسان ١٩١٠ وآذار ١٩١١، ويقول إنـــه كان فخورا بها وكان يعتقد أنها فتحت في الأدب العربي فتحا جديدا.
أنظر في ذلك:
١. مقدمة "زينـــــب".
٢. "السياسة الأسبوعية"، عدد ٥ أبريل ١٩٣٠، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للرواية ،حتى وأن تنكر لها صاحبها في البداية ونشرها باسم "مصري فلاح". (١)

٢. مراحل تطور الرواية العربية:

من خلال ما تقدم، يمكن أن نرصد المراحل التي مرت بها الرواية العربية الحديثة في مسيرة تطورها منذ بدايات النهضة الواضحة في النصف الثاني من هذا القرن الى الفترة التي كتب فيها طه حسين آخر مساهماته القصصية "المعذبون في الأرض" (١٩٤٨)، والجزء الثالث من أيامه (١٩٥٥)، وذلك على النحو التالي:

أ. بدايات وروّاد:

نرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية الاهتمام الواضح بفن الرواية، وذلك باهتمام الصحافة بشتى الروايات، ومساهمة الأدباء في كتابتها، وإن كانت هذه المحاولات قاصرة من الناحية الفنية عن الوصول إلى مستوى فني مقبول، فهي ذات أهمية في فترة الريادة. ويمكن أن نذكر من هذه المحاولات ما قدمه رفاعه الطهطاوي في "تخليص الابريز في تلخيص باريز"، وعلي مبارك في "علم الدين" وشوقي في "ورقة الآس"، كما نجد روايات سليم البستاني في مجلة الجنان (١٨٧٠-١٨٨٤) ومنها: "الهيام في جنان الشام"، و"زنوبيا" و"بدور"، و"أسماء"، "الهيام في فتوح الشام"، وقد ساهمت مجلات أخرى في نشر الروايات، وكانت هذه المساهمة مختلفة من مجلة إلى أخرى، فبينما كانت "المشرق" (١٨٩٢) ترفض هذا الفن، كانت "الهلال" و"النفائس" و"لسان الحال" و"اللطائف" وغيرها تساهم بحدود. وفي النصف الثاني، من القرن الماضي، أيضا نشر الشدياق "الساق على الساق فيما هو الفارياق"، ونشر ناصيف اليازجي "مجمع البحرين" متخذين من أسلوب المقامة وسيلة للتعبير عن بعض القضايا وعن إمكاناتهم اللغوية.

---

(١) من الذين أشاروا إلى أهمية زينب" كل من:

عبد المحسن بدر: تطور الرواية العربية الحديثة، ص ٢٠١.

أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، ص ٢١١.

يحي حقي: فجر القصة المصرية، ص٣٧.

هاملتون جب: دراسات في حضارة الاسلام (الترجمة العربية) ص٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمر تيار المقامة هذا حتى كتب فيه المويلحي "حديث عيسى بن هشام"، وحافظ ابراهيم "ليالي سطيح". وإن كنّا نلمح عند المويلحي صراعا خفيا من حيث الشكل بين المقامة من جهة، وبين الرواية التي بدت بعض بذورها في كتابه. ويمكن أن نعتبر مع هذه البدايات الأولى ذات الفضل الريادي محاولات شوقي المنظومة، ومحاولة إبراهيم المويلحي في "آداب العرب"، فتكون الريادة هنا لفن المقامة واضحة، فهي عند عدد كبير من كتاب هذه الفترة وسيلة تعبير. وإن لم يكن في كل هذه المحاولات الأصلية أو المترجمة أي نضج فني حقيقي، يمهد لظهور رواية عربية، فالطهطاوي حين كتب عن باريس وحين ترجم عن فينلون "مغامرات تليماك"، لم يرتفع بمستوى فن الرواية إلى الأمر الذي يمكننا إعتباره رائدا حقيقيا لها، وإن رأى فيها الدارسون كما رأوا في "علم الدين" لعلي مبارك، و"حديث عيسى بن هشام" للمويلحي، و"ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم، نموذجا للرواية التعليمية (١).

ومن الجدير بالاهتمام أن هذه البداية المعقولة، قياسا على الزمن الذي كتبت فيه، تبرز فيها ملاحظة واضحة، وهي أنها مدينة بشكلها الفني للمقامة العربية القديمة، أكثر مما هي مدينة للرواية الغربية الحديثة. كما أن مضمونها لم يصل إلى مرحلة التعمق في الحياة الاجتماعية، وتحليل الشخصيات، ذلك أنها كانت جزءا من تطور عام، لامس الفنون الأدبية الحديثة، ولكن التغيير احتاج إلى فترة طويلة حتى وصلت الرواية الى مرحلة من النضج متقدمة.

وإلى جانب هذا، تجدر الاشارة إلى أن تراثنا الأدبي بمقاماته، وأخباره، وسيره، وأدب الرحلات فيه، يمكن اعتباره المؤثر الهام في مثل هذا التطور، في هذه المرحلة بالذات، التي يمكن اعتبار "حديث عيسى بن هشام"، و"ليالي سطيح" نهاية طبيعية لها. أي أن هذه المرحلة تبدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتنتهي في مطلع القرن العشرين. ولهذا يمكن أن يضاف لها بعض روايات زيدان التاريخية، فقد نشر بين عامي ١٨٩٣-١٩٠٥ ثلاث عشرة من رواياته التاريخية. وما كتبه فرح أنطوان حيث نشر كلا من "الدين والعلم والمال"، و"الوحش" في سنة ١٩٠٣ (٢).

---

(١) عبد المحسن بدر: تطور الرواية العربية الحديثة، ص ٥٧.

(٢) قدم عبد المحسن بدر في كتابه "تطور الرواية العربية الحديثة" فهرسا بالروايات العربية التي ظهرت في مصر بين عامي (١٨٧٠، ١٩٣٨)، أنظر ص ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ انتقال وتنوع:

إذا كانت المرحلة السابقة تشمل النصف الثاني من القرن السابق وحتى السنوات الأولى من القرن العشرين ،فإن هذه المرحلة تمتد من نهاية سابقتها ـعلى وجه التقريب ـ وحتى ظهور "عودة الروح" لتوفيق الحكيم.

في هذه المرحلة نلاحظ التنوع في موضوعات الروايات المنشورة من تاريخية واجتماعية ،كما يلاحظ التنوع في المدارس الأدبية :من واقعية ،ورومانسية ،واتجاه نحو التحليل ،أو السيرة الذاتية. برز فيها اهتمام بالتعريب والترجمة ،وشهدت طلائع البعثات الى الغرب والاهتمام بالتعليم ،وظهور البورجوازية العربية ، وهذه كلها أخذت تمهد لتقبل فن الرواية المستجد بين الفنون الأدبية التي كانت السيادة فيها للشعر والمقالة.

في هذه المرحلة برز المنفلوطي ،ومحمد عثمان جلال ،واستمر زيدان في كتاباته في القصة التاريخية ،وكتب محمد لطفي جمعة "في وادي الهموم" سنة ١٩٠٥ ،وكتب محمود طاهر حقي "عذراء دنشواي" ١٩٠٦ ،فزيدان مثلا نشر بين عامي ١٩٠٧ و ١٩١٤ إحدى عشرة قصة ونقل المنفلوطي ـ بطريقته الخاصة ـ عددا من الروايات الفرنسية مثل : الفضيلة ،مجدولين ،في سبيل التاج ،الشاعر، كما نشر النظرات والعبرات. وهو في هذا مختلف في طريقة التعامل مع النص الروائي عن محمد عثمان جلال مترجم "بول وفرجيني" و "خرافات لافونتين" ،وعن ترجمات الطهطاوي ونجيب حداد وحافظ ابراهيم والمازني.

في هذه الفترة ظهرت "زينب" لمحمد حسين هيكل ،التي كتبها في باريس بين عامي ١٩١٠ ،١٩١١ ،ونشرها باسم "مصري فلاح" ١٩١٤ ،ونستطيع أن نعتبر تاريخ ظهور "زينب" بداية للرواية الفنية في مصر. غير أن الذي يمنع من الانطلاق من هذا التاريخ ،هو أن الرواية المصرية بالذات عانت بين ظهور "زينب" وظهور "عودة الروح" سنة ١٩٣٧ من فترة جزر واضحة. فقد "تعثر مسار الرواية في مصر ، إذ لا تظفر بعد ذلك إلا بمحاولة ساذجة لعيسى عبيد وهي "ثريا" سنة ١٩٢٢ ، ثم رواية تاريخية لمحمد فريد أبو حديد وهي "ابنة المملوك" ،وأخيرا رواية "إبراهيم الكاتب" للمازني ،وهي التي تنتهي في رأينا دور الفجر ليبدأ دور جديد ،هو دور النضج بظهور "عودة الروح" لتوفيق الحكيم سنة ١٩٣٣." (١)

---

(١) طه وادي : مدخل الى تاريخ الرواية المصرية ،ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا طالت فترة الجزر هذه وإن ظهرت فيها أيضا بعض مؤلفات المنفلوطي، كما ظهرت أيضا مدرسة للقصة من أحمد خيري سعيد، ومحمود طاهر لاشين، ومحمود عزت، وحبيب زحلاوي، وسعيد عبده، وعيسى وشحاته عبيد، وحسين فوزي، ويحيى حقي، ومحمود تيمور، وعلي عزار "مدرسة الديوان" في الشعر، وقد أصدر هؤلاء صحيفة "الفجر" سنة ١٩٢٥. "لكن الملاحظ أن إنتاج هذه المدرسة لا يتساوى مع ثورة الفكر الأدبي وتقدميته التي نادوا بها. كما أن إنتاجهم كان قليلا وغير منتظم. ومن سوء الحظ أن هذه المدرسة سرعان ما انتهت، ويبدو أن هناك صلة "بين فشل هؤلاء الرواد وفشل الثورة السياسية ١٩١٩."(١)

بهذا يمكن أن يعلل هذا الاقلال في العطاء خاصة بظهور اضطراب واضح في مصر في الفترة بعد ثورة ١٩١٩.

جـ - نضج وتأصيل:

بظهور "عودة الروح" تبدأ هذه المرحلة، وهي مرحلة تسير في تيارين: واقعي، ورومانسي، فيتشكل كل منهما في تيارات كالرواية الاجتماعية العاطفية، أو التحليلية الرومانسية، أو التاريخية الرومانسية. ففي التيار الرومانسي الذي يميل الى التحليل الاجتماعي ظهرت عدة روايات في مصر نذكر منها: "الأطلال" لمحمود تيمور سنة ١٩٣٦، "باب القمر" لابراهيم رمزي سنة ١٩٣٦، "وسارة" للعقاد سنة ١٩٣٨ "وعصفور من الشرق" للحكيم سنة ١٩٣٨، "ونداء المجهول" لتيمور سنة ١٩٤٠ "وابراهيم الثاني" للمازني سنة ١٩٤٣، كما ظهرت أيضا روايات لكل من محمد فريد أبو حديد، وعبد الحميد جودة السحار، وعلي الجارم، وعلي أحمد باكثير. وقد أدرج الدكتور طه وادي ضمن هذا التيار روايات طه حسين "دعاء الكروان" و"أحلام شهرزاد"، و"شجرة البؤس"(٢). وإن كنا نحن لا نرى هذا الرأي معه. وقد عاد طه وادي فصنفها في تيارات ضمن إطار التيار الرومانسي، فوضع دعاء الكروان في باب الرواية الاجتماعية العاطفية، وأحلام شهرزاد في باب الرواية الرومانسية التاريخية، وسنبين في فصول هذه الدراسة تصور الدارس لتصنيف روايات طه حسين من حيث مضمونها وشكلها.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧، ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبرز في التيار الواقعي ،كما يرى الدكتور طه وادى ، "حواء بلا آدم" لمحمود طاهر لاشين و"يوميات نائب في الأرياف" للحكيم سنة ١٩٣٧ ،و"عبث الأقدار" "لنجيب محفوظ" سنة ١٩٣٩ ،و"صرخى البؤس" لمحمد أحمد عيسى ١٩٤٠ ،و"قنديل أم هاشم" ليحي حقي ١٩٤١ ،و"زاد وبيس"و"كفاح طيبه" لنجيب محفوظ عامي ١٩٤٣و ١٩٤٤ ثم أخيرا " مليم الأكبر" لمازل كامل ١٩٤٤ . (١)

ويلاحظ هذا العطاء الزاخر بين عامي ١٩٣٣و١٩٤٤ ،رغم قصر المدة الزمنية بالنسبة للمرحلة السابقة ، كما يلاحظ في هذه الروايات تنوع ووعي لهذا الفن ،وإن كنا لا نجد بينهم من قصر أدبه على فن الرواية . ولم يكن نجيب محفوظ حتى هذا التاريخ الموافق لنهاية الحرب الثانية قد وضّح هل سيلتزم بهذا الفن الروائي أم لا .

ويلاحظ أيضا توقف بعض الرواد عن المساهمة في هذا الفن كالعقاد ،وطه حسين الذى لم ينشر سوى "المعذبون في الأرض" ،و"الوعد الحق" بعد هذا التاريخ ،ولم يقدمهما على أنهما في باب فن الرواية أو القصة القصيرة .

وبعد هذا التاريخ ،وحتى ثورة ١٩٥٢ ،ظهرت مجموعة من الروايات في مصر ،بعضها لجيل كان يساهم من قبل ،وبعضها الآخر لجيل بدأ المساهمة في هذه الفترة .

قدم نجيب محفوظ "بداية ونهاية" سنة ١٩٤٦ ، وقدم يوسف السباعي "إنى راحلة" سنة ١٩٥٠ ،كما استمر تيار الرواية التاريخية عند على أحمد باكثير ومحمد فريد أبو حديد ،ومحمد سعيد العريان ،وعبد الحميد جوده السحار ، وتعمق تيار الواقعية عند نجيب محفوظ ، وامتزجت الواقعية بالرومانسية في أعمال محمد عبد الحليم عبد الله ،الذى اشترك في ذلك مع يوسف السباعي والسحار .

وفي هذه الفترة بدأت النظرة لهذه الروايات تأخذ طابعا أكثر قبولا من قبل ، وأخذ القراء يدركون دور الرواية ومساهمتها في التعبير عن قضايا الإنسان في المجتمع الذى فيه يعيش . كما أن الأعمال الروائية ذاتها بدأت تأخذ دورها ،من خلال وعي الكتاب لفنية العمل ،وتطويرهم للشكل ،وفهمهم للمضمون ،بحيث أصبحت روايات هذه الفترة حلقة تصل ما قبل ثورة ١٩٥٢ بما بعدها ،من تغييرات في المجتمع المصرى . فساهم هذا الجيل مع جيل ما بعد

---

(١) المرجع نفسه ،ص٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثورة في نقل المضمون إلى واقع انسان الثورة الفلاّح والعامل ، وصراع إنسان مصر في سبيل الحرية ، وبرز ذلك في روايات هامة أعقبت الثورة أهمها: رواية عبد الرحمن الشرقاوى "الأرض" ١٩٥٤ ، و"قلوب خالية" ١٩٥٧ ، و"الشوارع الخلفية" ١٩٥٨ وروايات يوسف إدريس "قصة حب" و"جمهورية فرحات". حيث أخذت هذه الأعمال تتميز بوحدة المنظر ، وترابط الوصف ، والاهتمام بالبعد الانساني للقضايا المطروحة ، ممّا أخرجها من دائرة الرومانسية والتركيز على الذات إلى دائرة المجتمع ، ونذكر في هذا المجال أيضا استمرار يوسف السباعي ، وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ في الكتابة ، مع ظهور روايات أخرى لفاروق خورشيد "سيف بن ذى يزن" ، وأمين ريّان "المعركة" ، ومصطفى محمود "مائة ساعة في الجحيم" ، ومحمد زكي عبد القادر "ابو منديل" ، وفتحي غانم "الجبل" ، وصالح مرسي "زقاق السيد البلطي" ، وعبد الحكيم قاسم "الأيام السبعة" ، وعنايات الزيات "الحب والصمت" ، وعليّة هاشم "صراع في الأعماق" ، وغيرهم من كتاب الرواية . وقد توزعت اهتماماتهم في قضايا ما قبل الثورة ، والقضايا التي برزت بعدها .

لقد ساهم هؤلاء الروائيون في تغيير الشكل "من حيث عدم التقيد بالترتيب الزمني ، أى حرية التقديم والتأخير ، واختلاط الحلم بالواقع ، والأسلوب المشحون بالايحاء والرمز مما يسمح بتأويل العمل الفني تأويلات شتى ، واستخدام أكثر من ضمير" (١)

هذه الصورة الموجزة عن الرواية في مصر ، تكتمل بالاشارة إلى أن واقع الرواية قد تغير بشكل واضح في مصر ، كما كان يتغير في الوقت ذاته في العراق وسوريا . فقد تغيّر واقع الرواية العراقية عن بدايات محمود السيد سنة ١٩٢٠ ، تغير بمساهمات جعفر الخليلي ، وذو النون أيوب ، وعبد الحق فاضل ، وشاكر خصباك ، وعبد الرحمن الربيعي (٢) . كما تغيّر في سوريا عن روايات نعمان القساطلي ، وشكرى العسلي ، ومعروف الأرناؤوط ، وشكيب الجابرى ، تغيّر هذا

---

(١) يوسف الشاروني : الرواية المصرية المعاصرة ، ص٢٤ .

(٢) أنظر : يوسف عز الدين : الرواية في العراق ، تطورها وأثر الفكر فيها ، ص٢٩١ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تغير هذا الواقع في العقود الثلاثة الاخيرة بظهور عبد السلام العجيلي، وحنا مينه، وفاضل السباعي، وحليم بركات، ومحمد وحيد عدوان ومطاع صفدي، وهاني الراهب، وصدقي اسماعيل، وزكريا تامر.(١)

ان اسم طه حسين لم يبرز في كل ما تقدم، ذلك لانه موضوع الفصول التالية من الدراسة، حيث سنتناول بالدرس والتحليل كتبه ذات الطابع القصصي، بدءا بالأيام سنة ١٩٢٦، وحتى ظهور الوعد الحق سنة ١٩٥٠. ولعلنا نتمكن من خلال هذا التحليل من التعرف على مكانته بين الروائيين العرب، فمساهمته معهم جزء من العمل الكبير الذي قاموا به، وهم الجيل الذي سبقه ثم جيله، والذين حملوا الراية بعدهم مثل ثروت أباظة ونجيب محفوظ ويوسف ادريس في مصر، وتوفيق يوسف عواد، وسهيل ادريس في لبنان (٢)، حيث اخذوا مسؤولية فن القصة وتطويرها من الرواد أمثال فرح أنطون، ويعقوب صروف، وامين الريحاني، مع استمرار طلائع القصة اللبنانية عند كرم ملحم كرم، وخليل تقي الدين، ومارون عبود وغيرهم.

وفي سوريا، استمرت جهود الطلائع حتى اصبحت الرواية اليوم في سوريا ذات صورة عربية واضحة، وفيها انتماء وصدق نجد هما حين نقرأ حنا مينه، وزكريا تامر وغيرهما.(٣)

وفي العراق، لم يكن التطور اقل مما هو في مصر وسوريا، ولبنان (٤) ولعل في هذا التطور ما يعزز التفاؤل الذي أبداه طه حسين ذات مرة، فقد أبدى عدم ارتياحه أولا لمحاولات المويلحي، ومحافظ ابراهيم، لكنه أبدى هذا التفاؤل حول مستقبل الرواية العربية الحديثة وانتقالها الى مرتبة عالمية.

يقول عن المويلحي ومحافظ ابراهيم: "وقد حاول بعضنا ان يحدث في الأدب فنا جديدا، فحاول المويلحي رحمه الله ان ينشيء قصة فأنشأ مقامة طويلة، وحاول حافظ رحمه الله ان يتحدث الى سطيح فلم يصنع شيئا". (٥)

---

١) انظر: جورج سالم: "مدخل الى الرواية والقصة في القطر العربي السوري"، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ١٤٦، نيسان ١٩٧٤، ص٧٠.

٢) انظر: سهيل ادريس، القصة في لبنان.

٣) انظر: شاكر مصطفى: محاضرات عن القصة في سوريا حتى الحرب العالمية الثانية، عدنان بن ذريل: أدب القصة في سوريا.

٤) انظر: يوسف عزالدين: الرواية في العراق، تطورها وأثر الفكر فيها. عبد الاله أحمد: نشأة القصة وتطورها في العراق.

٥) طه حسين: الوان، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنه يرى في فترة ما بين الحربين تطورا هاما في القصة العربية حين يقول : ". . وسألنا أنفسنا شاعرين بذلك أو غير شاعرين ، ما بالنا لا نقصّ في لغتنا كما يقص الاوروبيون ، والأميركيون في لغاتهم ؟ ، ثم حاولنا مقلدين أوّل الأمر ، مبتكرين بعد ذلك ، وإذا نحن نبلغ من الاجادة في هذا الفن حظا عظيما ، وإذا قصصنا يشيع في الشرق العربي ثم ينقل إلى الغرب الأوروبي ، وإذا قصصنا يختلف في موضوعه وأغراضه ومذاهب الكتاب فيه ، على نحو ما يختلف القصص الأوروبي في هذا كلّه ، وإذا نحن قد دفعنا شاعرين أو غير شاعرين إلى أن نسمو بأدبنا العربي إلى مكانة الآداب الحيّة الكبرى ، وبلغنا من ذلك حظا ليس به بأس وإن لم نبلغ من ذلك ما نريد . ومتى بلغ الناس ما يريدون ؟" (١)

هذا الرأى له في تطور الرواية العربية في مصر مشروط ، ذلك أنه يرى أن لغة الرواية العربية في مصر يجب أن تكون اللغة العربية الفصحى ، فهو يرى إلى جانب رضاه عن القصة العربية "أن تكون دائما باللغة الفصحى ، حتى لا نحاول أن نترجمها إذا أردنا نقلها إلى البلاد العربية الأخرى التي بدأنا نتوعد معها ، ونتداخل وإياها في كل شيء" (٢) فهو مهتم بلغة القصة العربية ، وهذا الاهتمام نجده في اعجابه الذى يبديه بالقصص العربي القديم الذى يرى فيه جمالا "ليس أقل من جمال الالياذة والأوديسا" (٣) ويرى في هذا القديم مزايا كثيرة وبخاصة في الشعر القصصي . وهو يتفق في هذا الاهتمام بالقصص العربي القديم مع محمد حسين هيكل مؤلف "زينب" ، حيث تحدث عن خطأ الدارسين في اتهام الأدب العربي بأنه يخلو من فن القصص ، حيث يرى أن القصص قديم "وهو في الحقيقة قوام الأدب العربي المنثور كلّه" (٤)

هذا الحديث عن بعض آراء طه حسين في تطور الرواية العربية له أهمية واحدة ، هي أنه يمثل اهتمام طه حسين بمسار الرواية العربية دون أن يحاول التأريخ لها ، اذ لا نجد في كتبه ومقالاته محاولة لاستقراء شامل لهذا الفن وتطوره وأهميته ، ولعله اكتفى بمساهماته في هذا الفن ، وشغل عن تأريخ القصة بنقدها .

---

١) المرجع نفسه ص٢٨ .

٢) الهلال ، عدد مايو ١٩٥٧ ، ص٧ .

٣) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص١٦ .

٤) محمد حسين هيكل : ثورة الأدب ، ص٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كل ما تقدم حول الرواية العربية قبل طه حسين ، تبز ملاحظات هامة يمكن أن نوجزها على النحو التالي :

١ . ليس من السهل القطع برأي في قضية نشأة الرواية العربية . فالدارسون منقسمون بين الأصالة والإقتباس. وهذه القضية على أهميتها للمؤرخ ، تظل أقل أهمية للناقد ، لأنه ينظر من خلال تصوره للعلاقات الحية المتفاعلة بين الفكر الإنساني بجوانبه المختلفة . فيرى أن الرواية العربية ، وإن وجدت لها بعض الجذور في تراثنا القديم كالمقامة ، والسيرة ، و"ألف ليلة وليلة" ، فإنها متأثرة بالرواية العالمية تأثرا لا يجعلنا نرى أن "أوروبا هي التي جادت على الإنسانية بذلك الفن . فالأصح منطقيا أن فن القصة نشاط إنساني عام لا يمكن أن تحتكره لغة . . ." (١)

إن دراسة تاريخ الرواية العربية يجب ألاّ تنقطع إلى تلمس المضامين ، دون النظر إلى الناحية الفنية التي تبعد كثيرا من الحكايات ، والأسمار ، والخرافات عن فن القصة . والإهتمام بالناحية الفنية يجب الاّ يكون بمعزل عن طبيعة اللغة العربية وآدابها وتطورها ، والمؤثرات العامة في هذا التطور وأبرزها التأثيرات الأجنبية التي أوصلت الرواية العربية في فترة ما بين الحربين إلى تطور خلصها من كثير من الزوائد ، وأرسى معمارها الفني بصورة أدق . كما تخلصت بسبب المؤثرات الأخرى الاجتماعية والفكرية ، من "ثنائية الثقافة وثنائية الشخصية ، وثنائية ازدواج الشاعر" (٢)

٢ . إن تطور الرواية هو رد فعل إيجابي لتغير حضاري في الواقع العربي ، كانت مبرراته نابعة من التغيرات العميقة في البنية الاجتماعية العربية ، ومن الاتصال المكثف بالغرب . إضافة إلى كل المعاناة التي عاشها الإنسان العربي في هذا القرن ، التي تبرز في "قنديل أم هاشم" ليحي حقي ، و"زهرة العمر" للحكيم ، و"اللص والكلاب" لمحفوظ و"الحرام" ليوسف أدريس ، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح ، ليصبح فن القصة العربي مظهرا من مظاهر الفكر العربي ، ومن صنع الانسان العربي ذاته .

---

١) علي شلش: "القصة عند العرب" ، مجلة الآداب ، العدد ١١ ، ١٩٦٩ ، ص١٨ .

٢) عبد الرحمن ياغي : الجهود الروائية من سليم البستاني الى نجيب محفوظ ، ص٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . إن هذا التصور الموجز للرواية العربية ، ليس الغرض منه أن يكون تأريخا لتطور هذه الرواية ، بل محاولة لرسم المعالم الرئيسية لها ، خدمة للفصول القادمة عن طه حسين . فإذا كنا قد اشرنا في الصفحات السابقة إلى بعض اهتماماته في القصة العربية ، فإن الفصول القادمة محاولة أخرى لتوضيح هذه الآراء بشكل أكثر تفصيلا ، ومحاولة لتحليل آثاره في هذا الفن ، لعلنا نستطيع أن نميز المكان الذى يمكن أن نضع فيه رواياته بين تاريخ الرواية العربية بشكل عام ، والوقوف عنده لا يعني البقاء معه ، "فمع أن جذور الحركة الأدبية الحديثة في مصر نبتت من الماضي ، إلا أن الشجرة لا تفقد جمالها وقيمتها لأن جذورها مختبئة تحت الثرى ؛ وهذا الرأى يصح على الأخص في هذه المحاولات التي تبذل لإلباس القصة المصرية ثوبا قديما" . (١)

من هنا ننظر إلى دور طه حسين ، ناقد الرواية وكاتبها ، الى مدى ارتباطه بمن سبقه من كتّاب الرواية ، ومدى مساهمته في هذا الفن ، وتأثيره فيمن جاءوا بعده ، سواء تمثل هذا التأثير بمساهماته النقدية أو الروائية .

والفصل التالي محاولة للتعرف ، من خلال دراسة آثاره ، على نظرية أو آراء طه حسين في فن الرواية . والهدف من هذه المحاولة أن نرى مدى مساهماته النقدية التي نريد أن تكون تمهيدا لفصل آخر عن مساهماته الروائية .

---

١) كولين بالي : رأى انجليزى في القصة المصرية ، الهلال ، عدد مارس ، ابريل ١٩٤٣ ، ص٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

طه حسين وفن الرواية

١. في النظرية .

٢. في التطبيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ . فن النظريـــــة :

أ ـ حرية الفن والفنـــان :

ان الفن عند طه حسين يخضع الأديب لسيطرته ، بينما الفن ذاته ليس عليه سلطان ولا تحدّه قواعد . ولذلك فان الأديب الحرّ ينتج أدبا حرا . وهذا الأدب الحـــر لا ينمو الا في بيئة حرة (١) وقد دافع طه حسين عن حريته وحرية الفكر والنقد ، فهو لا يقبل أدبيا غير حر .

وفي دراسات طه حسين الكثيرة للأدبين العربي والغربي ، مجال واسع لتتبـــع آرائه فن القصة ، غير أن هذه الآراء تحتاج لدراسة متكاملة من خلال منهج طه حســـين النقدي ، لذلك سأقصر الحديث على نظرته لفن القصة ، وكما قلت سابقا ، من خـــلال رواياته . فعملية الابداع ذاتها شيء شبيه بالمرض الذي يلح على صاحبه . فهو فـــي الصفحة الأولى من " أديب " ، يرى أن الأديب يهمه أن يصل بين نفسه وبين النـــاس ، ذلك " لأنه مريض بهذه العلة التي يسمونها الأدب . فهو لا يحس لنفسه وانما يحـــس للناس ، وهو لا يشعر لنفسه وإنما يشعر للناس ، وهو لا يفكر لنفسه وإنما يفكر للنـــاس ، وهو بعبارة واضحة لا يعيش لنفسه وانما يعيش للناس . " (٢)

وهذا التعليل لموقف الأديب من الناس ، يتبعه بتصور أدق لمبررات الخلق والابداع عند أي أديب . فهو يرى أن الأديب يكتب " لانه أديب لا يستطيع أن يعيش الا اذا كتب ، يكتب لأنه محتاج الى الكتابة ، كما يأكل ويشرب ويدخن لأنه محتاج الى الطعـــام والشراب والتدخين ، وهو حين يكتب قلما يفكر فيما يحسن ان يكتب ، وما ينبغي الا يعرفه القرطاس او يجرى به القلم . . . . إنما هي حاجة تضطره الى الحركة فيتحرك ، وتدفعه إلى العمل فيعمل . (٣)

من هنا لا يرى طه حسين ان الأديب متكلف أو مختار في أدبه ، وهو بهذا يحرر الأديب من الظروف حوله ، ويجعله فنانا لا عاملا ، حين يقر بأن الفن طبيعة لا تكلف .

---

١) طه حسين : حديث الأربعاء جزء ٣ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

٢) طه حسين : أديب ص ٧ .

٣) المصدر نفسه ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الاصرار على الحرية بماثله هذا الإصرار على تحطيم قواعد النقد التي وضعها أرسطو، فطه حسين ضد قواعد أرسطو في الزمان والمكان والحدث. ولعل لثقافته الفرنسية أثرا في ذلك، وبالذات كورنيه صاحب "السيد (Lecid)"، الذي حطم هذه القواعد وكان يقول "من نفسي وحدها سأتخذ القانون، وإني مدين في شهرتي لنفسي".(١)

وتكاد دعوة طه حسين للحرية أن تصل إلى أبعد الحدود حين يقول: "وأنا حريص كل الحرص على أن أكون من أصحاب الفوضى في الأدب، لأني لا أستطيع أن أتصور الأديب على غير هذا النحو، ولا أستطيع أن أنتظر منه خيرا، ولا أن أرجو له حظا إلا إذا اعتمد على الحرية المطلقة التي لا تعرف حدا ولا قيدا، ولا تخضع لنظام ولا قانون."(٢)

وهذه الحرية التي يركز عليها، لا ترتبط بإرادة الأديب "ذلك أن الأديب بطبعه حر، حر حتى بإزاء إرادته الخاصة... إنما هو رجل قوى الذهن، واسع العقل خصب الخيال يحس ما حوله من الأشياء ويتأثر بها". (٣)

وإذا كان يعترف للأديب بإرادة معينة، فهو يرى أن تأثيرها "ضئيل جدا، لا يكاد يذكر، وأن المقدار اللاشعوري في إنتاج الأديب أعظم جدا من المقدار الشعوري. وقد يكون من السهل أو من الصعب أن تحلل حياة الأديب قليلا، وأن ترد اثاره إلى مصادرها الأولى من مزاج الأديب وطبيعته، ومن البيئة التي أحاطت به والعصر الذي عاش فيه، ولكن هذا التحليل نفسه، إن أتيح للباحثين من مؤرخي الآداب، فهو دليل واضح على أن الأديب إلى أن يكون مجبرا في الأدب أقرب منه إلى أن يكون مختارا. فالأديب اذا حر بالقياس إلى الناس، وهو حر بالقياس إلى نفسه أو إلى ارادته إن شئت التدقيق، وهو حر إلى أبعد غايات الحرية، وهو من هذه الناحية متمرد لا يستطيع أن يخضع لنظام أو أن يذعن لسلطان، إلا سلطان هذا الشيطان الذي يلهمه ويوحي اليه ويدفعه إلى الانتاج".(٤)

---

١) كمال قلته، طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١٦٦.

٢) طه حسين، حديث الاربعاء، ج ٣، ص٢٠٨.

٣) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

٤) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبيد و أنه تأثر ببعض الكتاب الفرنسيين مثل سانت بيف ، وتين ، وسارتر. وقد درس في كتابيه " ألوان"، و " فصول في الأدب والنقد " كلا من بودلير واندريه جيد وسارتر وألبيركامي وغيرهم . وكان طه حسين منسجما مع الفكر الفرنسي كدارس له ، متأثرا بما فيه من دعوة للحرية ، الذي اوصله الى التحرر من التعبد للقدماء في دراسته للشعر الجاهلي ، والى واقعية بعض رواياته كما هي الحال عند موباسان . (١)

وحرية الاديب عنده تقابلها حرية القارئ . وهذه الحرية المطلقة في الأدب والنقد هي " الحرية التي لا تعرف الطبيعة غيرها، ولا ترضى الطبيعة سواها ، الحرية التي تستمتع بها الشمس حين تضيء، والنسيم حين يهب ، والزهرة حين تتأرجح ، والريح حين تقصف والرعد حين يقصف ، والبرق حين يضطرب في السماء" (٢) وهو ضيق الصدر بالقيود التي تتعرض لها حرية القارئ ، ويمثل لها بأن القارئ لا يستطيع أن يقرأ إلا ما ينشر له ، ويصل اليه . كما يلعب الاعلان دورا في اختيار ما يقرأ" فديمقراطية القراء إذا من هذه الناحية حلم من الاحلام ، كما ان ارستقراطيتهم وهم من الأوهام" . (٣)

ويخلص طه حسين الى دعوة واضحة ، بأن لا يكون هناك نظام للأدب، ولا يخضع الا للطبيعة التي " قد تكون أقدر من الفن ، وأقدر من النقاد ، وأقدر من الجمهور على التصفية ، وهي — أي الطبيعة — مجموعة من المؤثرات الظاهرة والخفية ، التي نعرفها ، والتي لا نعرفها ، والتي تعمل سواء أردنا أم لم نرد" . (٤)

---

١) من الدراسات الهامة حول أثر الثقافة الفرنسية في أدب طه حسين ، انظر:
كمال قلته : طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في ادبه.
وليد فستق : " طه حسين والتيارات الفلسفية في فرنسا"، مجلة المعرفة ، العدد ١٥٣ ، تشرين الثاني ١٩٧٤ ، ص ٨١ — ١١٢.

٢) حديث الأربعاء ، جـ٣ ، ص٢٢٠ .

٣) المصدر نفسه ، ص٢١١ .

٤) المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفكرة الحرية ، حرية الفن ومبدعه من أجمل وأهم الأفكار في نظرة طه حسين إلى الفن ، وهو يترك الكاتب في مناخ الحرية الكامل ، ثم لا يلبث أن يطلب منه الالتزام. يقول في حديث له عن رأيه في توجيه الأدب للعامة أو الخاصة: " إني فيما بيني وبين نفسي ، وفي كل ما كتبت ، وفي كل ما علقت ، وفي كل ما حاولت من عناية بالأدب،لم أفهم عامة ولم أفهم خاصة بالقياس إلى الأدب ، وإنما فهمت أدبا وفهمت قراء يقرأون هذا الأدب ". (١)

كما يرى أن الانتاج الأدبي ظاهرة اجتماعية " لا يمكن أن تكون الا في الجماعة التي تسمع الأثر الأدبي أو تقرأه فتتأثر به ، راضية عنه أو ساخطة عليه . وإذا جاز أن يوجد الفرد الذى يفكر لنفسه فما أظن من الجائز أن يوجد الفرد الذى يصور خواطره وهو لا يريد بهذا التصوير الا نفسه".(٢)

غير أننا يجب أن نشير إلى أن طه حسين يرفض بذلك "كل التزام ، والتزام لا ينبع من شخصية الأديب الحرّة التي تفيض بما امتلأت به ، وكان يعلن أن الأدب ليس مجرد أجير عند الخير والأخلاق" . (٣)

وللكاتب الجيد عنده مقياس،فهو يرى أن هذا الكاتب هو:

" الذى لا أكاد اصحبه لحظات حتى ينسيني نفسي،ويشغلني عن التفكير،ويصرفني عن التعليل والتحليل والتأويل،ويسيطر علي سيطرة تامة تمكنه من ان يقول لي ما يشاء دون أن أجد في نفسي القدرة على أن أعارضه". (٥)

فالكاتب المجيد ، هذه هي بعض صفاته عند طه حسين ، إنه قادر على أن يجعل تأثير فكره شيئا قريبا من السحر ، يطغي على أذهان الناس ويفكّر نيابة عنهم ، ويريحهم من عناء المعاناة في قراءة نص معقد،أو الرؤية الى لوحة مركبة ، ويتفاعل مع قرائه من خلال ما يقدم لهم .

---

١) رئيف خوري : الأدب المسؤول ، نص محاضرة طه حسين في مناظرته مع المؤلف سنة ١٩٥٥ ، انظر ص ١٠٤ .

٢) طه حسين : فصول في الأدب والنقد ، ص ٣ .

٣) سهيل عثمان : "طه حسين رائدا وظاهرة" ، مجلة المعرفة ، العدد ١٥٣ ، تشرين الثاني ، ص ٣٥ .

٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٥) طه حسين ، لحظات ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - غاية الأدب : خلقية

أما الأثر الأدبي فله فيه وجهات نظر كثيرة غير أن الغالب عليها أنها آراء ذات طابع أخلاقي ، تهتم بالمضمون إلى حد بعيد ، وتقيس العمل الأدبي من خلاله ، فهو يشترط الصدق أولا ، وهذا الصدق يؤدي الى جعل الكاتب القصصي ، أو التمثيلي ، الصادق في تصويره ، " من خير الدعاة الى الأخلاق الكريمة والحاثين على الفضائل."(١) فهو هنا مهتم بغاية الأدب . وهذه النظرة الخلقية ليست جديدة على النقد العربي ، ولكن طه حسين لا يصنف لهذا الرأى على أنه من الذين يقيّمون الفن من خلال مضمونه ، ويهملون جانب الشكل فيه . فهو ينتمي إلى الثقافة العربية التي لم تهمل جانب الشكل ، بل لعلها أكثر من النقد الغربي - قبل (لسنج) اهتماما بهذا الجانب . وهو ايضا متأثر بسانت بيف الذى " كانت ابحاثه تنطلق دائما من حياة الفرد وتصرفاته وأخلاقه . . . . ومن خلال كتاباته عن أديب أو مفكر يرسم لوحة لفترة من تاريخ فرنسا."(٢) وكان طه حسين يرى " أن الأديب أجدر الناس بأن يكون هذا الحيوان الاجتماعي الذى تحدث عنه الفيلسوف القديم ، فهو لا يعيش الاّ بالناس ، وهو لا يعيش الاّ للناس ، فهو منهم يستمد خواطره وآراءه ، واليهم يوجه خواطره وآراءه . . . الأديب كائن اجتماعي ، لا يستطيع أن ينفرد بحياته الأدبية ، وهو بحاجة الى أن يشعر بهذه الصلة مع الجمهور ، والى أن يراها قويّة متينة . . ."

وتجدر الاشارة هنا إلى بعض كتبه التي حملت بذور الدعوة " الخلقية" مثل كتاب " جنة الشوك" ، وكتاب " المعذبون في الأرض" . وذلك من خلال المضمون الذى قدّمه في كلّ منهما .

جـ - فن الرواية عنده :

لطه حسين في فن الرواية مجموعة آراء ، ذلك أنه لم يكن متفرغا للرواية يكتبها ، ويترك للنقاد متابعة هذا الفن ، بل كان أكبر نقاد عصره إلى حد بعيد ، وساهم بدراساته النقدية الهامة في تطوير فنون الأدب الحديث . وله في فن الرواية آراء

---

١) كمال قلته ، طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ، ص ١٤٧ .

٢) طه حسين : فصول في الأدب والنقد ، ص ٥ ، ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعارك .

لم يكتب طه حسين مؤلفا نقديا خاصا بهذا الفن أو ذاك ، فمعظم آرائه النقدية جاءت في مقدمات كتبه،وفي معاركه النقدية،وفي مناهجه التي سار عليها في مراحل فكره المختلفة وجوانبه المتعددة ، والبادية بوضوح في كتبه .

إن مادة هذا الفصل لطه حسين .. وهي من كتبه على اختلاف فترات تأليفها ، ومن ترجماته ودراساته للفكر الغربي ، ومن مقالاته النقدية الكثيرة حول هذه الرواية أو تلك .

ترجم طه حسين" أوديب وتيسيوس" لاندريه جيد عن الفرنسية ، وترجم" زاديج" لفولتير ، وقدم صحفه المختارة من " الشعر التمثيلي عند اليونان" و " قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين" وله دراسات في الآداب الغربية نجدها في: " فصول في الأدب والنقد " ، و " ألوان" ، و"لحظات" ، و " صوت باريس" ، و " من هناك" ، ودراسات في الأدب العربي الحديث تجدها في كتبه مثل " من أدبنا المعاصر" ، و " بين بين" ، و " أحاديث" ، و " فصول في الأدب والنقد " ، و " خصام ونقد " ، و " نقد واصلاح " ، و " خواطر" ، و " كلمات" . وفي معاركه النقدية كثير من أهم آرائه . . .

من المفروض أن نجد آراءه في فن الرواية في كتبه هذه ، ما دمنا نعتبره ناقدا هاما أظلّ بفكره ودراساته أدبنا منذ ما بعد الحرب الأولى وحتى نهاية الستينيات من هذا القرن . ولكن ،قلّ أن نجد كاتبا روائيا ــ من الذين قرأت لهم ــ يقدّم أهم آرائه في فن الرواية في رواياته ذاتها ، يقطع خيط الحديث . أو يوقف الشخصية الثانية ، ليدير مع القارئ حوارا حول فن القصة. لقد كانت هذه ظاهرة وقفت عندها وأنا أتلمس آراءه في كتبه . إن كثيرا من آرائه موجودة في كتبه النقدية ، ولكن أهم الآراء هي في رواياته وقصصه القصيرة وبالتحديد في بعض كتبه التي سوف ندرس وهي :

" المعذبون في الأرض" ، و " الحب الضائع" ، و " شجرة البؤس" ، و " ما وراء النهر" .

وان لم تكن آراءه في ثنايا هذه القصص فهي في مقدماته لها . . .

والآن . . . ما هي أهم آرائه في هذا الفن ؟

ما موقفه من الرواية بشكل عام؟ وماموقفه من رواياته بشكل خاص ؟ لعلنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجـــد في هذه الآراء ما يفسر لنا بعض الخصائص الفنية في رواياته ، هذه الخصائص التي أوقعت دارسيه في الحيرة حول مدى ما يمكن أن نجد في تراثه من هذا الفن .

القصة عند طه حسين " ليست حكاية للأحداث وسردا للوقائع كما استقر على ذلك عرف النقاد والكتّاب ، وإنما القصة فقه لحياة الناس وما يحيط بها من الظروف ، وما يتتابع فيها من الأحداث".(١) إن هذا التعريف صحيح لأنه يتجه باللوم الى الذين لا يهمهم من القصة إلا وقائعها ، دون الاهتمام بما تكشف عنه من ظروف مهدّت لهذه الأحداث. وتوضيحا لهذا التعريف يقول في روايته التي لم تتم " ما وراء النهر " : " وقد علّمنا النقاد منذ عهد بعيد أن هناك صلة متينة دقيقة بين أقوال الناس وأعمالهم ، وبين البيئة التي يعيشون فيها ويتأثرون بدقائقها في حياتهم اليومية(٢) .

وهو في هذه الآراء الموجودة في هذه الرواية يجعل الأمور تختلط على الدارس ، فهو يخلط بين قواعد الفن والتاريخ الأدبي ، ذلك أن التمسك بهذه الصلة بين أقوال الناس وأعمالهم وبيئاتهم ليس شرطا حتميا بل تصدر القصة عنه بشكل تلقائي .

ويقول عن شروط كتابته لقصة "ما وراء النهر" : " من حيث المكان لم يكن بد من أن تحدث هذه الأحداث في هذا المكان المقسوم لها دون غيره من الأمكنة ، والاّ لبطلت قواعد الفن ، ولفسد التاريخ الأدبي ، ولذهب الأدباء بانتاجهم كلّ مذهب ، وسلكوا به كل سبيل . لا يخضعون لأصل من الأصول ، ولا يتقيدون بقانون من القوانين التي وضعها ارسطو طاليس وأسلافه وأخلافه ، ولم يفرغوا من وضعها إلى الآن"(٣)

إنّ في هذا النص أكثر من فكرة . فقواعد الفن لا تبطل لسبب كهذا . فالمكان ضرورة ولكن ليس بهذا التحديد . كما أنه يرى أن التاريخ الأدبي سيفسد ، فاذا كانت كل هذه ضرورات للفن فإنه لا يلبث أن يتخلى عنها حين يقول عن روايته هذه " فأنت محتاج اليها لتنفق الوقت في القراءة ، وأنا محتاج اليها لأنفق الوقت في الاملاء ، والمجلة محتاجة اليها لتملأ عددا من صفحاتها قليلا أو كثيرا". (٤)

---

١) طه حسين : ما وراء النهر ، الكاتب المصري ، المجلد ٤ ، العدد ٤ ، سنة ١٩٤٦ ، ص ٢٠ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .

٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليست هذه الشروط الثلاثة في الاملاء والقراءة والنشر ضرورات فنية . وهو بهذا لا يقدم تفسيرا مقنعا لكتابته لهذه الرواية للتعرف من خلاله أهمية نظرته إلى الابداع الفني .

يظهر أن طه حسين كان غير جاد في ما قدّم من آراء ، كما أن تتبع آرائه في القصة تبرر أن نتحدث قليلا عن نظرته إلى الفن والأدب ، فهو يرى : أنه لا قواعد تقيد الأديب أو الكاتب ، يقول في حديث له عن رواية " زنوبيا " لمحمد فريد أبو حديد : "اني من أنصار الحرية في الأدب ، هذه الحرية التي لا تؤمن بالقواعد الموضوعة والحدود المرسومة والقيود التي فرضها أرسطو طاليس ، وإنما الأثر الأدبي عندي هو الذي ينتجه الكاتب أو الشاعر كما استطاع أن ينتجه ، لا أعرف له قواعد ولا حدودا إلاّ هذه القواعد والحدود التي يفرضها على الأديب مزاجه الخاص وفنه الخاص . وحسبنا منه أن ينتج ما نقرأه ، فنجد في قراءته هذه اللذة الفنية العليا التي يتركها الأثر الأدبي في النفوس" . (١)

في تحديد طه حسين للقصة نلمح موقفه الأخلاقي واضحا كما تقدم ، ويعاود الحديث عنه حين يقول ان مما يعنيه ، بالاضافة الى صدق الصورة ووضوحها ، " أن تكون للقصة قيمة علمية ، أو بعبارة أوضح قيمة تعليمية ، أو بعبارة أشد وضوحا وجلاء يعنيني ألاّ تشهد القصة أو تقرأها حتى تخرج منها بشيء جديد صحيح ، لم تكن تعلمه قبل أن تقرأ القصة أو تشهدها . ثم يعنيني أن تكون الى هاتين الخصلتين مستثيرة للعاطفة ، باعثة لضروب التأثر الشديد ، تحمل من يشهدها على أن يشعر شعورا قويا بالرحمة وإلا شفاق حينا ، وبالسخط والغضب حينا آخر" . (٢)

يتبين مما تقدم أن طه حسين صاحب نظرة خلقية . والأهم من ذلك أنه في نهاية حديثه يقترب من فكرة أرسطو عن التطهير ، إذ يضع شروطا للقصة وكأنه يفكر بها قصة اجتماعية تعليمية ، فهو هنا ملزم للكاتب وليس داعية التزام وكثيرا ما تراه يعود الى نظرية أرسطو في التطهير مع أنه رفض وحداته الثلاث .

---

١) طه حسين : فصول في الأدب والنقد ، ص ٤٩ .

٢) طه حسين : لحظات جـ ٢ ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولطه حسين موقف من نفسه كقاص ، حين يدافع عن تهم وجهت إليه بأنه لا يحسن كتابة القصة وأنه في سبيل تطورها . فهو يقطع بأنه ليس كاتب قصة ، ويقول متهكما انه لم يتعلم شروط القصة في مدرسة فكيف يكون قاصا ؟ " فما زعمت في يوم من الأيام أني قاص أجيد فن القصص ، أو أقارب جادّته . ومن أين لي اتقان هذا الفن أو مقاربة اتقانه وأنا لم أدرسه في مدرسة ، ولم أتلق أصوله على استاذ من أساتذة النقد ، ولم أحفظ هذه الشروط العشرة أو العشرين التي ليس من حفظها بد ، وليس من رعايتها بد ، ليكون الكاتب قاصّا متقنا لفنه ، ولتكون القصص التي ينتجها رائعة بارعة ". (١)

وحديثه هذا من مقال طويل يحمل عنوان " اصداء " ، ردا على هذه المعركة التي ووجه بها في الخمسينات ، أي بعد أن كتب كلّ قصصه . ومن المهم أن ننقل جزءا من هذا النص وهو قوله : " أعترف بأني لا أفهم هذه العقبة - أي أنه عقبة في سبيل تطور القصة - ولا أعرف من أين تأتي ، ولا أعرف كيف تكون ، فالأصل أن الذين لا يحسنون فنا من الفنون لا يكونون عقبة في سبيل إحسان هذا الفن . . . وأشهد أن كتابا محمودين للقصة في مصر قد كتبوا فأحسنوا الكتابة ، وقصّوا فأجادوا القصص، لم أحل بينهم وبين الاحسان والإجادة". (٢) . وهو عندما يتعرض الى هذا الهجوم يواجهه بكثير من الهدوء، دون أن يخوض معركة لا هبة كمعاركه في الثلاثينات مثلا . حتى أنه في المقال ذاته يرد على سلامة موسى الذي هاجم كتّاب القصة المصرية ، ويسميها " الفن الرائع الذي استحدثه المصريون في أدبنا المعاصر" (٣) .

من خلال ما تقدم نجد أن طه حسين كان يعتبر كاتب قصة ، وإن كانت الآراء في فترة مبكرة تختلف حول أهمية هذه القصص . ولعل ما يلفت النظر أن قصصه هذه التي ندرس هي التي نجد فيها آراءه . ففي قصة " صالح " إحدى قصص " المعذبون في الارض " ، يتدخل طه حسين ليدير حوارا بينه وبين القارئ مستشهدا بالكاتب الفرنسي " ديدرو " . فهو يقطع الحديث ليقول " قد يخطر للقارئ أن يسألني عن هذا

---

١) طه حسين : خصام ونقد ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصبي ما اسمه ،أو ما موطنه ، وما بيئته ، وما أسرته ؟ ، ولكني أجيب القارئ ان خطرت له هذه الأسئلة ، كما كان الكاتب الفرنسي " ديدرو" يجيب قراءه حين يخيل اليه أنهم يسألونه ، أو يهمون أن يسألوه عن بعض الأمر من قصصه ، أجيب القارئ بأنه يسرف على نفسه وعليّ بهذه الأسئلة التي قد يكون الرد عليها مفيدا . . . . . لكني لا أحاول أن أضع قصته فأخضعها لما ينبغي أن تخضع له القصة من أصول الفن كما رسمها كبار النقاد . فقد يجب لتستقيم القصة أن يحدد الزمان والمكان وتستبين شخصية الناس الذين تحدث لهم الحوادث أو الذين يحدثون هذه الحوادث . . . لا أضع قصته فأخضعها لأصول الفن . ولو كنت أضع قصته لما التزمت اخضاعها لهذه الأصول . لأني لا أؤمن بها ، ولا أذعن لها ، ولا أعترف بأن للنقاد ، مهما يكونوا ، أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن ، ولا أقبل من القارئ مهما ترتفع منزلته أن يدخل بيني وبين ما أحب أن أسوق من الحديث وإنما هو كلام يخطر لي فأمليه ثم أذيعه ، فمن شاء أن يقرأه فليقرأه ومن ضاق بقراءته فلينصرف عنه . . . . . المهم هو أن يخطر لي الكلام وأن أمليه ، وأن أذيعه ، وأن يجد القارئ ما يشعره بأن له ارادة حرة تستطيع أن تفريه بالقراءة وأن تصده عنها . . . ولا أحب أن يتحكم القارئ فيّ . . . يجب أن تكون الحرية هي الأساس". (١)

وهذا النص الهام ، من الغريب وروده في ثنايا قصة قصيرة له ، مع أنه يركز على أنه لا يكتب قصته . والحقيقة أن أهمية هذا النص تنبع من أنه يدّلنا على تأثره بالكاتب الفرنسي " ديدرو" ، وأنه في الفترة التي نشر فيها هذه القصة كان لا يزال يؤمن بهذه الآراء ، أي في السنوات الأولى من انتهاء الحرب الثانية .

ويتكرر هذا التدخل في قصص أخرى في " المعذبون في الأرض" ، حين يفرض رأيه على القارئ أو يتحداه بأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء . ففي قصة "صالح" في الكتاب نفسه يمارس هذا الدور ، ويرى أن للكاتب الحق في " أن يذهب ما شاء من المذاهب في كتابته " (٢) . أو أن يشرح الهدف من روايته كما فعل في "شجرة البؤس" .(٣)

---

١) طه حسين : المعذبون في الأرض ، ص ١٨ ، ١٩ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٣) طه حسين : شجرة البؤس ، ص ١٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يصر على نقل آرائه من خلال قصصه . ففي قصة " الحب اليائس" وهي قصة قصيرة في كتابه " الحب الضائع" يقول : " أريد أن أذهب في هذا أيضا مذهب جماعة من الكتاب المحدثين ، الذين يريدون أن يظهروك لا على القصة التي يحبون أن يقصوها عليك فحسب ، بل على مذهبهم في القصص وطريقتهم في التفكير اثناء القصص ، يريدون أن يظهروك على أنفسهم حين يتحدثون إليك لتراها واضحة جلية ، ولترى أنهم يصدقونك ويكبرونك كل الاكبار . . . " (١)

هذه بعض ملامح نظرته للرواية وهي ملامح غير واضحة . وإذا كانت الروايات ستصبح مجالا لعرض وجهات النظر ، فماذا يبقى للقارئ ، ولو وقف تدخله عند هذا الحد لكان ذلك معقولا ولكنه تجاوزه إلى تحليل شخصياته نيابة عن القارئ . فمثلا في " المعذبون في الأرض" يريح القارئ عندما يوضح له أن " صالح" ، بطل إحدى قصصه ، " لم يوجد قط ، لأنه يملأ المملكة المصرية . . . . . إن في حياة كل واحد منا نحن كثرة المصريين شيئا من صالح ، فصالح صورة البؤس والشقاء والحرمان" .(٢) .

وأحيانا يميل الى الوعظ أو البحث الاجتماعي ، فهو يهدي قصته " المعتزلة " احدى قصص " المعذبون في الأرض" : "إلى المترفين المنعمين في الأرض" . مما لا يدع مجالا لتفسير القصة ، ويقدم لها بحديث طويل نفهم منه فورا قصده الذي يهدف منه إلى تصوير أسرة مصرية بائسة تحتاج الى مساعدة ، وينهي القصة بحديث عن شؤون مصر الاقتصادية والاجتماعية .

مثل هذه المواقف لا تصل بنا إلى ما يمكن أن نسميه نظرية طه حسين في فن القصة . والذي يقرأ "المعذبون في الأرض" يجد فيه ، إلى جانب ما يمكن أن نسميه قصصا ، بحثا اجتماعيا، وذلك في الفصول الأربعة الأخيرة منه . وحتى في دراساته لقصص غيره نجد هذه الحيرة تتابع الدارس .

واذا أردنا أن ننظر الى الزاوية الفنية وكيف يفهمها طه حسين ، فاننا نجده في " ما وراء النهر" يبدأ القصة كما يلي : " لست أدري أين وقعت أحداث هذه القصة ، ولكني أقطع بأنها لم تقع في مدينة القاهرة . فقد تتبعت شاطئ النيل كله في هذه المدينة فلم أجد ربوة شديدة الارتفاع والاتساع يقوم عليها قصر فخم ضخم شاهق" .(٣) .

---

١) طه حسين : الحب الضائع ، ص ١١٤ .

٢) طه حسين : المعذبون في الأرض ، ص ٢٠ ، ٢١ .

٣) ما وراء النهر ، مجلة الكاتب المصري، المجلد ، العدد ، ١٩٤٦ ، ص ٢١٣ .

. All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يتحدث طويلا عن المكان والزمان والحدث ، فهو يصر على وجود مكـــان معروف موصوف ،و يرفض قواعد أرسطو . ويصر على زمن معين وهو الحديث . ويـــرى أن قوانين الطبيعة لا تثبت أمام قوانين الفن،مع أننا رأيناه في مكان سابق يخضع الفن للطبيعة. ثم يقدم شيئا من النقد الاجتماعي لاهل مصر ، حتى تكاد أحداث القصة تغيب عن القارئ في أمكنة متعددة . وهذه المناقشة التي يقدمها للزمان والمكـــان وعلاقة الفن بالطبيعة تطول دون أن يقدم رواية معقولة ، لأنه يطلب من القـــارئ أن يكون ايجابيا . ويضيع الفصل الاول من هذه الرواية دون الدخول في الأحداث. ولعل من حسن حظ الدارسين أنه نثر فيه أهم آرائه . فهو يقول في الفصل الثاني : " متى خير الشعراء وأصحاب الفنون في شيء ، إنما هم عبيد للطبيعة تفرض عليهم ما فيهـــا من جمال وقبح ، ومن نعيم وبؤس . (١)

إن طه حسين في هذه الفصول يمارس الحرية التي دعا اليها ،فقد كان يـــرى دائما أنه " لا قيمة للأدب اذا فقد الحرية ،والأديب مسؤول أمام ضميره وذوقـــه ، وعليه هو أن يلائم بين ما ينتج من الأدب ، وبين بيئته وظروفه". (٢)

وكان يرى إلى جانب هذه الحرية أن " الانتاج الأدبي ظاهرة اجتماعيـــة لا يمكن أن تكون الا في الجماعة،وأن الأديب كائن اجتماعي لا يستطيع أن ينفرد بحياته الأدبية وهو بحاجة إلى أن يشعر بهذه الصلة مع الجمهور". (٣)

٢ — في التطبيـــق :

تتمة لهذه الخطوط العامة لفهمه فن القصة ، أقدم هنا نماذج من دراساته النقدية لبعض القصص والروايات . وهذه الدراسات تدور حول عدد كبير من الروايـــات العربية والغربية ، ساهم طه حسين في تقديمها للقارئ العربي كما ساهم في تقديم بعض المؤلفين . وكان حكمه على بعض رواياتهم تقديما رسميا لهم لأنه جاء من عميـــد

---

١) المصدر نفسه ،المجلد ٤،العدد ١٥ ، ١٩٤٦ ،ص ٢١٣ .

٢) مقابلة مع طه حسين ، مجلة العربي ، العدد ١١ ،سنة ١٩٥٩ ،ص ١٢٢ .

٣) فصول في الادب والنقد ، ص ٤ ، ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدب العربي . غير أننا لا نجد بين هذه المقالات والدراسات أية محاولة من طه حسين لدراسة انتاج روائي كامل لشخص واحد ، وإن كان قد درس مثلا خمسا من روايات يوسف السباعي . فهو ليس صاحب منهج في نقد الرواية منعزل عن منهجه النقدي العام ، الذي يرتكز فيما يرتكز على الاهتمام باللغة والقدرة البيانية ويميل إلى التيار الانطباعي في اعتماده الذوق والنزعة التأثرية ، وتركيزه على الصدق الأدبي ، مع ربط الصدق بالابداع حتى يصبح الصدق عنده قيمة نقدية ترتكز على الجرأة وحرية التعبير ، كما أن منهجه النقدي بشكل عام الذي بدأ لغويا ، ثم تحول إلى النقد فضمن منهج النقد الفني العلمي ، يميل إلى الموازنة والتحليل . وفي دراساته هذه نراه ناقدا فنيا ذا منهج يحاول من خلاله أن يحلل مضمون النص الذي يدرس ، مع الاهتمام إلى حد بعيد بالشكل وهو في كل هذه ناقد موضوعي .

وسأقف هنا وقفة قصيرة عند بعض ما قاله في " زنوبيا " لمحمد فريد أبو حديد ، و " بين القصرين " لنجيب محفوظ ، و " أهل الكهف " لتوفيق الحكيم ، لأن ما قاله فيها يلقي ضوءا كاشفا على طريقة طه حسين في النقد التطبيقي ، ففي حديثه عن زنوبيا لمحمد فريد أبو حديد ، حدّد مصادر الجمال الفني في هذه القصة بثلاثة أشياء : " الأول أن في القصة روحا من البطولة يشيع فيها منذ الصفحات الأولى ، ثم يزداد اتساعا وانتشارا حتى يملأ عليك الجو كله . " والثاني أن هؤلاء الابطال الممتازين لا يمتازون بعنف ، ولا يرتفعون إلى اجواء بعيدة جدا تقصر همتنا وطبائعنا عن الارتفاع إليها . والثالث هو هذه العذوبة التي تمتاز بها نفس الأستاذ أبي حديد ، والتي تفيض على ما حولها فتشيع في القصة وتحبب إليك ألفاظها على ما قد يكون في بعضها من ضعف ، وتحبب إليك معانيها على ما قد يكون في بعضها من سذاجة ، وتحبب إليك صورها على ما قد يكون في بعض ألوانها من شحوب " (١) .

---

(١) فصول في الأدب والنقد ، ص ٥١ — ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن في هذا الحكم نموذجا لاهتمامات طه حسين بالرواية ، فهو يحدد مصادر جمالها الفني بأبطالها أولا ، وأسلوب كاتبها ثانيا ، والجو العام لها ثالثا . ومن هنا يجد الدارس في هذا النص نزعة تأثرية لا تعلل لأحكامها بدقة . وهذه من ميزات طه حسين الذي يبرز في دراسات نقدية أخرى على أنه ناقد ضمن "منهج النقد الفني العلمي" الذي تبناه . وفي تقديمه لرواية نجيب محفوظ" بين القصرين .. يقول : " أتيح له ـ أي لنجيب محفوظ ـ في هذه القصة الرائعة البارعة نجاح ما أرى أنه أتيح له مثله منذ أخذ المصريون ينشئون القصص في أول هذا القرن . وما أشك في أن قصته هذه تثبت للموازنة مع من شئت من كتاب القصص العالميين، فهو أتاح للقصة أن تبلغ من الاتقان والروعة ، ومن العمق والدقة ، ومن التأثير الذي يشبه السحر،ما لم يتح لها كاتب مصري من قبل ... والقصة اجتماعية لأنها تصور بيئة مصرية معينة في عصر معين من العصور . صورها حية كأقوى ما تكون الحياة . وقد صور هذا كله أروع تصوير وأبرعه .. لا بالألفاظ الرائعة المنمقة ، بل بالأحداث التي تفطر القلوب وتمزق النفس ، ولغة فصيحة نقية لا عوج فيها ولا فساد . وقد تجري فيها الجمل العامية أحيانا حين لا يكون منها بد فيحسن موقعها ، وتبلغ منك موضع الرضا ... " (١)

من خلال هذا النص نجد استعمالا لمجموعة من المفردات هي : الروعة ، والعمق ، والدقة ، والتأثير ، والسحر ، دون بيان ما يقصده بها وهذا تيار انطباعي . غير أن في النص تحديدا لمبررات هذا الاعجاب . فذلك لأن للقصة هدفا هو في كونها اجتماعية ، مكانها مصر ، ولها زمن محدد ، ولأن تصويرها بارع ، ولأنها تحقق التأثير على طريقة التطهير ، ولا تفتقد الاهتمام باللغة فهو معجب بها ،حتى أنه يبيح ما ورد فيها من تعابير عامية . وتجدر الإشارة إلى أن دراسة طه حسين لهذه القصة ، كانت سببا في لفت الانظار إلى نجيب محفوظ وبداية لاشتهاره .

---

١) طه حسين : من أدبنا المعاصر ، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما حديثة عن توفيق الحكيم فقد جاء عن مسرحية "أهل الكهف". فقد قدم لها ، كما قدم لرواية "بين القصرين" .

يقول عن أهل الكهف : "حادث ذو خطر . لا أقول في الأدب المصري وحده بل أقول في الأدب العربي كله . . . إن فنا جديدا قد نشأ فيه . . . إنها أول قصة وضعت في الأدب العربي ويمكن أن تسمى قصة تمثيلية . وهذه القصة مزاج معتدل من الروح المصري العذب ، والروح الأوروبي القوي . . . أعترف أنني معجب ببراعة الكاتب في غير تحفظ وإلى غير حد " (١) . إن هذا الحكم النقدي ، الذي مهد لشهرة الحكيم ، لا يجد فيه الدارس سوى تأثر انفعالي غير مبني على منهج محدد . وطه حسين كثيرا ما يطلق مثل هذه الاحكام ، فقد قال كلاما قريبا من الكلام السابق عن "شهرزاد" للحكيم حيث رأى أنها "أثر فني متقن ممتع دقيق الصنع بارع الصورة خليق بالبقاء . . . ولا أعرف في أدبنا الحديث قصة يتجه بها صاحبها إلى العقل والشعور معا كهذه القصة ، وهذا النوع من الحوار الأفلاطوني لم يخلق للملعب المصري . وفي القصة مناظر حسان وموسيقى رقيقة خفيفة جميلة النغم" (٢) وعلينا أن نلاحظ هنا استعمال لفظة القصة للدلالة على المسرحية . وهو يقصد بها القصة التمثيلية .

وطريقة طه حسين في دراساته للروايات تعتمد إلى محور ثلاثي ثابت هو : أن يلجأ الى التقديم للموضوع ، ثم عرض القصة وتحليلها ، ثم اصدار الحكم . وطريقته في العرض هي في التلخيص الذي ينفذ إلى أعماق الفكرة التي أرادها الكاتب. فبعد أن يقدم هذه الفكرة ، يناقشها بدقة، ثم يعرض آراء الآخرين ، أو يقارنها بغيرها . وهو من هذا التلخيص والعرض والتحليل والتعليق قدم لنا دراسات كثيرة في الأدبين العربي والغربي : فمن الأدب العربي درس قصصا أو مسرحيات ليوسف السباعي ، وأمين يوسف غراب ، ونجيب محفوظ ، ويحي حقي ، ومحمد فريد أبو حديد ، وثروت أباظة ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد حسين هيكل ، وفتحي رضوان ، ومحمود السعدي (من تونس) ، ومولود معمري (من الجزائر) . ومن الأدب الغربي قدم دراسات عن : اندريه جيد ، والبيركامي ، وهنريخ بول (الألماني) ، وموليير ، جيرودو ،

١) فصول في الأدب والنقد . ص ٩٢ ، ٩٥ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١١١ — ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكافكا ، وفولتير ، وموريس دونيه ، وشارل ميرى ، والفرد كابو ، وبول رينيه ، وسول ميرفيو ، وهنرى بابتايل ، واد وارد بورد يه ، وفرانسوا دوكوريل ، وغيرهم كثيرين .

ومن دراستنا لمقالاته عن هؤلاء الكتاب من الشرق والغرب ، نرى أنه يتبع الطريقة التي سبق وتحدثنا عنها ، فهو يقول عن قصة " إني راحلة" ليوسف السباعي بأنها قصة ممتعة حقا . . كتبت في لغة عربية فصيحة رائعة، على هنات تلقاها هنا وهناك (١)

وقريب من هذا الكلام قوله عن قصص أخرى ليوسف السباعي هي " رد قلبي" التي يرى بأنها جديرة بأن تقرأ ، وذلك لأن فيها تصويرا للحياة المصرية السياسية والاجتماعية ، وفيها تحليل للنفس الانسانية (٢) . أما قصة السباعي " أقوى من الزمن" ، فيتحدث عن مضمونها . (٣)

أما قصة " ليل له آخر" للكاتب نفسه فيقارنها من حيث الموضوع بوولتر سكوت حيث يرى أن السباعي يحاول أن (٤) يكون مؤرخا قصصيا لعهد الثورة فقصته تصوير تاريخي بارع . وهو في كل دراساته هذه لا يغفل جانب اللغة واعتراضه على أن ضعف فيها .

أما اللجوء الى المقارنة مع القصص العالمي فمثاله قوله عن أسلوب نجيب محفوظ في " زقاق المدق" : " يعرض الكاتب قصته في نظام واضح متسق سهل ، يذكرك بالكاتب الفرنسي سارتر . ومذهبه أن يجرى القصة كما تجرى الحياة".(٥) كما أنه في بعض الأحيان يقدم، من خلال هذه الدراسات، مجموعة من الآراء الدقيقة الهامة مثل قضية الترجمة من لغة الى أخرى فيقول عن قصة للكاتب الفرنسي هنرى بابتايل : " لقد بلغ الأسلوب حدا من الستحيل معه أن تترجم بعض فصول هذه القصة الى لغة أجنبية".(٦)

---

١) طه حسين : نقد واصلاح ، ص ٦٠ — ٦٥ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ — ١٠٨ .

٣) طه حسين : خواطر ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

٤) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

٥) طه حسين : نقد واصلاح ، ص ١١٥ .

٦) طه حسين : لحظات جـ ٢ ، ص ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه في حديثه عن القصة التمثيلية يركز على سرعة الحركة ، ولا يميل الى البطء وكثرة التفاصيل . فمن اعتراضاته على قصة " هكذا خلقت" للدكتور محمد حسين هيكل قوله : " فيها بطء مسرف ، وتفصيل قد يدعو لشيء من السأم".(١) كما أنه لا يرى في قصة للكاتب الفرنسي شارل ميرى " الرقص في منتصف الليل" شيئا جديدا وما يميزها هو : " سرعة الحركة واتصالها"(٢) .

وأحيانا يجد الدارس أحكاما لطه حسين غير دقيقة بل هي مجموعة من الملاحظات مثل قوله عن قصة للكاتب الفرنسي بول زينال " القبر تحت قوس النصر" : " أما شكلها فحسن رائع ، وأما لفظها فجميل منتقى ، وأما أسلوبها فآية بين الأساليب ، وأما حوارها فقصير سريع خفيف الحركة مملوء بالمعنى ، كأنه جوامع الكلم ، وأما الشعور الذى انبعثت منه فقوى عنيف صادق أخاذ للنفوس"(٣)

وقد كنت أرى أن مثل هذا النص في هذا الكتاب " لحظات" الذى كتبت فصوله في عامي ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، يبرر أن نعذر هذا التعميم من طه حسين لأنه في البداية من اتجاهه الأدبي، غير أنني لا أعتقد بجدوى النظر الى آرائه في القصة من خلال ترتيب زمني لها ، ذلك أن طه حسين في هذه الفترة كان يكتب " حديث الأربعاء" ، وبعدها بعام كان يحاضر عن الشعر الجاهلي ويكتب مقدمة كتابه فيه عصر ديكارت . فأنا لا أعتقد أن أى ترتيب لهذه الآراء ، وهي محصورة في ثلاثة عقود ، يفيد في دراسة هذا الجانب من جوانب فكره ، ذلك لأن طه حسين وصل ذروة ثقافته ونضجه في هذه الفترة ، كما أنه لا يمكن أن تدرس رواياته بتسلسل تاريخي أيضا . فهو يعمي تماما في هذه الفترة حركة القصة . وثقافته الفرنسية عميقة في هذا المجال ورواية " زينب" لهيكل كانت قد صدرت قبل ذلك بزمن . غير أن طه حسين كتب الفصول التي لم تكن جزءا من كتاب مؤلف خصيصا لدراسة هذه المجموعة من الروايات ، بل كانت مقالات تنشر في الصحف يقدمها زادا للقارئ ، ويخضعها لمنهجه الذى استمر في التركيز على المضمون والشكل بشكل عام ، دون الدخول في قضايا نقدية حول العلاقة بينهما وإن كان طه حسين قد خاض معركة الأسلوب والمضمون مع الرافعي وسلامة موسى، حين كان الرافعي يدافع عن المذهب القديم في الأدب في

---

١) طه حسين : من أدبنا المعاصر ، ص ١٦ .

٢) طه حسين : صوت باريس جـ ١ ، ص ٢٩ .

٣) طه حسين : لحظات جـ ٢ ، ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السنوات الأولى من العشرينات . غير أن هذه المعركة لم تكن سوى تصور لدور اللغة ، أكثر منه دخولا في قضية نقدية حقيقية .

انطلاقا مما تقدم نرى أن طه حسين كان حريصا على المساهمة في فن الرواية من الجانب النقدي ، وأن له فيها دراسات ومساهمات كثيرة ، وإن كان هو لا يعتبر نفسه قاصا كما يقول في " المعذبون في الارض" . هذا الكتاب الذي يعتبر تمهيدا للقصة القصيرة في مصر . ونتفق في ذلك مع الدكتور شكري عياد الذي يقول عن هذا الكتاب : " ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن هذا الكتاب الذي نفى عن نفسه بشدة أن يكون مجموعة قصص قصيرة ، قد حول اتجاه القصة القصيرة في مصر ".(١)

هذا التنبه سبقه اليه المازني الذي قال : "إن الدكتور طه حسين قصصي بارع ، وأديب روائي من الطبقة الرفيعة ، وأنه خير للأدب المصري ، في رأيي ، أن ينضو عنه بردة العلم ، ويتناول قلم القصاص . وأحسبه يوافقني على أن كتاب " الايام" سيبقى ، على حين قد يبقى أو لا يبقى " حديث الأربعاء" ، أو " في الأدب الجاهلي ".(٢)

من كل ما تقدم ، نستطيع أن نحدد ملاحظاتنا حول "طه حسين وفن الرواية " على النحو التالي :

أولا : طه حسين أحد المهتمين بالرواية نقدا ، وكتابة ، وله دراسات في الرواية العربية والغربية ساهمت في تطور النقد حول الرواية العربية ، غير أنه يبقى صاحب منهج نقدي عام جعل مساهمته في الرواية كناقد جزءا من مساهماته النقدية الكثيرة في الأدب كله . فهو ليس صاحب نظرية خاصة في فن الرواية ، أو مؤلفا لكتاب في هذا الموضوع ، فقد ظلت دراساته في الرواية جزءا من منهجه العام الذي يحكم دراساته كلها ، والذي بدأه بدراسات لغوية بيانية ، أتبعها بدراسة المعري في ظل المنهج التاريخي ، ثم درس الشعر الجاهلي في ظل فهمه لفكر ديكارت ، ثم درس المتنبي من خلال المنهجين التاريخي والنفسي ، وتوصل إلى ما يسمى بمنهج النقد الفني العلمي ، الذي اعتمد تحقيق النصوص والاهتمام باللغة ، والتركيز على الصدق ، والاعتماد على الذوق ، والميل الى الموازنة والتحليل .

ثانيا : يعلن طه حسين بصراحة وجرأة رفضه للقواعد الموضوعة لكتابة الرواية ،

---

١) شكري عياد : القصة القصيرة في مصر ، ص ١٦٠٢ .

٢) المازني : نقلا عن سامي الكيالي في كتابه " مع طه حسين" ، ج ١ ، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منطلقا في ذلك من دعوته إلى حرية الأديب بشكل مطلق . وهذا الرفض لا يفهم مستقلا عن بقية مواقفه الجريئة المنيفة في معظم كتاباته ، وهذا التهرم بقواعد الرواية ، الذى كان يركز عليه ، يبدو واضحا أنه التزم به في بعض كتاباته القصصية مثل " ما وراء النهر" ، و " الحب الضائع" ، و " المعذبون في الأرض" .

ثالثا : ساهم طه حسين في الرواية والقصة بمجموعة الآراء والدراسات ، ابتداء من القصص التمثيلي اليوناني الذى ترجمه ، ثم ما قدمه من قصص قصيرة وطويلة مرتكزا على أسس تاريخية أو اجتماعية أو أسطورية . فهو متصل بهذا الفن ولكن السؤال الهام هو : هل هو كاتب قصصي أم لا ؟ أو بمعنى أدق : هل هو كاتب قصصي يفي القصة حقها وخصائصها وشروطها أم لا ؟ ، مع أن ما بين أيدينا من كتاباته يجعلنا نحكم بأنه كاتب قصصي ولكن مع الاحتفاظ بسؤال أساسي هو : إلى أى مدى كان كاتبا قصصيا ؟ .

رابعا : الرواية عند طه حسين فن تثقيف ومتعة ترتبط بالعقل والقلب ، ذلك لأن الرواية في نظره ، كفن جديد مستحدث ، تعطي القدرة للكاتب لتقديم روايته الحقيقية للمجتمع . وهو مستعد للتحرر من قيود القصة إلى أبعد الحدود ، إن كان في ذلك ما يضمن له أن يصل إلى القارئ . ففي مقدمته لكتاب "على هامش السيرة" يقول : " أحب أن يعلم الناس أني وسعت على نفسي في القصص ، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار و إختراع الحديث ما لم أجد فيه بأسا ، الا حينما تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي" (١) . فهو بهذا يصر على أن يخضع الفن الروائي لرغبته وهدفه ، لا أن يخضع هو لأى شرط يضعه النقاد لهذا الفن .

خامسا : إن طه حسين كاتب واع لكل آرائه في فن الرواية ، خاصة الرواية في طورها المتمسك بقواعد هذا الفن ، من تصاعد الحدث ، ورسم الشخصيات ، والوصول إلى هدف كما في قصته " دعاء الكروان " . غير أنه مما يؤخذ عليه " انشغاله بالهدف أكثر من انشغاله بالوسيلة " (٢) ، وهذا الانشغال يبدو في قصته " شجرة البؤس" التي كان يمكن أن تكون رواية أجيال (٣) ، كما هي ثلاثية نجيب محفوظ ، حيث اختصر فيها كثيرا ، مما يجعلنا نرى فيه أنه ليس روائيا في المقام الأول ، بل هو عبقرية فذة ، والجانب الروائي أحد جوانب هذه العبقرية .

١) طه حسين : على هامش السيرة ، جـ ١ ، المقدمة ك .
٢) فتحي سلامة : مدخل الى فن الرواية عند طه حسين ، القصة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١١٦ .
٣) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، ص ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا : من كل ما تقدم نجد أن طه حسين لم يفكر في الرواية في فترة شبابه دارسا أو كاتبا ، والفصول التي قدمها في العشرينات ، كانت لقصص فرنسي تمثيلي . ولعل معظم آرائه يمكن أن تنحصر بين بداية الثلاثينات وأوائل الخمسينات من هذا القرن . وإذا كانت لطه حسين هذه المساهمات في دراسة الرواية ، فانه قدم أفضل ما يستطيع. ذلك أن النقد الأدبي العربي لم يصل إلى وضع تصور شامل لفهم الرواية ، أو وضع خطوط عامة لدراستها . فحتى الصورة التي رسمت فيها هذه الرؤية ليست كاملة ، من حيث مفهوم الدارسين لفن الرواية ، كفن يستطيع بالفكر والرواية أن يكون في خدمة الانسان ، ومن حيث لغة الرواية وشخصياتها وأهدافها ، وحتى من زاوية المصطلحات ومتابعة التطورات الحديثة في الرواية العالمية . وما زلنا بحاجة الى قراءة النقد العربي بعد ربع قرن من أحدث مساهمات طه حسين في الرواية ، لعلنا نجد من خلاله ما يفيدنا في فهم الرواية التي تخلق واقعا جديدا . والطريقة الوحيدة لذلك هي أن نقرأ ثم نتمثل ثم نحاول أن نبدي رأينا، لعل الرواية تصبح ملحمة هذا العصر كما كانت الملحمة رواية الماضي . فالرواية والقصة هي العالم بما فيه من زخم وعطاء وصراع .

واذا كان طه حسين له مثل هذه المساهمات المحدودة الا أنها مساهمات هامة . ومن الأفضل لنا أن نعتبرها جزءا من تاريخ تطور الرواية ، وأن يكمل من جاؤوا بعده ما بدأه هو . وأن نفهم البناء الدرامي والشكل والمضمون ، وأن نفهم أن خروج طه حسين على القواعد الموضوعة للقصة هو جزء من خروج جون شتاينبيك في روايتي " الخميس المذنب " و " طريق السردين المعلب"، وخروج مورافيا في بعض رواياته على هذه القواعد، كما يرى ثروت أباظة (١) .

ولعل استعمال نجيب محفوظ للمونولوج الداخلي كان تتمة لثورة طه حسين على الشكل الغربي في " المعذبون في الأرض ".(٢)

---

١) ثروت أباظة : شعاع من طه حسين ، ص ١٩ .

٢) المرجع نفسه ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعا : تبقى ملاحظة على هذا الجانب التطبيقي في طريقته النقدية وهي أننا لا نجد له عنيفا في الهجوم كما هو الواقع في معاركه الاخرى ، فهو لم يختلف مع الكثيرين ، ولم كتب عنهم ، وظل متمسكا بهدوئه ولغته "الجميلة" ، وهذا نموذج لكتابته عن قصة يحي حقي " صح النوم " ، يقول في دراسته عنها : " لو كتبت هذه القصة قبل سنين لكانت حلما جميلا رائع الجمال ، ولو كتبت بعد سنين لكانت تاريخا صادقا دقيقا ، ولكنها كتبت في هذه الايام ، فاحتفظت بجمال الحلم وروعة جماله ، وأخطأها التأويل الصادق الدقيق لهذا الحلم الرائع الخلاب . ويحي حقي قاص شاعر في قصصه ، ولم أنس قصته الرائعة " قنديل أم هاشم . . " (١) .

أوردت هذا النموذج الهادى لأقول إنه في دراساته للقصة - التي اطلعت عليها - لم أجده عنيفا أو قاسيا على أى من أصحاب القصص التي درس ، هذا الهدوء نفسه الذى قطع به الطريق على كل ما يسمى بالأدب الموجه تحت ستار نظرية "الفن للحياة" ذلك حين قال في مناظرته مع رئيف خورى : " الأدب الموجه هو الذى يراد به أن يكون أدب الدعوة ، وان يسوق الشعوب إلى ما يريده هذا الحزب أو ذاك . . . " (٢)

في ظل هذا الفهم أولا ولغته الجميلة ثانيا ، وهذا الهدوء المميز ثالثا ، قدّم طه حسين دراساته النقدية في القصة .

إن هذا الفصل الموجز ، الذى حاول الباحث فيه التعرف على الجانب النقدى في فهم طه حسين لفن القصة ، ضرورى في الحكم على موقع طه حسين " ناقد الرواية " ، و "طه حسين كاتب الرواية" .

---

١) طه حسين : نقد واصلاح ، ص ١٥٢ .

٢) رئيف خورى : الأدب المسؤول ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الرابـــــــع

روايـــات طـــــه حسيـــــن :

فـــي الاتجـــــاه والمضمون .

١ . في السيرة والسيرة الذاتية	:	أديب ، الأيـــــام .
٢ . في التيار الواقعـــي	:	دعاء الكروان ، شجرة البؤس ، المعذبون في الأرض .
٣ . في القصة الأسطورية	:	القصر المسحور ، أحلام شهرزاد .
٤ . بين القصة والقصة التاريخية	:	على هامش السيرة ، الوعد الحق .
٥ . في التيار الرومانسي	:	الحب الضائـــع .
٦ . على هامش الرواية والقصـــة القصيرة .	:	ما وراء النهر (رواية لم تتم) ، ثلاثة فصول في مجلة "القصة" ١٩٤٩ ، في الصيـــف ، جنة الشوك ، رحلة الربيع ، مرآة الضميـــر الحديث ، جنة الحيوان ، أحاديث ، بين بين ، من لغـــو الصيـــف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه الصفحات محاولة لإلقاء الضوء على ما كتبه طه حسين في فن القصة، من خلال تصنيف هذه الكتابات في تيارات، وهذا التصنيف غير نهائي، إذ أن ما صنف تحت التيار الواقعي مثلا لا يخلو من بذور الرومانسية، وفي بعض قصصه ذات الرمز الأسطوري أفكار اجتماعية.

ويستبعد هذا الفصل الترتيب الزمني لصدور هذه الكتابات، كما يستبعد تصنيفها حسب التقسيمات الفنية للقصة من حيث طولها. ذلك أن هاتين الطريقتين في التصنيف، لا تؤديان إلى توضيح أو تحديد لما كتبه طه حسين في هذا الجانب من إنتاجه.

في هذا الفصل بحث في قصصه من الداخل، ومحاولة لفهم العمل الروائي من الزاوية النقدية، ولا يعني أننا سنكتفي بالنظر إلى المضامين منفصلة عن الأشكال الفنية، فالدراسة تستند إلى العلاقة الحية بين الشكل والمضمون، وبين شخصية الكاتب وعمله الفني، وتأثيره في قارئه. وقد استقر تقسيم هذه الآثار ضمن التيارات التالية:

١. في السيرة والسيرة الذاتية : أديب، الأيام.
٢. في التيار الواقعي : دعاء الكروان، شجرة البؤس، المعذبون في الأرض.
٣. في القصة الأسطورية : القصر المسحور، أحلام شهرزاد.
٤. بين القصة والقصة التاريخية : على هامش السيرة، الوعد الحق.
٥. في التيار الرومانسي : الحب الضائع.
٦. على هامش الرواية والقصة القصيرة : ما وراء النهر (رواية لم تتم). ثلاثة فصول في مجلة "القصة" ١٩٤٩، في الصيف، جنة الشوك، رحلة الربيع، مرآة الضمير الحديث، جنة الحيوان، أحاديث بين بين، من لغو الصيف.

وفي الصفحات التالية محاولة في النقد والتحليل، لدراسة هذه الآثار، والتعرف على طريقة مؤلفها ونظرته لهذا الفن، فهي تجمع من الخصائص الكثير، ففي أيامه للوهلة الأولى تحليل واسترجاع وسيرة حياة وبحث، وفي أعماله الأخرى سرد وأساليب إنشائية متميزة كما في "أديب" أو واقع وشاعرية ورموز، كما في "دعاء الكروان"، أو تاريخ وبذور عمل ملحمي كما في "على هامش السيرة".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهـــذا التنوع كان مثل هذا التقسيم . . . وتبدأ الحديث عن أديب :

١ . في السيرة ، والسيرة الذاتية :

أ . أديب : بين السيرة والرواية التحليلية :

كاتب السيرة أديب فنان ، شخصياته نابعة من الزمان والمكان الحقيقيين ، وهـــو يلجأ إلى التاريخ والنقد والخيال والتحليل ، ويستطيع بذلك أن يحقق هدف القـاص في تقديم عمل ممتع مفيد ذى بناء فني خاص .

ورواية "أديب" ، لطه حسين تقف حائرة بين السيرة والقصة ، وإذا كان الخيال فـــي القصة يتحرك بحرية ، فهو هنا كذلك ، وحين تلجأ القصة إلى التحليل والغوص فـــي النفس الانسانية لتحليلها ، نجد هذه الخاصية في "أديب" . فهي قصة لا سيرة ، لأن السيرة تحتاج إلى مذكرات وأدلة وتاريخ واضح ، غير أن السبب الذى جعلنا نتحدث عن "أديب" في باب السيرة ، هو أن طه حسين يقدم ترجمة لحياة أديب من الأدبـــاء بكل ما فيها من نجاح وفشل ، موضحا ثقافته وفكره وشخصيته ، دون أن يقدم هذه الحياة بتسلسل تاريخي ، بل قدمها في مشاهد ولوحات ، ولعل الذى جعل الدارسيـــن يختلفون في تصنيف "أديب" والحكم عليها ، هو أنهم لم يكونوا يعرفون من يقصد طـــه حسين بهذه الشخصية ، بل إن طه حسين ، وإن كان يؤكد أن بطل "أديب" شخصية حقيقية ، غير أن عدم معرفة اسمه فتح أمام الدارسين بابا واسعا للاجتهاد ، حتى أن عبد المحسن بدر صنف "أديب" على أنها الجزء الثالث من "الأيام" (١) ، وإذا كـــان الدكتور بدر يعني أن في أديب صورا من حياة طه حسين فهذا صحيح ، غير أن كتابه الصادر سنة ١٩٦٠ ، أى قبل صدور مذكرات طه حسين سنة ١٩٦٧ ، وهي الجزء الثالث من الأيام لا يبرر له اعتبار "أديب" جزء "الأيام" الثالث ، ومذكرات طه حسين منشورة مسلسلة في آخر ساعة سنة ١٩٥٥ ، أى قبل كتاب الدكتور بدر بخمس سنوات . كما أن مذكراتـــه المنشورة والتي اعتبرت جزء "الأيام" الثالث تصور مرحلة لاحقة لما قدمـــه في الجـــزء الثاني من "الأيـــام" .

---

(١) عبد المحسن بدر : تطور الرواية العربية الحديثة ، ص٣١٣ ، ص٣١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذى يجعلني أقرر بأن "أديب" ترجمة حياة لشخص معين، هو أن طه حسين حدد قبل وفاته بعامين إسم صاحبه بطل "أديب" وهو "جلال شعيب" زميله في الجامعة الأهلية وفي فرنسا. (١)

ومن هنا، وما دامت "أديب" عن شخص حقيقي، فهي تترجم لحياته، ولكن ليست هذه الترجمة ترجمة تاريخية، بل هي قصة شخصية، في قالب بعيد عن التأريخ المباشر.

وما دمنا نرى في "أديب" ترجمة لشخص معين، ولكن باسلوب تحليلي فيه شيء من أسلوب الرواية، فسنحاول إلقاء الضوء على جوانب هذا العمل من أعمال طه حسين، بخاصة لأن فيه شيئا هاما من حياة طه حسين نفسه، من خلال صداقته لجلال شعيب الذى يعتز طه بصداقته له، حتى أنه كتب عنه كتابا هو "أديب" وقال في مقدمته: "ودت لو أسميك، ولكنك تعلم لماذا لا أسميك، وحسب الذين ينظرون في هذا الكتاب أن يعلموا أنك كنت اولّ المعزين لي حين أخرجني الجور من الجامعة، وأول المهنئين حين ردّني العدل إليها، وكنت بين ذلك أصدق الناس لي ودّا في السر والجهر، وأحسنهم عندى بلاء في الشدة واللين، فتقبل مني هذا العمل الضئيل تحية خالصة صادقة لإخائك الصادق الخالص".(٢)

وقد صدرت رواية "أديب" سنة ١٩٣٥، وقد سبقها من أعمال طه حسين، التي تدخل ضمن هذه الدراسة، كل من الجزء الاول من "الأيام"، والجزء الأول من "على هامش السيرة"، و"في الصيف"، و"دعاء الكروان"، وذلك في السنوات الست السابقة لصدور أديب. وقد استقبلت مجلة الهلال "أديب" عام صدورها بالقول: "قدم الدكتور طه حسين هذه القصة المتعة، وهي شطر من سيرة حياته. فقد عوّدنا أن يتحدث عن حوادث أيامه، وما لقيه من الصبا والشباب، بهذا الأسلوب القصصي الشائق الذى أجاده في كتاب الأيام..."(٣)

---

١) حمدى السكوت، مارسدن جونز: أعلام الأدب المعاصر في مصر (١). طه حسين ص٤٢، نقلا عن مقابلة أجراها عبد العزيز الدسوقي ونشرت في "الرسالة الجديدة"، القاهرة سنة ١٩٧١. كما تعرض لوصف مرض صديقه — دون ذكر الاسم — في "الأيام" ص١٤٤، ١٤٥.

٢) أديب، ص٥.

٣) الهلال، عدد أول مايو، السنة ٤٣، سنة ١٩٣٥، ج٧، ص٨٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان صدور "أديب" بعد فترة من فصل طه حسين من الجامعة، واعتكافه في بيته ابتداء من ٢٩ آذار ١٩٣٢، وذلك بعد أن رفض الموافقة على منح الدكتوراه الفخرية لعلي ماهر، وعبد العزيز فهمي، وتوفيق رفعت، وابراهيم حلمي، واختلف لذلك مع حلمي عيسى، وزير المعارف، الذي نقله إلى وزارة المعارف، فاستقال، غير أن هذا كان مجرد سبب ظاهري، أما السبب الحقيقي لخلافه مع وزير المعارف فقد بدأ منذ سنة ١٩٣٠ مع حكومة اسماعيل صدقي، التي عطلت دستور ١٩٢٣، ولأن طه حسين رفض أن يحرر جريدة الشعب التي كانت تصدرها عندها أثارت حكومة صدقي ضده قضية الشعر الجاهلي من جديد، غير أنه خاض هذه المعركة في سبيل مصر، وخاض معركة استقلال الجامعة، وأيده الطلاب، وهاجم معارضيه من خلال الصحافة، واستقال أحمد لطفي السيد مدير الجامعة سنة ١٩٣٢ تأييدا له، ورفضا للظلم. وانتصر طه حسين، وأعيد في نوفمبر سنة ١٩٣٤ إلى الجامعة.

ومن هنا يمكن أن تفسر "أديب"، بأنها شبيهة بالأيام، فقد جاءت بعد معركة. فالأيام نشر في الهلال سنة ١٩٢٦ بعد معركة الشعر الجاهلي. ونشرت صفحات قليلة من "أديب" في الرسالة في ١٩٣٣/٣/١. ويعلق الدكتور عبد الحميد يونس على رواية "أديب" بقوله:

"إن كتاب أديب يعد تصويرا لموقف السلطة من المفكر الحر، حين لم تجد أمامها غير إحالته إلى "المعاش"، وكأنها تصورت أن الفكر جهاز مادي مرتبط بظروف تقيده بالعمل. ونسيت أن إبعاده عن منبر الجامعة أتاح له أن يشع نوره عن طريق الصحافة، وكما تصورت من الواقع التاريخي، أن نشر الأيام في "الهلال" عام ١٩٢٦، يوضح التجربة النفسية للمؤلف، فكذلك تصورت أن صدور كتاب أديب سنة ١٩٣٤، يوضح هو الآخر موقفه من السلطة التي أبعدته عن الجامعة. ولست أنسى أن الشبان الأربعة الذين ترجموا دائرة المعارف الإسلامية، هم الذين نهضوا بمسؤولية نشر هذا الكتاب الأخير عام ١٩٣٤، ولذلك يضاف إلى كتاب الأيام باعتباره حلقة من حلقات الترجمة الذاتية ...."(١)

---

(١) مجموعة من الدارسين: طه حسين كما يعرفه كتاب عصره، ص٦٥، ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الرأي الرصين للدكتور يونس يقدّم الصورة الحقيقية لمكانة هذا الكتاب، وإن كنا نختلف معه في إلحاقه بالأيام، مع أنه يشير في تتمة حديثه هذا إلى بعض جوانب الاختلاف بين الأيام وأديب، من هنا تبرز ضرورة التعرف على هذا الكتاب من الداخل . . .

الصفحات الأولى من هذا الكتاب حديث عن الإبداع الأدبي، ينتقل طه حسين في نهايته إلى الربط بين هذا الحديث وبين صاحبه الأديب الذي أضنته علة الأدب، فكان لا يحس بشيء الا فكّر في الأدب. فنحن أمام رجل ملك الأدب عليه عقله ووقته وتصرفاته، يكتب الشعر والنثر، لكنه يخاف النشر "فهو كان يخاف المطبعة ويكبرها، ويحيطها بشيء من التقديس غريب". (١)

وإلى جانب اهتمام "أديب" بالفكر الذي لم ينشر من إنتاجه فيه شيئا، كان ذا شكل مميز لعله أثر في نفسيته التي سنرى مقدار ما فيها من تعقيد. فقد كان "نابي الصورة تقتحمه العين ولا تكاد تثبت فيه. وكان إلى القصر أقرب منه إلى الطول. وكان على قصره عريضا ضخم الأطراف مرتبكا كأنما سوّي على عجل، فزادت بعض أطرافه حيث كان يجب أن تنقص، ونقصت حيث كان يحسن أن تزيد. وكان وجهه جهما غليظا، يخيل إلى من رآه أن في خدية ورما فاحشا. وكان له على ذلك أنف دقيق مسرف في الدقة، منبطح غال في الانبطاح، قد اتصل بجبهة دقيقة ضيقة لا يكاد يبين عنها شعره الغزير الجعد الفاحم". (٢)

هذه الصورة الهزلية لمخلوق مشوه، يرسمها طه حسين لصاحبه، توحي في البداية أن هذا الصاحب كبير السن، لكننا نفاجأ بأنه في الثلاثين فقط، وإن بدت علامات الكبر على وجهه حيث كان مقوس الظهر منحرف العنق. ويسرف طه حسين في وصف مظاهر القبح في هذا المخلوق الذي لم يكن صوته عذبا ولا مقبولا، وضحكه غليظ مخيف، لا يميل إلى الاختلاط بالناس. ومع ذلك كلّه كان أصدق اصدقاء طه حسين، هذا الصديق القبيح الوجه الذي كان أحب الناس اليه، وأكرمهم عليه، وآثرهم عنده إن أديب هو الشخصية الرئيسية التي يدور حولها هذا الكتاب. وهو شخصية نامية حللّها طه حسين بدقة، خاصة وأن هذه الشخصية غريبة الأطوار شاذة.

---

١) أديب : ص١٠ .

٢) المصدر نفسه، ص١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرّف به في الجامعة الاهلية قبل سفره إلى باريس وكرهه منذ البداية، لما كان له من تعليقات سخيفة، ونقد لاذع، وجرأة لا حدود لها. وتكون المفاجأة الأولى بأن بين أديب وطه حسين علاقة تعود إلى القرابة بين قريتيهما، وإلى صداقته باخوة طه حسين. ونعرف أيضا أن أديب أتم الثانوية منذ أعوام، ويعمل في وزارة الاشغال، وهذه المعرفة بينهما هي التي تصبح فيما بعد مبررا لأن يكتب طه حسين هذه القصة، أو الترجمة لصديقه "جلال شعيب"، والذى قال عنه في إحدى مقابلاته الصحفية: "صاحبي في الكتاب شخصيته حقيقية لن يفيدك اسمه بشيء، ولا أنصح بنشره، لأن أسرته ما زالت موجودة، لقد كان زميلي في الجامعة، ثم في السوربون، وكان في غاية الذكاء والامتياز وقد انتهى نفس النهاية التي صورتها في الكتاب، فجن أولا وما زال به مرضه حتى انتهى إلى شلل عام، ثم الوفاة".(١)

وفي "أديب" مجموعة من الأحداث الهامة في حياة بطلها، ويصف طه حسين هذا الحوار الطويل الذى كان يدور بينه وبين صاحبه، وكيف كان هذا الصاحب متحررا منطلقا. وفي هذه الذكريات المشتركة التي كانت تجمع بينهما، حتى تكاد بعض الصفحات أن تكون صورة مكملة لما في "الأيام".(٢) وهذه الصفحات مهمة لما فيها من وصف لقرية طه حسين، ولبيت الملاحظ والمأمور، وصديقيه عثمان ومحمود، ولعزيزة وأمينة، كما أن قيمة هذه الصفحات تكمن في أنها رويت بطريقة الاسترجاع، كحلم من احلام راوى القصة.

ويبدأ طه تعلّم الفرنسية على صديقه بمقابل أن يعوّده طه مباشرة كتب الازهر بين في الفقه والمنطق والأصول. ذلك أن "أديب" كان يدرك ضرورة إلمام طه باللغة أجنبية. واستمرت لقاءاتهما ثلاث سنوات من حياتهما في الجامعة، يلتقيان في مقهى بشارع قصر النيل قريب من الجامعة، دون أن يحقق أى منهما فائدة من تعليم صاحبه له. غير أن شخصية "أديب" في هذه الفترة بدأت تعاني شيئا من الاضطراب، خاصة عندما تعلن الجامعة عن بعثاتها إلى أوروبا، حيث أصبح "أديب" أحد طلاب هذه البعثة.

---

١) فؤاد دوّاره، عشرة أدباء يتحدثون، ص٢١.

٢) أديب، ص٢٥-٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى هنا ينتهي جزء هام من رواية "أديب"، لنجد أنفسنا أمام رسالة من "أديب" إلى طه حسين، وفيها أسلوب طه حسيـــن. وهذه الرسالة تقدم التطورات الرئيسية التي واجهها "أديب" قبل سفره، حيث ذهب الى الريف يخبر أبويه بنيته في السفـــر إلى باريس، وهما اللذان كانا يشفقان من غربته في القاهرة، وهو حزين كل الحـــزن لهذا اللقاء مع أبويه حيث يقول: "هنالك رحلت إلى الريف وليتني لم أفعل، فلـــم أكن أظن أني سألقى في هذا الريف ما لقيت من حزن لاذع، وألم ممض، ويأس لا صبـــر معه ولا احتمال له".(١).

وفكرة الموت تراود "أديب" بشكل واضح منذ أن بدأ يستعد للسفر، فهو يكـــره الوداع، ويقول إنه يرى فيه نوعا من الموت، وله من الموت موقف، يقول: "لا أحب أن أتلقى الموت مهما يكن يسيرا على علم به ... وإنما اوثر أن يفاجئني مفاجأة، وأن اخرج من الحياة جاهلا بخروجي منها، كما أقبلت على الحياة جاهلا بإقبالي عليها".(٢)

وفي رسالته إحساس إنساني عميق، لكنه مضطرب، نحو الموت والوداع والرحيـــل والحزن وبخاصة في هذا الوصف الدقيق لزيارته للريف، حين وصف حرص أمه عليـــه، وحيرته أمام وداع أهله، وذكريات بلده العزيزة. ويقدم في هذه الرسالة وصفا دقيقا للمنطقة التي شهدت طفولة طه حسين نفسه، وما طرأ عليها من تغير بين رحيـــل وموت وتعمير وتخريب، شمل الأرض وأناسها وذكرياتها، فقد مات "سيدنا" وهـــدم الكتّاب ومعمل السكر.

إن هذه الرسالة تلقي مزيدا من الضوء على الناس في مطلع هذا القرن، النـــاس الذين عاش بينهم طه حسين وصديقه.

وأبرز ما يميز هذه الرسالة هو هذا الوقوف من الذكريات موقف الحزين اليائـــس يقدمه "أديب"، مما جعل رحلته خارج مصر تبدأ بنفس المحطة، فهو يعترف بذلك بقوله: "ها أنذا سأعود إليك بعد أيام، ثم أرحل إلى مصر بعد أسابيع، لا أحمـــل في نفسي إلا أطلالا متهدمة ونخلتين قائمتين صامتتين تجدان الوحشة وتبعثانهـــا من حولهما. ما أكثر ما كنت أريد وما أقل ما وجدت، وما أكثر ما تعبث بنا الآمال... تقبل تحية صديقك اليائس".(٣)

---

١) المصدر نفســه، ص٤٥.

٢) المصدر نفســه، ص٤٤.

٣) المصدر نفســه، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن طه حسين ، وهو الشخص الثاني في هذه القصة ، قد تلقى رسالة صديقه الطويلة هازئا بعواطفه ، فانه يعترف بأنه حين أعاد قراءتها ــ وهي رسالة لا أظن أنها قد وجدت أصلا ــ وهو يكتب كتابه هذا أحس بقيمة حزن صديقه "أما الآن فأراني مع صديقي متلمسا أصل القناة ، باحثا عما ألفنا من الأحياء والأشياء ، حزينا ملتاعا بل يائسا قانطا." (١)

يلي هذه الرسالة لقاء بين الصديقين قبل سفر "أديب" إلى باريس ، يكتشف فيه طه أن صديقه يعاني مشكلة صعبة هي أنه متزوج ، وهذا ما لم يكن يعرفه طه . وتنبع هذه المشكلة من أن نظام الجامعة يطلب من أعضاء بعثاتها أن لا يتزوجوا حتى يعودوا من أوروبا ، مما يضع طه حسين أمام المفاجأة ، وهو يرى صديقه مضطربا يعاني شيئا من الاختلاط . وهنا تدخل شخصية الزوجة ، ويعرف طه المزيد عن صديقه . فهو ابن أسرة من الريف غنية ، يواجه صراعا بين أن يزور على الجامعة بأنه غير متزوج ، أو أن يطلق زوجته ، وكلا الخيارين عنده صعب . فهو متعلق بالسفر تعلقا لا حدود له ، ويحس نحو زوجته بالحزن ، وأنه يظلمها إن طلقها ، مع أنه يرى أن في أوروبا نوعا من الحياة ، لا يقاوم خاصة من رجل مثله ، في شخصيته جوانب غير عادية "فأنا واثق يا سيدي بأني سآثم ، وسأنغمس في الخطايا . . . ولكني لا أبيح لنفسي أن أكذب على امرأتي كذبا متصلا ، فأزعم لها أني وفي أمين." (٢)

وآراء طه حسين في الأزهر والحرية واضحة في حواره مع صديقه ، وفي وصفه لشخصيته . ويسافر صديقه بعد أسبوع من حديثهما بعد أن اخبره أن زوجه قد ارتحلت إلى الريف . ونجد أنفسنا أمام رسالة من "أديب" إلى صديقه . وهذه الرسالة تكشف عن جوانب أخرى من شخصيته ؛ فهو معتز بصداقته لطه حسين ، ناقم على شيوخ الأزهر .

ثم يلتقي الصديقان مرة أخرى ، و"أديب" يتحدث عن الخطيئة والكفر ويطرح مزيدا من آرائه ، ويقرأ لصديقه رسالته لأبيه عن طلاقه لزوجته "حميده" ، بعد أن كان قد كتب رسالة لها ، وتراجع عن إرسالها فيأخذها صديقه منه لنجد فيها أجمل فصول هذه الرواية . فهو يبدأها بقوله : "لم يؤوني البيت منذ فارقتك ظهر أمس

---

١) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

٢) المصدر نفسه ، ص٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا حميدتي العزيزة . . . ذلك أن في نفسي صورة لا تريد ولا أريد أنا أن تفارقني ، وهي صورتك قبل الرحيل ، وقد انتحيت ناحية من غرفتنا ، ووقفت واجمة لا تنطقين ثم لم أكد أقبل عليك ، وأدعو باسمك حتى دفعت اليّ عينا منفعلة لا تريد أن ترتفع ، ثم انهمرت دموعك انهمارا صامتا . . . ثم انهمرت دموعي كما انهمرت دموعك ، ثم قام كل منا في مكانه لحظات لا أدري أكانت طوالا أم قصارا ، ولكنها كانت لحظات صمت عميق ، يغمره دمع غزير . ثم سعيت اليك في رفق فضممتك إليّ ، وطوقتك بذراعيّ ، فلم تقولي شيئا وإنما أسندت رأسك إلى كتفي ، وظل دمعك ينهمر سخينا غزيرا ، ثم أخذت رأسك بين يديّ ولثمت عينيك ، كأنما أريد أن أشرب دمعك شربا ، ثم قبلت جبهتك وخديك ثم ضممتك إلي مرة أخرى فقبلتني ، ثم افترقنا . "(١)

هذه الصورة ظلت تلح عليه وتحفر في أعماقه ، يراها في الغرفة تروح وتجيء ، وهو مشغول بهذه الصدمة الثالثة بعد الأولى في مصر كلها ، والثانية في ريفها .

وهذه الرسالة لزوجته فيها من الحزن ما في رسالته لصاحبه عن رحلته إلى الريف . وهي طويلة ، لعل أبرزها ما فيها أنه اكتشف أن "حميدة" ، التي قبلته رغم قبحه ، قد رحلت عنه ، وأنه ليقسم قائلا : "ما طلقتك عن قلى ، ولا فارقتك عن زهد فيك أو رغبة عنك أو نفور منك ، وإني أقسم ما احببتك قط كما أحبك الآن ، وما آثرتك قط كما أوثرك الآن . . . بل أقسم أني لأحس كأنما أشطر قلبي شطرين ، فأحفظ شطره في صدري وأرسل بشطره الآخر إلى مكان بعيد في أعماق الريف ، حيث لا يتاح لي أن ألقاه . . . لم استطع أن أوثرك على أوروبا ، فأبقى معك ولم أستطع أن اطمئن إلي أني ساكون وفيا إذا عبرت البحر ، فأحتفظ بما بيننا من صلة الزواج" . (٢)

وهو بهذا يعاني من تناقض عجيب ، وحيرة رهيبة ، ويسمي ما يكتبه بالهذيان ويقول عن نفسه : "إني لغافل ذاهل ، وأني لمدله مجنون" . (٣)

ثم تبدأ رسائله ، هذه المرة من فرنسا ، إلى صديقه ، حيث سافر قبله واصفا رحلته ، مستمرا في هذا الصراع : الندم على طلاق زوجته ، والرغبة في الخروج إلى شمس حضارة جديدة ، متذكرا فضل هذه الزوجة عليه . وهو بين السخط والرضى لما كان في مصر ، مما يدفعه إلى الاصرار على هذا الرحيل . غير أنه وهو في طريقه

---

١) المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

٢) المصدر نفسه ، ص١١٢ ، ص١١٣ .

٣) المصدر نفسه ، ص١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى فرنسا كان يخاف منها : "إني لأدنو الآن من فرنسا خائفا وجلا شديد التشاؤم، لا أنتظر خيرا ولا نجحا ،إنما أنتظر شرا كثيرا ،وإخفاقا شنيعا . ولو طاوعت نفسي لما استقررت في مرسيليا الآريشما آخذ السفينة التي تردني إلى مصر."(١)

وتتوالى رسائله لصديقه واصفا وصوله إلى مرسيليا ،وعلاقته بفتاة تعمل في الفندق . وهو مبهور بما يلقى من عناية مما يجعله يبطيء في الرحيل إلى باريس، ويقبل على الشراب. وقد بدأ تفكيره يشغل بهذه الفتاة الفرنسية ،مع أن ذكرى "حميدة" ما زالت في ذهنه . وتبدأ ملامح الجنون في شخصيته ،فهو يتساءل : "أليس يمكن أن تكون هناك قوة خفية ماكرة قد دفعتني إلى ما وراء البحر لألقي في هذه الارض الغريبة كيدا يدبر أو أمرا يراد ،ولأكون نهبا لشياطين الأثم والغواية والنساء . . . لست مجنونا ولا سكرانا ،ولكني عاقل محكم العقل ،أنظر في المرآة فأرى نفسي منكرة بشعة . . . لست مجنونا ولا سكرانا ،بل لست أدرى من أنا ولا ما عسى أن أكون . . . إني أخشى أن اخرج من طورى ،وأن أدفع إلى هذا الجنون الذى أنكره وأبرأ منه ."(٢)

وفي رسائله التالية يصف إعجابه بخادمة الفندق "فرناند"، وكيف قضى عطلة الصيف معها . ثم وصل إلى باريس مريضا متعبا مشرفا على الخطر . وانقطعت رسائله عن صديقه ،مع أن انباء الجامعة الرسمية كانت تصف تفوقه ،حين كان طه حسين يستعد لامتحان الأزهر الذى فشل فيه ،وامتحان الجامعة الذى نجح فيه . ثم تصله رسالة من صديقه تصف باريس، وتدعوه إلى اللحاق به ،وهو في هذه الرسالة القصيرة يوجز، ولا يبدو عليه أي إضطراب . ثم تنقطع رسائله مرة ثانية ،وتنشب الحرب لتعود الرسائل واصفة علاقة "أديب" السيئة بزملائه المصريين ،وكيف أصرّ على البقاء في باريس مع أن كل الناس قد خرجوا منها ، رغم أنه سيعاني نتيجة هذا البقاء . ومن رسالته هذه نعرف أنه يعيش مع صديقة فرنسية جديدة اسمها "الين"، ونعرف أنه عاد من جديد ليقطع الأسباب بينه وبين الدرس.

وفي رسالة تالية يكتبها "أديب" إلى صديقه في مونبليه هذه المرة ،نجده موزع النفس بين تيارين : العلم واللذة ،مع أن ما بقي من إرادته شيء قليل ،وهو يحاول جهده أن يوازن بين هذين الطرفين بجهد عنيف، فهو قادر عاجز ،وكسول نشيط،

---

١) المصدر نفسه ،ص١٣٠ .

٢) المصدر نفسه ،ص١٤٢—١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحياته كلها في فساد واضطراب "فانا أحيا لغير شيء، أو قل إني لا أحيا، وإنما أنتظر شيئا مجهولا لا أعرفه ولا أريد أن أعرفه . . . وإني مع ذلك لأظن أني لن أعود إلى مصر – إن عدت اليها – سالما موفور العقل مستقيم الملكات . . . فلئن ذهبت في غير نفع، فما أكثر الشبان الذين يذهبون في غير نفع هذه الأيام".(١)

وهكذا نجد هذه الشخصية الغريبة قادرة على تحليل نفسها، هذا التحليل الذي قام به طه حسين، ووصفه على لسان صاحبه الذي يصل به الجنون حدا يكاد يقتله. غير أنه يقبل هذا الجنون بشكل غريب "إني لأرى شبح الجنون بغيضا مزعجا، ولكني مع ذلك لا أهابه ولا أتأخر عنه . . . وكيف أحجم عن الجنون وقد اتخذ لنفسه صورة اليقين".(٢)، أي أنه غرق في اللذة، ورسب في امتحاناته بعد ذلك، لا لأنه لم يتهيأ لها، بل لأنه أصيب بنوبة، حين أدركه شيطان اللهو، وتحرك من نفسه الجانب الآخر، جانب كراهية العلم.

ويلتقي الصديقان في باريس، و"أديب" محزون كل الحزن، متغير إلى حد كبير، مسرور كل السرور "ينتقل من الحزن إلى السرور، ومن السرور إلى الحزن فجأة في غير تهيؤ . . . مسرف في صحبة الكتاب . . . مسرف في الشراب . . . نائم كالمستيقظ مستيقظ كالنائم".(٣)

ويفترق الصديقان ويشتد المرض بأديب، وهو مرض وهمي غريب، نرى من الضروري أن ننقل هذا النص الذي يصفه فهو وإن كان مريضا إلا أن آثار المرض لا تبدو عليه. إنه مقتنع بأنه مريض. ويصف طه صديقه "أديب" حين التقاه آخر مرة في مرضه بقوله: "كان يتحدث إليّ في أمر السوريون أو في أمر "اليقين" فيستقيم الحديث استقامة حسنة. ولكنه لا يكاد يسمع في الجو أزيز الطيارة . . حتى ينهض، فإذا سألته ما خطبه أجاب: ألست تسمع أزيز هذه الطيارة فانه دعاء لي إلى الخروج. وكان قد استقر في نفسه أن الصحف الفرنسية كلها مجمعة على مقته وبغضه والكيد له . . . فقد كان هو ألمانيا، وكان كل ما تذكره الصحف عن ألمانيا موجه اليه . . . وإنها – أي الصحف – لا تعرف له حبه لفرنسا ووفاءه لباريس . . . ثم يعظم الأمر قليلا قليلا،

---

١) المصدر نفسه، ص١٦٨، ١٦٩ .

٢) المصدر نفسه، ص١٧١ .

٣) المصدر نفسه، ص١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا الحلفاء جميعا يمكرون به ويكيدون له ... وإنهم يأتمرون به لينفوه إلى المغرب الأقصى ... فكتب إلى جماعة من أساتذته في السوربون، وإلى جماعة من كبار الساسة في مجلس النواب والشيوخ، يقص عليهم القصة، ويستعينهم على اتقاء هذه الكارثة."(١)

ويبدو أن الين التي خانته ـ كما يتصور ـ هي من أسباب جنونه، كما كانت حميده في البداية سببا آخر.

وتستمر رسائله إلى صديقه بهذا المعنى، تهاجم الحلفاء وأساتذة السوربون، وهو يرى أن "جوار حميده على بغضها لي، أهون عليّ من جوار الين."(٢)

ثم يرى أن عليه أن يترك فرنسا خوفا من الحلفاء، ويطلب عون صديقه في ذلك، لعله إن اكتشف الحلفاء صدقه أن يعود إلى جامعته ليتم تعليمه، ويتزوج من الفتاة التي أحب.... هنا تنتهي الرواية سوى من فقرة أخيرة، نرى فيها حقيبة ضخمة تحمل إلى طه حسين فيها، كما يقول، كتب كثيرة ومتاع، ومعها رسالة تقول: إن الاطباء قد يئسوا من شفاء "أديب". وتقول صاحبة الرسالة: ـ وهي بلا شك الين ـ إن في بيتها كتبا كثيرة أيضا ومتاعا قليلا.

وتنتهي القصة بقول المؤلف: "وقد حفظت هذه الحقيبة بضعة عشر عاما، لا أعرف من أمرها إلا أنها مملوءة بالأوراق، فلما أتاح لي الظالمون شيئا من فراغ نظرت في هذه الأوراق فإذا أدب رائع حزين صريح لا عهد للفتنا بمثله فيما يكتبه أدباؤنا المحدثون، وقد هممت بنشره وقدمت بين يديه هذا الكتاب، ولكن هل تسمح ظروف الحياة الأدبية المصرية بإذاعة هذه الآثار يوما ما؟"(٣)

في هذا النص دلالتان هامتان: الأولى أن ظروف الحياة الأدبية المصرية لم تكن في رأى طه حسين مواتية لحرية النشر، ولعله يقصد دكتاتورية اسماعيل صدقي. ولعل كلمة "الظالمون" الذين أتاحوا له الفراغ تعني فصله من الجامعة بين عامي ١٩٣٢، ١٩٣٤. والثانية هي هذه الآثار الموجودة في الحقيبة، والتي تحدث عنها وقدم لها بهذا الكتاب فهي آثار وهمية، كما يقول في إجابته عن سؤال: "هذه الآثار الأدبية التي ذكرتها في خاتمة كتابي "أديب"، آثار وهمية وهي تشير إلى

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشياء كنت أحب أن أكتبها أنا ، وأضيفها إلى هذا الصديق الكريم رحمه الله". (١)

إن أبرز ما في أديبانها تمثل أثرا من الآثار المربية ، التي تدرس الصراع الذى يواجهه المثقف المربي حين يرحل إلى حضارة جديدة. فبطل "أديب" وجد نفسه ينتقل من ريف مصر إلى ضوضاء باريس، من البساطة إلى التعقيد ، ومن "حميدة" إلى "فرناند" و"لين" ، ومن الأزهر والجامعة المصرية ، إلى السوربون . وقد هلك من هذا الصراع، مع أن صديقه في الرواية استطاع أن ينجح وأن يقدم لنا هذه الصورة لهذا الصراع بين الانسان وأعماقه وطموحه وآماله .

وهذا يوضح لنا نظرة المثقفين العرب إلى الحضارة الغربية ، هذه النظرة التي نجدها في أيام طه حسين أيضا وفي "زينب" لهيكل ، و"عصفور من الشرق" للحكيم ، و"قنديل أم هاشم" ليحي حقي ، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح ، و"الحي اللاتيني" لسهيل ادريس، ويلاحظ على هذه الرواية ميل المؤلف إلى التحليل النفسي ، وامكانية النظر اليها من خلال أن مؤلفها قد أفرد لنفسه في صفحات كثيرة ، كادت أن تقرّبه من الترجمة الذاتية .

هذا العمل غير واضح او محدد المعالم ، ففيه شخصيتان رئيسيتان تتنازع كل منهما عددا أكبر من الصفحات في هذا الكتاب. كما أن أسلوب الرسائل ، الذى كاد يطغي على النص، يبين أن هذه الرسائل قد كتبت جميعها بأسلوب واحد . فهذا العمل مذكرات من جهة ، وترجمة ذاتية إلى حد قليل ، ورواية من حيث الإطار العام لهذا العمل . وإذا كان لابد من قطع في هذا ، فإن أديب غير مكتملةمن حيث الجانب الفني للرواية ، وهي لا تخلو من بذورها حيث تقف حائرة بين السيرة والرواية .

هناك مآخذ على هذا العمل أبرزها "قلة الشخصيات ، أو انعدامها بجانب شخصيتي البطل والراوى". (٢) والشخصيات الأخرى قليلة وأدوارها محددة مثل "لين" و"فرناند" ، كما أن أحداث الرواية قليلة بطيئة ، لأن الأسلوب يعاني من الاسترسال في السرد الأنشائي ، الذى جاء بلغة واحدة هي لغة المؤلف وطريقة تقريرية ، خاصة في هذه الرسائل الطويلة .

---

١) فؤاد دواره : عشرة ادباء يتحدثون ، ص٢١ .

٢) أحمد هيكل : الأدب القصصي والمسرحي في مصر ، ص١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل أفضل تحديد لصورة بطل أديب جاءت في دراسة للكاتبة الفرنسية الكفيفة أنجيل قنانيه حيث تقول : "تبدو صورة أديب صورة هذيان مضطرب لرجل يندفع نحو مصدر المعرفة الساطع دون أن يكون مهيأ لذلك من قبل ، مرورا بدراسة منظمة في مراحلها مدعمة بتفكير عقلي من مستوى عال".(١)

هذه الصورة لأديب قدّمها طه حسين وقدّم معها آراءه حيث اختار أن يكون هو الراوى ، وقدّم العمل بضمير المتكلم لا بضمير الغائب في غالبية صفحات هذا العمل .

---

(١) أنجيل قنانيه ، طه حسين وأسرار الليل ، المعرفة ، العدد ٩٥٣ تشرين الثاني ١٩٧٤ ، ص١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب. الأيـــــام:

بين السيرة الذاتية والرواية:

"الأيام"، بأجزائه الثلاثة، من أهم مؤلفات طه حسين التي تركت آثارا عميقـــة، وترجمت إلى عدد كبير من اللغات. وهذه الدراسة للأيام محاولة لكسر طوق الحيـرة في تصنيف هذا العمل، إذ تردد الدارسون في اعتباره سيرة ذاتية أو مذكرات شخصية أو مجرد تأريخ حياة أو بحثا اجتماعيا، ذلك أن "الأيام" عمل من نوع خاص. فلو طبقنا عليه الشروط الفنية للسيرة الذاتية من جهة أو شروط العمل الروائي من جهة ثانيـــة، فأننا غير واجدين فيه حدودا بين هذا النوع أو ذلك.

إن الربط بين الاحداث، والشخصيات، والمواقف، والصور في "الأيام" ربـــط خارجي وميزة أدب الاعترافات واضحة فيه، والتسلسل التاريخي العام بيّن الى حد بعيد. غير أن هذا لا ينفي عنها نحو الشخصية الرئيسية، وقدرتها على الحياة والحركـــة، وقدرة الكاتب على تصوير البيئة المحيطة بهذه الشخصية مما يعطي هذا العمل طابعا روائيا أكثر من طابع السرد التاريخي. يضاف الى ذلك ما في الأيام من صراع حـــاد بين البطل والقدر وما فيه من صدق، وحيوية، وانسياب، وتشويق، تؤدى كلها من خلال الأسلوب المميز الموحد، إلى اعتبار "الأيام" عملا فنيا فيه شروط العمل الفنـــي الناجح من حيث الوحدة والانسجام والتناسق والألق.

والحديث عن "الأيام" يقتضي أن نقرر منذ البداية أنه ليس ظاهرة منفردة أن نجد في أدبنا من كتبوا سيرا ذاتية: فقد عرّف ابن خلدون بحياته، وكان ابن حزم صريحا في "طوق الحمامة"، والقاضي الفاضل واضحا في "مياوماته"، ونجد غيرهم أيضا ممـــن كتبوا عن حياتهم بأقلامهم: كابن الهيثم والأمير عبد الله آخر ملوك بني زيرى بغرناطه، ثم الغزالي في "المنقذ من الضلال"، وأسامه بن منقذ في "الاعتبار". وفي النهضـة الحديثة عرفنا الشدياق في فارياقه، كما نجد أجزاء من حياة توفيق الحكيم في "عصفور من الشرق"، والمازني في "ابراهيم الكاتب" و"ابراهيم الثاني" والعقاد في "ســارة"، وأحمد أمين في "حياتي"، وهم بذلك يحيلون تاريخ حياتهم أو أجزاء منه إلى نسيـــج قصصي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في الأدب الغربي الذى تأثر به طه حسين،فلابد أنه قرأ اعترافات روسو الصريحة (١) . كما أنه كتب عن يوميات صديقه أندريه جيد . وقد تطور هذا الفن في الغرب في "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست، و"صورة الفنان في شبابه" لجيمس جويس، و"عصارة الأيام" لسومرست موم . غير أن اعترافات روسو التي كتبت في جزأين في الفترة بين ١٧١٢ـ١٧٦٥ من حياته ،هي أكثر الاشارات أهمية في مدى تأثيرها في أيام طه حسين .

ومنذ البداية أود أن اقرر أن "الأيام" أكمل ترجمة ذاتية في أدبنا الحديث، غير أنه لا يلحق نهائيا بهذا اللون الأدبي لأنه ذو إطار قصصي وخيال مبدع. فهو في موقف متوسط بين الترجمة الذاتية والرواية ،وإذا كان طه حسين لم يحوّره كما فعل الحكيم في "عودة الروح" أو المازني في "ابراهيم الكاتب"، إلى قصة كاملة فذلك كسب كبير للتراث الأدبي الحديث.

ليس "الأيام" حديثا عاما عن طه حسين ،بل هو تجربة إنسانية عميقة ، نحس، من خلالها ،بأنها اكتملت في نفس صاحبها ،خاصة في جزئه الأول الذى كتب بعد ضجة الشعر الجاهلي . وفيه تصوير دقيق لهذا الصراع العنيف في سبيل التغلب على تحديات الحياة . فهو ينقل للقارئ ما عاناه طه حسين في المراحل الأولى من حياته بطريقة فنية قصصية ، فيها من الاعتزاف شيء كثير سحقه للكاتب والقارئ تفاعلا عميقا بينهما ،يدور حول هذه الصور الحزينة التي يحددها المؤلف زمانا ومكانا ، وينقلها من الواقع الملموس بطريقة فذة ،مع تحليل داخلي يجعلنا ،لو أننا لا نعرف بطل القصة الحقيقي ، نعتبر "الأيام" رواية كاملة بالمعنى الفني لها . فطه حسين لا يستند إلى تاريخ حياته من حيث الخطوط المعروفة لجميع الدارسين ،بل يجرّد من نفسه شخصا يتحدث عنه بضمير الغائب لا بضمير المتكلم .

والملاحظ على "الأيام" بأجزائه الثلاثة أنه كتب في مراحل معينة . فالجزء الأول نشر مسلسلا في مجلة الهلال من ١٩٢٦/١٢/١ إلى ١٩٢٧/٧/١ شهريا ، أى عندما كان طه حسين في السابعة والثلاثين . ولعل هذه ظاهرة مهمة . فهو بهذا يشبه "بنيتشة" الذى كتب سيرة حياته وهو في الأربعين .

---

(١) كمال قلته : طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ،ص١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الجزء الثاني ، فقد صدر عام ١٩٣٩ . بينما نشرت فصول الجزء الثالث في آخر ساعة من ١٩٥٥/٣/٣٠ إلى ١٩٥٥/٦/٢٩ ، أسبوعيا . أي أنه أصدر الجزء الأول وهو في السابعة والثلاثين ، والثاني وهو في الواحدة والخمسين ، والثالث حين كان في السادسة والستين .

و"الأيام" ، بمكانته الفريدة في أدبنا ، متميز "بالطريقة البارعة في القص ، والأسلوب الجميل ، والعاطفة الكامنة في ثناياه . . . وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص ، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاد . . وهو صورة واعية للصراع بين الأنسان وبيئته . . . وأكثر الشخصيات التي يرسمها من ذلك الفريق الذى ينقطع قبل نهاية الشوط ، وأخفاوه لا سماء الأماكن والناس أضعف القيمة المكانية وشيئا من القيمة التاريخية في قصة حياته ." (١)

من هنا لا نستطيع أن نجعل "الأيام" قصة تاريخية أو ترجمة حياة ، فالأيام منذ الصفحة الأولى فيه ، يبدأه طه حسين قاصا ، وقد تنبه ثروت أباظة إلى هذه الحقيقة حين قال: "إنني لا أميل إلى اعتبار "الأيام" سيرة ذاتية خاصة ، اذا استطعنا أن نتبين أن الذى يهمنا هو وجود مقومات الرواية في الأيام ، وبخاصة في الجزأين الأول والثاني منه . وإذا اعترفنا منذ البداية أننا نستطيع ان نقرر أن الأيام يكتب للاجيال اللاحقة ، ولأن العمل الفني يقوم بذاته لا بتفسير الناس والنقاد له ، فهو يمثل صراع الانسان والقدر ." (٢)

إذا اعتبرنا كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" ذروة ما وصل اليه طه حسين في ثورته العقلية ضد الأزهر والتراث ، ولاحظنا أن الجزء الاول من "الأيام" ، كتب مباشرة في الأزمة النفسية التي عاشها بعد معركته العنيفة ، وأنتجت غير الأيام "في الصيف" ، ثم ما لبثت هذه الأزمة أن خفت حدتها ، فإن "الأيام" بجزئه الاول عودة إلى الأعماق ، أعماق المؤلف التي ظلت تختزن أكداسا كثيرة من حياته في الريف . وعندما طوى أشرعته في وجه العاصفة ، عاد إلى نفسه فكتب هذا الجزء . وبعد معركته الثانية في الجامعة في بداية الثلاثينات عاد إلى تاريخ الاسلام في "على هامش السيرة" . (٣)

---

١) أنظر تفصيل هذا في : إحسان عباس: فن السيرة ، ص١٤٢-١٤٦ .

٢) ثروت أباظه : شعاع من طه حسين ، ص١٠٨ ، ١٠٩ .

٣) تنبه إلى هذا الرأى محمد حسين هيكل . أنظر في ذلك :
أنور الجندى : المعارك الأدبية ، ص١٤٩-١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأيام إذا موقف، "موقف المصري المثقف الذي اجتذبته حضارة اوروبا لكنه ظل يختزن في أعماقه أحاسيس الصبي الريفي . . . والضوء المستمد من الثقافة الجديدة هو الذي يكشف أبعاد المخزون القديم وألوانه . ولولا ذلك الضوء لما كان للمخزون أدنى قيمة، لا أعني فقط أن الشكل الروائي الذي كتبت به الأيام كان جديدا على العربية، ولا أن الصراحة التي كشف بها طه حسين تذكاراته العائلية والشخصية كانت شيئا غير مألوف في الكتابة العربية والبيئة العربية عموما، ولكني أعني أيضا أن النبرة النقدية التي تتردد في ثنايا الكتاب، وتترك طابعها على اسلوبه، دون أن تفسد تأثيره العاطفي، ما كانت لتظهر لولا هذا الموقف المتباعد".(١)

قيمة هذا الرأي لشكري عياد أنه "يصنّف "الأيام" شكلا روائيا، يستمد قيمته من موقف بين تيارين وحضارتين، حضارة مثّلها ريف مصر وأزهرها وبيئتها في مطلع القرن، وحضارة كانت هي الضوء الذي أزاح الظلمة عما في حضارة مصر من ليل طويل.

غير أننا ننظر إلى هذا التفسير النفسي لسبب كتابة "الأيام" باهتمام، ونأخذه على الجزأين الأول، والثاني، الذي كان طه حسين قبل كتابته يعاني أزمة بخطورة أزمة الشعر الجاهلي، وذلك عندما خاض في الثلاثينيات كثيرا من أعنف معاركه في سبيل استقلال الجامعة، ومستقبل الثقافة في مصر، وفي سبيل الحرية والديموقراطية مما سنتحدث عنه فيما بعد.

ولعل أندريه جيد في مقدمته للطبعة الفرنسية للأيام (١٩٤٧) قد تنبه إلى البيئة التي يصورها "الأيام". فهو يقول: "لعل أول ما اشتعر به وأنا أطالع "الأيام" تلك البيئة الفكرية العجيبة والغريبة التي ينقلنا إليها الكاتب".(٢)

لعل هذا التنبه إلى البيئة بزمانها، ومكانها، وأحداثها، وأناسها، أكثر من التنبه إلى تاريخ حياة طه حسين، دلالة أخرى على أن "الأيام" فيه شيء من الانتماء إلى فن الرواية. ولعله أيضا "أولى المحاولات التي تقرّب بين الترجمة الذاتية والفن

---

(١) شكري عياد: من دراسة عن الرواية العربية في مجلة "عالم الفكر"، المجلد ٣، سنة ١٩٧٢، ص٦٢١.

(٢) مقدمة أندريه جيد لطبعة الأيام بالفرنسية، ترجمة وليد فستق: الثقافة العربية (ليبيا)، العدد ١٣، سنة ١٩٧٤، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروائي" (١) . فالأيام دراسة نفسية واجتماعية لا يبرز فيها عنصر الذاتية بشكل يجعلها قصة تاريخية، مع اعتماد الصدق والصراحة. وإذا كنا نقر بالصدق واحدا من مقومات العمل الفني الناجح، فالأيام أصدق ما كتبه كاتب عربي عن نفسه وكفاحه، لا سيما وهذا الكاتب ليس إنسانا عاش حياة عادية كالآخرين، بل خاض من الصراع ما يكفي لأن يحطم المبصرين، والذين تتوافر لهم كل الشروط الحياتية الضرورية، لان الصدق الذى التزم به منذ أن نشر جزء "الأيام" الأول كاد يكون نوعا من الانتحار في مجتمع متزمت. (٢) .

فقد غامر طه حسين بتقديم سيرته الذاتية في هذا المجتمع الذى لم يكن قد تعود على هذا النوع من الكتابة. من هنا كانت للأيام قيمة خاصة. ذلك أن: "مجيء" "الأيام" بصراحته وأسلوبه، جعل منه كتابا مرغوبا على المستوى الشعبي وذا سمة ريادية على المستوى الفني، ففيه خلاصة تجربة إنسان بكل ما فيها من عذاب. "فيه أنة من عذاب أوذيب، ونفحة من مغامرة يوليسيس، ونفحة من تصميم بروميثيوس، وشحنة من سوداوية المعرى، ومسحة من سخرية الجاحظ". (٣)

كما أن "الأيام"، بصدقه وصراحته أعطى أدبنا دفعة جديدة كما أن فيه اسلوبيا واعترافات تذكر بالسير الذاتية في الأدب الغربي مثل: اعترافات روسو وكتاب سارتر: "الكلمات Les Mots"، وسيرة سومرست موم: "عصارة الأيام (The Summing up) وكتاب ايثيل مانيين: (الاعترافات Confessions). لهذا يرى الدارس أن الأيام"، ببطله وأسلوبه، والمراحل التي كتب فيها، يظل أحد أصدق الأصوات في أدبنا العربي الحديث. وأكثرها اقترابا من انسانية الانسان وصراعه.

فالأيام جزء من أدب الرفض والأجتماع، خاصة إذا نظرنا إلى صراع موّلفه مع القدر. هذا الصراع الذى خاضه قبله ومثله ملتون والمعرّى وبشار وغيرهم، مما جعله ليس احتجاجا على عاهة فقط، بل نقلا لتجربة إنسانية فذة. فالأيام هو طه حسين

---

١) عبد المحسن بدر: تطور الرواية العربية، ص٣٠٣ .

٢) حسام الخطيب: أيام طه حسين، المعرفة العدد ١٥٣، ١٩٧٤، ص٦٠ .

٣) المرجع نفسه، ص٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانسان، والذى يجعلني اتجاوز كونه سيرة ذاتية هو مضمون التجربة الحارة، التي تنقله من باب تاريخ الحياة، إلى ملحمة صراع عميق، صراع إنساني سواء كنا نعرف البطل أم لا نعرفه. ذلك أن أى بطل في مثل هذا الموقف هو رمز إنساني عظيم.

أرى من المناسب أن اعرض للاجزاء الثلاثة من "الأيام" للتعرف على ما فيها من شخصيات وأحداث ومواقف، مع الأعتراف بأن أي تلخيص للأيام يجرده من عناصره الفنية التي خلد بها. كما أود أن اشير إلى أن الفصل الأول في هذه الدراسة كان معتمدا على الأيام. لذلك ستكون محاولة التلخيص هذه موجزة إلى حد بعيد.

الأيـــــام: الجـزء الأول (١)

في هذا الجزء يصدق قول د. جونسون: "إن حياة الرجل حين يكتبها بقلمه هي أحسن ما يكتب عنه" (٢).

يصف طه حسين في هذا الجزء، حياته منذ وعيه ببداياتها، وينقل فيه ما ترسخ في اللاشعور بعد سنوات طويلة في فترة زمنية تمتد منذ طفولته ـ أى التي يعيها ـ إلى ذهابه للأزهر في الثالثة عشرة من عمره. وذلك كقصة يرويها لابنته أمينة، يشير لها في الصفحات الاخيرة من هذا الجزء، وهي اشارة ذات مغزى، تدل على أنه أختزن في أعماقه حكاية "أوديب" وابتته، كما اختزن كل حكايات المصرى. إنه بذلك يقارن بين قسوة وطنه عليه في معركته الأولى، وقسوة القدر على "أوديب"، يقول لابنته: "لقد رأيتك ذات يوم جالسة على حجر ابيك، وهو يقص عليك قصة "أوديب ملكا"، وقد

---

(١) نشر مسلسلا في الهلال من ١/١٢/١٩٢٦ ـ ١/٧/١٩٢٧ شهريال، وصدر سنة ١٩٢٩ عن مطبعة أمين عبد الرحمن في ١٣٤ صفحة. ثم أعيد طبعه في دار المعارف سنة ١٩٤٢، ثم ١٩٤٩ في ١٥٢ صفحة، ثم سنة ١٩٥٨ في ١٨٤ صفحة. وصدر عن دار الكتاب في بيروت ضمن المجلد الأول من أعمال طه حسين مع الجزأين الثاني والثالث.

(٢) نقلا عن: محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خرج من قصره بعد أن فقأ عينيه لا يدرى كيف يسير.وأقبلت ابنته أنتيفون فقادته وأرشدته . رأيتك ذلك اليوم تسمعين هذه القصة مبتهجة من أولها ثم أخذ لونك يتغير قليلا قليلا . وما هي الا أن أجهشت بالبكاء وانكببت على أبيك لثما وتقبيلا ، وأقبلت أمك فانتزعتك من بين ذراعي" . . . وفهمت أمك وفهم أبوك وفهمت أنا ايضا ، فبكيت لأبيك كما بكيت لأوديب".(١) .

ويبدأ طه حسين عملية استرجاع لطفولته ،للخيال فيها دور واسع،خاصة في وصفه القرية وذكرياته فيها ،مبتدئا بيوم مجهول التاريخ والهوية ،يحدد الزمن فيه في الفجر أو في العشاء،لأنه كان يجهل حقيقة النور والظلمة .(٢)

ولشخصية الصبي في هذا الجزء أبعاد كثيرة،تبدأ به طفلا يخاف المغاريت فيغطي وجهه في الليل ،يخاف أى حركة ويظل مضطربا ، فإذا أفاق ،فعالمه ينتهي عند القناة القريبة من بيته ، التي يتخيلها ـ على ضيقها الذى لا يدركه ـ عالما مليئا بالسحروالتماسيح والأسماك التي تحمل في بطونها الخاتم السحرى .

هذه بداية روائية ،ومدخل روائي جيد .نبدأ مع الصبي في المكونات الأولى لنفسيته وثقافته من خلال تعامله مع أناس يمثلون بيئته . تبدأ شخصياتهم تتزاحم في هذا الجزء ،شخصيه سعيد الأعرابي الشرير وامرأته كوابس وكلاب العدو وبين (٣) ، ثم شخصية حسن الشاعر الشعبي ،ثم يقدم بعد إدخال هذه الشخصيات شيئا عن هذا الصبي فهو "سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه ،وخامس أحد عشر من أشقته . ."(٤)

---

١) الأيام،ج ١ ،ص١٢٩ .

٢) المصدر نفسه ١/ ٣، الزمن الذى أصيب فيه بالعمى مختلف فيه . فيرى شوقي ضيف في كتابه "الأدب العربي المعاصر في مصر" ص٢٢٧ ،أنه فقد بصره في الثالثة . ويرى سامي كيالي في كتابه "مع طه حسين جـ١"ص٧ ،أنه فقده في الرابعة ،بينما يرى لويس عوض في كتابه "ثقافتنا في مفترق الطرق" ص١٢٩ ،أنه أصيب بهذه العاهة في الخامسة . أما نعمات فؤاد في كتابها "قمم أدبية" ص١١٢ ،وعبد الرحمن بدوى في "إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين" ،المقدمة ،فيقولان أنه فقد بصره في السادسة .ونحن لا نستطيع أن نقطع برأى وإن كانت الرابعة أنسب فترة .

٣) الأيام ، ١/ ١٢ .

٤) المصدر نفسه ، ١/ ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو بين هؤلاء الأهل يجد الرحمة حينا والإهمال أحيانا ،كما يجد الغلظة والازورار من وقت إلى وقت. فهو شخصية محبطة منذ البداية والخيار واضح ،إستسلام أو تمرد ،مع أن العوامل التي تدعو للاستسلام ،أكثر من تلك التي تشجع على الصمود . فقد " سمع إخوته يصفون ما لا علم له به فعلم أنهم يرون ما لا يرى".(١) وواجه الحرج في قضية تناول الطعام ،فأدرك أن عليه أن يعرف موقعه بالضبط ،وأنه مختلف عن إخوته وأن الحزن في حياته شيء لا بد منه .

هذه المؤثرات الأولى التي جعلته يحرّم الشرب من قدح على المائدة ،ويشرب ماء الحنفية غير النقي ،والذى سبب له ألم المعدة طيلة حياته (٢) ،جعلته هذه الأمور يكتفي بالمشاركة بعقله لا بيده ،ويتقن حسن الاستماع للقصص الشعبي الذى كان يدور حول الغزوات ،وأخبار الأنبياء ،والنساك ، وعنترة ،والهلاليين ،والشعر الشعبي التي شكلت ثقافته الأولى . حتى أنه لم يبلغ التاسعة حتى وعى ذلك ،ومعه شيء من أناشيد الصوفية والأوراد ،وحفظ القرآن كله .

هكذا تنمو الشخصية لتبدأ باتخاذ مواقف من الكتّاب وسيدنا والمريف. ولعل شخصية معلم الكتّاب من الشخصيات القصصية البارزة في هذا الجزء . فقد كان مثار اهتمام هذا الطفل ،ولعل في وصفه له دلالة على ملكته الروائية. فقد كان هذا المعلم كما يصفه : "ضخما بادنا . . .لا يغني بصوته ولسانه وحدهما،وإنما يغني برأسه وبدنه أيضا .كان رأسه يهبط ويصعد ،وكان رأسه يلتفت يمينا وشمالا ،وكان سيدنا يغني بيديه أيضا . . . وأبدع من هذا كله أن سيدنا كان يرى صوته جميلا ،وما يظن صاحبنا ــ أى طه حسين ــ أن الله خلق صوتا أقبح من صوته ،وما قرأ صاحبنا قول الله عز وجل: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ،الا ذكر سيدنا".(٣)

إن في هذا النص سخرية وأدب اعتراف، وفيه تطوير لهذه الشخصية التي كانت لها نماذج مماثلة في أغلبية القرى والأرياف. كما كان الصبي على علاقة بالمريف وثيقة ،كان يرشوه بقطعة السكر أو القرش ليضمن مودته . وقد وصف إلى جانب ذلك

---

١) المصدر نفسه ، ١ / ١٥ .

٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢٠ .

٣) المصدر نفسه ، ١ / ٢٦ ، ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفظه للقرآن في كتّاب سيدنا، كما أعـــــاد وصف طباعه وتصرفه مع تلاميذه (١).

ولعل من الأهمية بمكان أن نذكر من شخصيات جزئه الأول نفيسة، صبيـــة الكتّاب المكفوفة، وهي أول عنصر نسائي يواجهه خارج أسرته، فهي ابنة تاجر مثر، وكانت تحفظ القصص، وتتقن التمديد، وتحسن الغناء، وفي عقلها شيء مـــن إضطـــراب (٢).

ويبدأ الصبي في مواجهة مواقف جديدة منها امتحان أبيه له في حفظ القـــرآن وفشله في ذلك، وانتقاله إلى حفظ المتون وألفية ابن مالك، بعد أن كان أبـــوه قد عين له مدرسا في البيت يدرس عليه، ثم انتقاله إلى الدراسة مع قاضي الشرع في المحكمة، وسفر أخيه إلى القاهرة دون أن يأخذه معه (٣)، بل تركه للألفية والمتـــون مما جعله يحس بالتميز على رفاقه.

وفي هذه الصفحات يقدم بحثا اجتماعيا عن العلم في القرى ومدن الأقاليم (٤) آنذاك، متعرضا للصوفية والسحر والموالد والتصوف والقصص الشعبي. وقد أثـــر التصوف والسحر فيه أكثر من غيره، "حتى أنه كان يخلو لنفسه لتدور به الأرض وينشـق له الحائط ويمثل الخادم بين يديه ..." (٥).

وتتلاحق الأحداث والشخصيات في حياته، فنلتقي به طفلا يلعب لعبا لذيـــذا مع زوجة المفتش لبنة السادسة عشرة (٦). حتى استقرت حياته بين البيت والكتّـاب والمحكمة والمسجد وبيت المفتش. حتى كان يوم واجهته فيه الأقدار ببشاعة، فـــي واحد من أبرز الأحداث إثارة للألم في نفسه، ألا وهو وفاة أخت صغيرة له، والعيـــد مقبل عليهم، كانت أخته في الرابعة، وقد رسم لها صورة إنسانية حية. (٧)

---

١) المصدر نفسه، ١/ ٢٤، ٢٥.
٢) المصدر نفسه، ١/ ٤٦.
٣) المصدر نفسه، ١/ ٥٦، ٥٧.
٤) المصدر نفسه، ١/ ٦٦-٩٦.
٥) المصدر نفسه، ١/ ٨٧.
٦) المصدر نفسه، ١/ ١٠١، ١٠٢.
٧) المصدر نفسه، ١/ ١٠٥-١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو تأثره بوفاة أخته حادا حزينا . فمع أنه فقد جده لأبيه ، وجدته لأمـــه ، غير أن هذه الأحداث لم تكن ذات تأثير ، حتى كان الحادث الرئيسي الثاني وهو في الثالثة عشرة . كان هذا الحادث وفاة أخيه الطالب في القاهرة بوباء الكوليـــرا ، ومنذ ذلك الوقت "استقر الحزن العميق في هذه الدار" (١)

والصفحات التي يصف فيها وفاة أخيه (٢) ، هي أقوى صفحات هذا الجزء إثارة لمشاعر الحزن والأسى ، وبخاصة صراع أخيه مع المرض وتأثير وفاته في الأسرة . أمـــا تأثيره في نفسه فقد اختصره بقوله عن حالته : "وتقلبت به أطوار الحياة ، وإنه لعلى مـــا هو عليه من وفاء لهذا الأخ يذكره ويراه فيما يرى النائم مرة في الأسبوع على أقـــل تقديـــــر" (٣)

كان الأولى بالمؤلف أن ينهي هذا الجزء بهذا المشهد ، غير أنه نقلنا ، فـــي الصفحات القليلة الأخيرة ، إلى رحيله للأزهر في عام وفاة أخيه ، وكل حزنه في لحظات الرحيل ليس للرحيل ذاته ، بل لأن أخاه الراحل لن يكون معه في القاهرة .

ويصل مصر ، وإلى حجرة أخيه الأزهرى ، يستيقظ مبكرا ليذهب إلى دروسه فـــي الأزهر . وكان سعيدا في البداية ، لكنه ما لبث "أن احتقر العلم" (٤) ، كردة فعـــل لدروس أحد أساتذته .

وينهي حديثه بالتوجه إلى ابنته ، واصفا حالته في تلك السن (٥) ، معترفـــا بأن كل التغير الذى حصل في حياته كانت تسببه زوجته ، "لقد حنا يا ابنتي هـــذا الملك على أبيك فبدّله من البؤس نعيما ، ومن اليأس أملا ، ومن الفقر غنى ، ومن الشقاء سعادة وصفوا ." (٦)

---

١) المصدر نفسه ، ١/ ١١٧ .
٢) المصدر نفسه ، ١/ ١١٠ — ١٢٠ .
٣) المصدر نفسه ، ١/ ١٢ .
٤) المصدر نفسه ، ١/ ١٢٦ .
٥) المصدر نفسه ، ١/ ١٣٠ ، ١٣١ .
٦) المصدر نفسه ، ١/ ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي أبرز أحداث المرحلة الأولى من حياته ، فيها من الصراع أعنفه ، ومن الوصف أكثره سحرا ، ومن الشخصيات الريفية أكثرها نموا . كل ذلك في حركة متدفقة ، ومناخ عاطفي ، وحزن عميق . حيث نرى الأشراق رغم الألم ، والثقة رغم عوامل اليأس ، ونرى فيه إنسانية الأنسان ، وقدرته على الصمود والكفاح . فنحن أمام بطل مبتلى موهوب يعرف كيف يتحدى . إن كل ما تقدم يجعل من هذا الجزء عملا روائيا جادا .

الأيام : الجزء الثاني :

الجزء الثاني من الأيام (١) ، استمرار للجزء الأول ، وإن اختلف المكان ، حيث يركز على دراسته في الأزهر والشخصيات التي التقى بها ، وهي شخصيات كثيرة ، غير أنها كما في الجزء السابق ثانوية ، تخدم نمو شخصية البطل "الفتى" . وهذا الجزء في مستوى سابقه من حيث الأسلوب ، غير أنه من حيث المضمون فيه سلبيات كثيرة . وتكاد بعض فصوله أن تكون مقالات تتحدث عن الأزهر ، لولا ذلك الخيط الرفيع الذي يجمع الأحداث كلها ، لتصب بالتالي في نقطة واحدة ، وتتمحور حولها ، هي شخصية البطل . ولا يفقد هذا الجزء تأثيره في القارئ . فقد صوّر فيه نفسه منذ دخوله الأزهر سنة ١٩٠٢ إلى التحاقه بالجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ ، وما بعدها بقليل ، مع فارق في مدى وعي الشخصية الرئيسية ، مما يقلّل دور الخيال في التذكر وعملية الاسترجاع .

والبيئة هنا أكثر وضوحا وتعقيدا من بيئة الجزء الاول . وقد أصبحت السخرية بدايات نقدية . أما الطفل الذي كان صامتا فقد أصبح أكثر حركة .

يوجه طه حسين حديثه في هذا الجزء الى ابنه مؤنس ، كما خاطب في الجزء الأول ابنته أمينة : "وها أنت ذا يا بني تهجر وطنك ومدينتك ودارك ، وتفارق أهلك وأصدقاءك ، وتعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس ، فدعني أهدي إليك هذا الحديث لعلك ترتاح إليه بين حين وحين . . . وتذكر

---

(١) صدر في القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وطبع ثانية في دار المعارف سنة ١٩٥٦ بنفس عدد الصفحات السابقة ، أي في ١٨٤ صفحة . وطبع مرات أخرى عديدة منها طبعة عن مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر في (٢١٢) صفحة ، كما صدر ضمن المجلد الأول من أعمال طه حسين عن دار الكاتب اللبناني سنة ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصا طالما ارتاح إلى قربك منه ، وطالما وجد في جدّك وهزلك لذة لا تعدلها لذة ، ومتاعا لا يعدله متاع." (١)

ولهذا الجزء خلفية بعثت على كتابته ، يوضحها طه حسين في مقابلة أجريت معه ، ننقل نص جوابه على سؤال حول هذا الجزء وذلك لاهميته ، يقول : "من الغريب أنني أمليت الجزء الثاني في فرنسا وأنا في أزمة . . . كنت وقتئذ عميدا لكلية الآداب ، وحدث نزاع بيني وبين الحكومة بسبب كتاب لبرنارد شو ، كان يدرّس في الكلية ، رأت الحكومة فيه شيئا لا يرضيها ، وكان وزير المعارف في ذلك الوقت هو المرحوم الدكتور هيكل في وزارة محمد محمود ، وفوجئت بمظاهرة تعبر إلى حجرتي . كانت مؤلفة من طلبة كلية الحقوق ، كلفوا بالهجوم عليّ . عندئذ رأيت أنه لا مفر من الاستقالة ، ثم سافرت إلى فرنسا فأمليت الجزء الثاني من كتاب الأيام." (٢)

هذا الجزء سجل لتاريخ حياته في القاهرة والأزهر ، فقد صوّر البيئة والعصر مقدما فيه "سجلا حيا عن الحياة العلمية والعقلية والنفسية والأدبية في البيئة الأزهرية ، وما يتصل بها في تلك الآونة التي عاشها طه حسين ، والتي تعتبر جزءا بالغ الأهمية عن تاريخنا الحديث." (٣)

يصف طه حسين البيت الغريب الذى سكنه في حوش عطا ، وما يدور حوله من أحداث وطرق وأناس ، واصفا جوّ التعليم في الأزهر ، وعلاقات الطلبة بعضهم ببعض ، ومع اساتذتهم ، واصفا بتفصيلات كثيرة كل هذه الأشياء بطريقة تقرب من طريقة نجيب محفوظ في التفصيل . فقد وصف غرفته ومجلسه فيها وأشياءه القليلة فيها ، وكيف كانت ساعاته ولياليه حين يتركه أخوه لليل وأصوات الحشرات تملأه فزعا ورعبا حتى يكاد يظن بنفسه وعقله الظنون .

الحاج فيروز شخصية من شخصيات هذا الجزء ، كان يبيع الطلبة الغذاء وأشياء يعرفها طه حسين وأشياء يجهلها : "لم تكن تسمى ، ولم تكن تؤكل . وإنما كان يتحدث المتحدثون عنها همسا ويتنافسون فيها تنافسا شديدا ." (٤)

---

١) الأيام ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

٢) مجلة القصة ، العدد الثاني ، سنة ١٩٦٤ ، ص ٦ . من مقابلة أجراها معه محمد عبد الحليم عبد الله .

٣) أحمد هيكل : طه حسين ومعجزة الأيام" الهلال ، أول مايو ١٩٧٢ ، ص ٦٥ .

٤) الأيام ، ج ٢ ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من عاهة طه حسين، فلقد أحسّ بالتواء الطريق إلى سكنه وقذارتها وفساد هوائها، فصوّر في صفحات هذا الجزء صورة اجتماعية لحي من أحياء القاهرة في مطلع هذا القرن، حين كان يعاني كل المعاناة من هذا السكن، وهذه الدروس الأزهرية. غير أنه يحب هذا الطور من حياته، رغم أن الحزن والغربة والضيق والألم والحنين إلى الريف، كانت تلاحقه. وكان وقع النسيم على جبهته في صحن الأزهر يذكره: "تلك القبلات التي كانت أمّه تضعها على جبهته بين حين وحين أثناء إقامته في الريف."(١)

وفي هذه المرحلة يواجه علم الأزهر، ففي خلفيته الفكرية عن أبيه "أن العلم بحر لا ساحل له."(٢) فأقبل إلى الأزهر "يريد أن يلقي بنفسه في هذا البحر، فيشرب منه ما شاء الله له أن يشرب، ثم يموت فيه غرقا."(٣)

ولا أظن أن الدارس الناقد مهتم من "الأيام" بالكتب التي درسها في الأزهر، أكثر من اهتمامه بهذه الصور الرائعة لطريقة التدريس في الأزهر، وللشيوخ الذين كانت له منهم ومن مناهجهم مواقف كثيرة.

وفي هذا الجزء وصف لحياته في غرفته. فهو في الثالثة عشرة، مستطيع بغيره في أموره الحياتية، بين غرفته وصحن الأزهر، حيث يتلقى دروسه، وبين اعتماده على أخيه الشيخ الفتى، الذي كان يعيش حياة مرحة مع زملائه، بينما صاحبنا "يهمل إهمالا تاما."(٤). ويقدم وصفا لطريقة الصحب في إعداد الطعام والشاي، هذه الوجبات القليلة التي كان قليلا ما يهنأ بها، فهو مقيد فيما يتعلق بالطعام، ويصف ذلك كلّه بدقة متناهية وإغراق في التفصيلات، ممّا جعل هذا الوصف صورة شعبية اجتماعية لحياة طلبة الأزهر، الجامعة الوحيدة آنذاك، صورة لحياة الطلبة، وسرد لسخريتهم من أساتذتهم الشيوخ، ووصف لما يتلقون على أيديهم من دروس. هذا الوصف الخارجي المفصّل، للبيئة التي يعيش فيها، يقابله وصف داخلي عميق لنفسيته، والعلاقة بينه وبين هذه المؤثرات الخارجية المحيطة به. فعذابه في هذه الحياة

---

١) المصدر نفسه، ٢/١٨.

٢) المصدر نفسه، ٢/١٩.

٣) المصدر نفسه، ٢/١٩.

٤) المصدر نفسه، ٢/٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا حدود له ، وبالذات حين يستقر في غرفته قبيل العصر ، يتركه أخوه ليلقى أصحابه الطلبة ، وهو لا يستطيع سوى أن يسمع أحاديثهم ، ليعرف ما فعلوا وما سوف يفعلون . وهو يحدث نفسه أن يطلب من أخيه أن يسمح له بمرافقته لكنه لا يفعل ، لأنه لو طلب منه ذلك "لردّه ردّا رفيقا أو عنيفا ، لكنه سؤلم له ." (١)

وهكذا تعمقت في نفسه صور الحرمان والعجز ، فعقله يحتاج العلم ، وأذنه الحديث ، وجسمه الشاى ، ولا يحصل على شيء من ذلك .

وكان حزنه كبيرا ، وحنينه إلى أمه في الريف طاغيا ، ولعلّ هذه اللوحة الأنسانية خير معبّر عن هذه المرحلة من مراحله نموه النفسي ، هذا الوصف الداخلي لنفس إنسانية مفرقة في الألم والعذاب ، تتجاذبها من الداخل مشاعر خاصة ، وتعطل عليها أجواء الحزن حشرات تتحرك في شقوق جدران الغرفة العتيقة ، وأصوات مبهمة للناس في "حوش عطا" في ساعات الليل المتأخرة ، ويصف ذلك بقوله : "كان إذا يقبل على طعامه ، حتى إذا افرغ منه عاد إلى سكونه وجموده . . . وقد أخذ النهار يتصرّم ، وأخذت الشمس تنحدر إلى مغربها ، وأخذ يتسرب إلى نفسه شعور شاحب هادىء حزين . ثم يدعو مؤذن المغرب إلى الصلاة فيعرف الصبي أن الليل قد أقبل ، فيقدّر في نفسه أن الظلمة قد أخذت تكتنفه ، ويقدّر في نفسه أنه لو كان معه في الغرفة بعض المبصرين لأضيء المصباح ليطرد هذه الظلمة المتكاثفة . ولكنه وحيد لا حاجة له إلى المصباح فيما يظن المبصرون . وإن كان ليراهم مخطئين في هذا الظن . فقد كان في ذلك الوقت يفرق تفرقة غامضة بين الظلمة والنور ، وكان يجد في المصباح إذا أضيء جليسا ومؤنسا ، وكان يجد في الظلمة وحشة لعلها كانت تأتيه من عقله الناشيء ، ومن حسّه المضطرب . والغريب أنه كان يجد للظلمة صوتا يبلغ أذنيه ، صوتا متصلا يشبه طنين المعوض لولا أنه غليظ ممتلىء ، وكان هذا الصوت يبلغ أذنيه فيؤذيهما ، ويبلغ قلبه فيملأه روعا . . ." (٢)

إن هذا الوصف الداخلي لنفسية بطل الأيام يباعد بيننا وبين أن نرى في "الأيام" مجرد قصة حياة إنسان عادى ، بل يجعلنا نرى في مثل هذه الصفحات نوعا من فيض اللاشعور أثناء عملية الأبداع ، فقد جعل من نفسية هذا الصبي نموذجا للمعذبين في الأرض ، حين كانت الحشرات في شقوق جدران غرفته " كأنما وكلت

---

١) المصدر نفسه ، ٢ / ٣٩ .

٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٤٤ ، ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالصبي إذا أقبل الليل عليه".(١)

وتتوالى شخصيات "الأيام" من "حوش عطا"، وصحن الأزهر، الشيخ عم الحـــاج علي (٢) الذى يخيفه صوته وصوت عصاه تقرع الأرض كل ليلة، ثم شخصيتا رجليـــن فارسيين، وغيرهم من النماذج لأناس أمضوا في الأزهر سنوات طويلة، ولم يحصلوا على الشهادة، فأصبحوا يعيشون على هامش الأحداث والحياة، بين هؤلاء الطلبة الجدد.

ونلاحظ أن طه حسين ينساق في وصف البيئة الخارجية، إلى حد يكاد معـه أن يهمل الحديث عن نفسه. فقد وصف أساليب التدريس بما في ذلك بعض الصـــور المشرقة فيه، كما هو الحال مع الأستاذ الإمام محمد عبده (٣) أما بعض الشيـــوخ الآخرين فقد هاجمهم بعنف، ولم يتحرج في الحديث عن مساوئهم. ومن خلال تصوير الـــربع والأشخاص الذين كانوا يقيمون فيه، بين مقيمين فترة طويلة، وبين من ينهـــون علمهم ثم يرحلون، من خلال ذلك، يصف حياته الخاصة، التي لم تكن بمعزل عـــن تأثيـــر هؤلاء الناس. وفي صفحات من هذا الجزء، لا يتحرج في أن يقدم اعترافات دقيقة عن الأجواء الداخلية لحياة الطلبة، وما كان يلم بهم من مشاكل خاصـــة.(٤) واستمر مع ذلك كله يدرس الفقه والنحو والمنطق والتوحيد، قبل ان ينتسب رسميا إلى الأزهر، وقدّم أول امتحاناته ونجح، بعد أن نادوه: "أقبل يا أعمى"، و"انصرف يـــا أعمى". (٥) واستطاع أن يقدّر سني عمره لدى الطبيب بزيادة عامين. وانتســـب للأزهر وبدأت علاقته بأخيه تضطرب: "فقد ثقل عليه ـ أي على أخيه ـ اضطراره إلى أن يقود الصبي إلى الأزهر، وإلى البيت مصبحا وممسيا."(٦) وحلّ الاشكال بقدوم ابن خالته، وهو صديقه القديم، للدراسة معه في الأزهر.

---

١) المصدر نفســه، ٢/ ٤٥.

٢) المصدر نفســه، ٢/ ٥١.

٣) المصدر نفســه، ٢/ ٧٥.

٤) المصدر نفســه، ٢/ ١٠٩ـ١١٣.

٥) المصدر نفســه، ٢/ ١١٨ـ١١٩.

٦) المصدر نفســه، ٢/ ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرحل إلى القرية في نهاية عامه الأول ، لتبدأ أول معركة فعلية بينه وبين أهل الريف. فقد أحس بخيبة أمل من استقبال أهله له ، وكان رده على ذلك أن وصف كلام سيدنا بأنه كلام فارغ. (١) وواجه أباه لأول مرة ، هازئا من قراءته دلائل الخيرات (٢) . وتغير موقف أبيه منه ، من غضب عليه إلى اعتزاز به ، وأصبح حديث القرية فحاربه كثيرون وقال بعضهم : "إن هذا الصبي ضال مضل ، قد ذهب إلى القاهرة فسمع مقالات الشيخ محمد عبده الضارة ، وآراءه الفاسدة المفسدة ، ثم عاد بها إلى المدينة ليضلل الناس (٣) . وقد رد لنفسه اعتبارها ، وكشف عيوب الثقافة التقليدية ، كل ذلك بعد عام واحد فقط من إقامته في الأزهر "لقد انتقم الصبي لنفسه ، وخرج من عزلته ، وشغل الناس في القرية وفي المدينة" (٤) وعاد إلى الأزهر ، ليزداد حدة في نقاشه مع أساتذته . وساءت به الحياة هذه المرة بشيء من التكرار ، وتنبه إلى ظاهرة الغيبة والنميمة بين شيوخ الأزهر ، واستمر فيه عاما ثالثا . كان وعيه ينمو وخلافاته تكثر ، وبدأ تأثير دروس المرصفي فيه ، ثم عاش فترة خروج الامام من الأزهر (٥) سنة ١٩٠٥ . وأصبح طالبا منتظما ، لكنه يحس بأن عليه أن يفعل شيئا . وهنا بدأت ثورته تأخذ شكلا أكثر وضوحا ، خاصة حين أخرج الشيخ المرصفي . ثم تراجع عن ـ أي المرصفي ـ ، وفصل طه وزميلاه الزناتي والزيات من الجامعة الأزهرية . وكان هذا سببا في أول لقاء لهم مع لطفي السيد ، مدير "الجريدة" ، الذي أعادهم ثانية إلى دراستهم . غير أن علاقته بالأزهر كانت قد تحددت ، إذ اشتد ضيق الفتى بالأزهر وأهله ، وبحياته في القاهرة (٦) ، وأصبح يكوّن ثقافته الخاصة في تاريخ الأدب والقصة ، من متابعته في الإجازات لما ينشر في الصحف ، أو يترجم عن لغات أجنبية (٧) .

---

١) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٢ .
٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٣ .
٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٧ .
٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٨ .
٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٦٨ .
٦) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٠١ .
٧) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن حادثا يواجهه حين عاد في إحدى الإجازات، فقد تحولت أسرته عن مدينتها التي نشأ بها، إلى أعلى الإقليم، ثم إلى أعلى الصعيد، حيث ذهب مع الأسرة لزيارة أبيه الشيخ، الذي كان يعمل هناك. فنسيه أهله في القطار وتعرّض إلى أذى كبير، حين طلب منه العاملون في المحطة أن يغني لهم. (١)

ويعود إلى الأزهر وحيدا هذه المرة، إلا من خادم أسود أرسل لخدمته. وفي هذه الفترة أنشئت الجامعة سنة ١٩٠٨ بعد أن أنفق في الأزهر ثمانية أعوام، ويقف هنا على عتبة اختيار صعب بين الأزهر والجامعة، وتصبح نفسه موزعة بين القديم والجديد، قديم الأزهر وجديد الجامعة الناشئة.

هذه هي الملامح العامة للجزء الثاني، الذي يميل إلى طابع اللوحات القصصية، الممزوجة بشيء من السرد والوصف التاريخي والاجتماعي. ويبدو أن المؤلف ينتقي الأحداث كما يريد، ويقف عند الفترة التي يرغب، دون أن يجعل من هذا الجزء كتاب تاريخ أو دراسة اجتماعية، فهو مرتبط بالجزء الأول ارتباطا واضحا. وأظنه من خلال تصويره للأزهر قد صور كل الأشياء التي لم ترق له عن التعليم في مصر، وأن هذا الموقف من الأزهر فيه ارتباط غير مباشر بالقضايا التي طرحها في كتاباته عن الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر.

الأيام : الجزء الثالث:

أما جزء "الأيام" الثالث (٢)، فهو لوحات تكمل قصة حياته في الفترة الممتدة من دخوله الجامعة المصرية ـ وكان لا يزال مسجلا في الأزهر ـ حتى عودته إلى مصر

---

١) المصدر نفسه، ٢/٢٠٥.

٢) نشر هذا الجزء مسلسلا في مجلة "آخر ساعة" المصرية من ١٩٥٥/٣/٣٠ إلى ١٩٥٥/٦/٢٩، حلقة في الأسبوع. ثم أصدرته دار الآداب في بيروت بعنوان "مذكرات طه حسين" عام ١٩٦٧. ثم أصدرته دار المعارف في مصر عام ١٩٧٢ بعنوان "الأيام" جزء ٣. وفي عام ١٩٧٤ صدر ضمن المجلد الأول من أعمال طه حسين. وسوف نعتمد في هذا البحث الجزء الثالث كما أصدرته دار المعارف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبان ثورة ١٩١٩ . فهو يقف عند هذه المرحلة المبكرة من حياته . أي أن "الأيام" ، باجزائه الثلاثة ، يدرس ثلاثين عاما من حياته فقط . وإن كان قد وصف هذه الثلاثين الأولى في فترات متباعدة ، فانه قد وصف بها حياته في أعنف مراحلها وأهمها للدارس، مرحلة التكوين .

وفي هذا الجزء صور من حياته ، لم يدخل في تفاصيلها ، وإن كان في استطاعته أن يجعل من بعض فصول هذا الجزء روايات مستقلة ، في الصراع الانساني في سبيل أن يكون لهذا الصبي الضرير والفتى الشيخ مكانة وزوجة ومستقبل .

دخل الجامعة المصرية ونال شهادته منها . وكان في هذه الفترة أي حين بدأ تردده على الجامعة ما يزال يتردد على الأزهر أيضا . يدرس الفقه والنحو والتوحيد والأحاديث "التي لا تمس قلبه ولا ذوقه ولا تغزو عقله".(١)

في هذا الجزء جمال في الأسلوب ، وصدق في المواقف الانسانية سنحاول أن نقدمه من هاتين الزوايتين . وإن كنا نرى منذ البداية أن وقوفه عند هذه المرحلة المبكرة ينفي عن أجزاء "الأيام" الثلاثة ، ما ترسخ في ذهن القارئ العربي ، أنها قصة حياة طه حسين كلها ينفي أيضا أن يكون كتابه "أديب" هو الجزء الثالث ، على ما فيه من تصوير لبعض جوانب حياته.(٢)

والذي يدرس حياة طه حسين بشكل مستقل ، يجد هنا صورة لثقافته في الجامعة المصرية ، وصراعه بين الأزهر وبينها ، منذ بدايته مع دروس أحمد زكي وجويدي ، وفشله في امتحان العالمية الأزهرية ، إلى اتصاله بلطفي السيد وعبد العزيز جاويش. فقد تحسنيست أحواله المادية ، وبدأ تأثير الجامعة فيه وتأثير لطفي السيد وجاويش . وبدأ اتجاهه نحو الصحافة حيث خاض معركته النقدية حول كتاب "النظرات" للمنفلوطي مع أعترافه بأن هذه المرحلة كانت مجرد نقد سخيف. (٣)

ومن نفيسة صبية الكتاب ، إلى مي زيادة ، حيث قدمها لها لطفي السيد بمدرسالته عن المصري . وقد تركت في نفس الفتى سحرا وشيئا كثيرا . وتصبح أيامه موزعة بين الجامعة والصحافة ، وعيدا متصلا منذ أن خرج من بيئة الأزهر الضيقة .

---

١) الأيام ، ج ٣ ، ص٤ .

٢) صاحب الرأي في اعتبار "أديب" جزء "الأيام" الثالث إلى حد كبير هو الدكتور عبد المحسن بدر في كتابه "تطور الرواية العربية"، ص ٣١٥ .

٣) الأيام ، ج ٣ ، ص٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الفصول الأولى ، من هذا الجزء ، قريبة إلى حد كبير من البحث ، بعيدة عن الرواية . وفي الفصل الذى يكتبه عن أساتذته (١) ، نلمح مصادر ثقافته المصرية والعربية والأسلامية ، تتفاعل مع المناهج الحديثة وهو يزداد جرأة وعنفا ، ويختلف مع استاذه المهدى .

ثم ما يلبث أن يبدأ تعلم الفرنسية . ويتقدم لأحدى بعثتين تعلن الجامعة عنهما إلى فرنسا ، فيشترطون عليه إنهاء رسالته للدكتوراه . فيتمكن من ذلك ويقدم أطروحته عن المعرى في ٥ مايو ١٩١٤ (٢) ، ويدعى إلى مقابلة الخديوى كصاحب أول رسالة دكتوراه من الجامعة الناشئة ، ويتأخر سفره إلى باريس قليلا لظروف الحرب الأولى فيعمل في الجامعة استاذا بخمسة جنيهات (٣) . ثم يسافر إلى فرنسا مع أخيه وصديقه الدرعمي على السفينة الحقيرة "أصبهان" يلزم حجرته فيها حتى يبلغ مرسيليا . وقد خرج من زيه القديم . لتبدأ منذ تلك اللحظات مرحلة رئيسية في حياته وثقافته ، وهي المتمثلة بإقامته في فرنسا وتأثره بثقافتها .

كان وجوده في فرنسا تجربة انسانية كاملة ، من حيث تعلم اللغة ، ومواجهة حضارة جديدة ، وبناء علاقات مختلفة . غير أنه في هذا الجزء يقدم لوحات لا سردا تفصيليا وبعض الإشارات إلى ردود فعله لهذه الحياة فقد ظل كعادته : "يخلو إلى نفسه هذه الخلوة المرة التي لا يجد عليها معينا (٤) ، يعاني الأرق ويعبث رفاقه وهو صامت . وحياته بين هذا كله : "حلوة مرة قاسية لينة . يحبها أحيانا كأشد ما يكون الحب ، ويضيق بها أحيانا أخرى كأشد ما يكون الضيق ." (٥)

ومن هذه الوحدة القاتمة يبرز وجه سوزان "وإذا الحياة تبتسم له فجأة في يوم من أيام الربيع ، ابتسامة تغير حياته كلها تغييرا . (٦)

ولسوزان الفرنسية ، كتب في هذا الجزء أجمل فصوله وهي : "الصوت العذب" ، و"قصة حب" و"المرأة التي أبصرت بعينيها" ، كان هذا حدثا في حياة الفتى سيترك

---

١) المصدر نفسه ، ٣ / ٣٩ .

٢) أنظر التفاصيل حول مناقشة الرسالة : المصدر نفسه ، ص٦٣ .

٣) المصدر نفسه ، ٣ / ٧٤ .

٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٨٨ .

٥) المصدر نفسه ، ٣ / ٨٩ .

٦) المصدر نفسه ، ٣ / ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثره،إلى يوم وفاته ،حيث بدله هذا الصوت من بؤسه نعيما ،ومن يأسه أملا ،ومن شقائه سعادة .وكأنه حين رآها لم يبدأ الحياة إلا في ذلك اليوم. ولم يكره المصرى وتشاؤمه وضيقه بالحياة ،إلا حين عرفها .ويعود إلى مصر ثم إلى باريس،وسوزان تحنو عليه وتساعده وخاصة في الفترة التي انتقل فيها إلى السوربون ليعد رسالته. ويقرأ معها تاريخ اليونان والرومان. ويتعلم اللاتينيه. ويستأذن الجامعة بالزواج وهو يتهيأ لامتحان الليسانس تمهيدا للدكتوراه.

وفي هذا الجزء فصول عن دراسته في باريس، والأحداث التي ملأت حياته في السنوات الخمس التي قضاها هناك،غير أننا نلحظ أنه يسرع في السرد ولا يتعرض مثلا إلا بأشارة عابرة إلى وجود ابنته امينة.(١)

وفي الصفحات اللاحقة وصف لعلاقته بسعد ،يلقي الضوء من الزاوية التاريخية على هذه العلاقة ،التي يبدو أنها لم تكن جيدة. ذلك لأن طه حسين ألقى خطابا في ذكرى الإمام محمد عبده ردّ فيه فضل النهضة المصرية إلى الإمام ،ومصطفى كامل ،وقاسم أمين ،ولم يذكر سعدا بينهم.(٢)

ويعود مع زوجته إلى مصر ليعيش حياة "متعثرة يبسم لها الأمل فتخف وتشرق وتعبس لها الضرورة فتثقل وتظلم."(٣) ويشكو طه حسين ،أستاذ الجامعة ،من حالته المادية السيئة في تلك الفترة ،التي كانت تشقي نفس الفتى "حين كان يرى زوجه تغالب دموعها".(٤)

ويبدأ تدريسه في الجامعة بعد أن أصبح الفتى حائزا على شهادتين في الدكتوراه. ويصف مقابلته للسلطان للمرة الثانية ،ورفضه حضور مؤتمر للعميان. ويختلف مع الجامعة فيستقيل. لكن زوجته تقنعه بالعودة فيعود ،ويصدر كتابه عن الشعر التمثيلي عند اليونان.

في الفصل الأخير من هذا الجزء نجد الفتى مؤمنا بثورة مصر ،لكنه يلاحظ أن عامة الناس والشباب أكثر إخلاصا من الساسة أنفسهم. ويشقى طه حسين بسبب السياسة لكنه غير نادم على شيء.

---

١) المصدر نفسه، ٣/ ١٤٦ .

٢) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٠ .

٣) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٥ .

٤) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي الجزء الثالث بفصوله العشرين . ولا أظن أنه فيه قد تجاوز الجزأين السابقين في القيمة الفنية . فقد أبدع فيهما حين كان يسترجع الطفولة ، ويتخيل ، وقصّر في هذا الجزء ، وإن كان يملك من المعلومات أضعاف ما كان يملك عن طفولته ، فهو لم يتعرض بالتفصيل إلى الصراع الذى عاشه بين الأزهر والجامعة . ولم يتعرض للحركة الثقافية والسياسية في مصر في هذه الفترة . ولم نجد زخما في وصف الآمه ، والصعوبات التي واجهته في فرنسا . فالفتى في الجزء الأول شخصية مأساوية، وفي الثاني نجد بدايات الوعي والنمو والتحدى . أما في هذا الجزء فنجد وصفا عاديا، وإن كان هاما لسنوات هامة في تكوينه .

لقد انتصر بطل "الأيام" وانتصر القارئ حين حصل على هذه المعلومات عنه بقلمه . وأظنه لم يكتب اجزاء من "الأيام" بعد ذلك ، لأن حياته أصبحت حياة رجل عظيم ، يسهل على الناس أن يعرفوا عنها ما يريدون فهو لا يعيش في الظل .

لا أظن الجزء الثالث سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق ، ولا أظنه عملا روائيا بالمعنى الدقيق للفن الرواية . فنحن نلحظ هذا الصمت في علاقته بمي . وهذا الإيجاز في علاقته بالناس في فرنسا .

هذه هي أيامه ، "سلسلة من اللوحات الأنسانية الفنية ، معروضة من خلال اللون البسيط الهادئ وغير المركب . وضمن إطار خفي لا يكاد يظهر . . . إنها مشاهد مؤثرة أحيانا حتى لتكاد تستدعي الدمعة من العين"(١)

إن الجزء الأول من "الأيام" ، أقرب الأجزاء إلى الرواية والتحليل النفسي : "ففيه نجد أن طه حسين قد نجح في أن يستحضر في ذهنه طفولته المبكرة بوعيه المتطور للعالم . . . طفولته بكل ما فيها من رغبات حيوية ومتع والآم وذلك بمشاهد ناجحة تنبض بالحياة والمشاعر والصدق"(٢)

أما الجزء الثاني ، فيتراوح بين الرواية والسيرة الذاتية ، فإكثاره من الشخصيات فيه جعله يلجأ إلى تصويرها منفردة ، وتقديمها كنماذج عامة تميل إلى السطحية .

---

(١) حسام الخطيب: "أيام طه حسين" ، المعرفة ، العدد : ١٥٣ ، سنة ١٩٧٤ ، ص٧٩ .

(٢) Piere Cachia; Taha Husayn, P. 192 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الجزء الثالث فهو أقل حظاً من سابقيه مع ما فيه من صور ومواقف، فقد جعلـــه فصولا ولم يربط بينها دراميا .

إن "الأيام" بالنسبة لطه حسين "كالبحث عن الزمن الضائع" (١) ويقصد صاحب هذا الرأى، رواية مارسيل بـــروست بالاسم ذاته. لقد اراد طه حسين في الأيـــام كما يقـــول زكي مبارك " محاكاة جان جاك رسو، وأناتول فرانس، وقد فاتته صراحة روسو وعذوبة فرانس، لأنه طوى اهـــواءه الجنسية". (٢)

لعل الدارس من بين هذه الآراء الكثيرة في الأيام، يرى فيه أهم أعمال طـــه حسين المبدعة وأكثرها صدقا وشعبية. يقول ثروت أباظه: "يريد أن يقدم اليـــك حياته كقصة، وعلينا نحن القراء أن نستقبل هذا العمل كقصة . . . قد نعرف الأبطال، ونتبين حقيقتهم، لأننا عايشنا الدكتور طه حسين وعايشنا بعضا ممن ذكرهم في القصة، وعرفناهم عن قرب أو عن بعد أو عن سماع، ولكن الكتاب ليس مكتوبا لنا وحدنا نحـــن ابناء مصر، ولا لنا نحن أبناء الأمة العربية . . . بل إن هذا الكتاب قد ترجم إلـــى عدة لغات وشرق وغرب، وما أظن أن النقاد قد لاحقوه حيث ذهب ليخبروا النـــاس في شتى بلدان العالم أن هذا الكتاب سيرة ذاتية. وحتى لو لاحقوا الكتاب وقراءة، وأخبروهم أنه سيرة ذاتية لظل الكتاب مع ذلك رواية . . والكتاب ليس مكتوبا لنا نحن أبناء هذا الجيل، وإنما المفروض في العمل الأدبي أن يوجد ليبقى ولتتوارثـــه الأجيال، فهو أذن رواية بكل ما تـــوم به اركان الرواية." (٣)

---

١) Haywood, A.John, Modern Arabic Literature, P. 196 .

٢) زكي مبارك: الأيام لطه حسين، الرسالة، العدد ٣٨٩، سنة ١٩٤٠، ص١٨١٩ .

٣) ثروت أباظة: شعاع من طه حسين، ص١٠٦-١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ . في التيار الواقعـــــي :

أ . دعاء الكـــــروان :

انتهى طه حسين من تأليف هذه القصة سنة ١٩٣٤ ،كما هو مبين في الصفحة الأخيرة منها . وهي أول عمل قصصي كامل يكتبه . فقد نشر قبل ذلك الجزء الأول من "الأيام" ،و"في الصيف" ،والجزء الأول من "على هامش السيرة" ،وفي هذه الاعمـــال اقترب من فن القصة غير أن أيا منها لا يعتبر عملا روائيا بالمعنى الفني الدقيق .

ونحن إذ ندرس "دعاء الكروان" و "شجرة البؤس" و"المعذبون في الأرض" ،علـــى أنها أعمال ضمن التيار الواقعي فإننا نعني بذلك أن فيها تصويرا للمجتمع وطرحـــا لقضاياه . وأن في مضامينها بذور التزام بهموم الناس. غير أن هذا لا يكفي لنجعـل هذه الأعمال ضمن تيار الواقعية الاشتراكية مثلا ،وإن عبرت عن طبقة معينة في مصـــر . ففهم طه حسين لهذه القضايا لا يبرر أن نجعله كاتبا ضمن المدرسة الواقعية في كل ما كتب،مع الاعتراف هنا بأن واقعية طه حسين تظل بحاجة إلى جلاء . وأشير هنـــا إلى أنه ليس بالإمكان فهم هذه الأعمال على أنها نقل حرفي مطابق للواقع،أو أنها مجرد تصوير للحياة البسيطة . فهذه الأعمال ،تعبير عن اهتمامه بالناس والمجتمع ونجد عنده هذا الأهتمام في أعمال أخرى غير التي ذكرت. لكن هذه الأعمال تتميز بغلبة قضايا مجتمعه على مضامينها . ولعل صعوبة الحكم تنبع من أن "الواقعيـــة كلمة من أغمض الكلمات في النقد الفني . ."(١)

تدور دعاء الكروان حول عائلة بدوية في ريف مصر ،ومضمونها عن الثأر كعـــادة اجتماعية ،وقد دفع إلى الثأر ،في "دعاء الكروان" ،انحراف إحدى الفتيات التـــي كانت تعمل خادما عند أحد المهندسين . فالعمل نابع من واقع اجتماعي موجـــود ومنتشر فوق الأرض العربية .

يقع هذا العمل في (١٦٠) صفحة من الحجم المتوسط . يهديه المؤلـــف: "إلى صديقي الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد . . . أنت أقمت للكروان ديوانـــا فخما في الشعر العربي الحديث. فهل تأذن لي في أن أتخذ له عشا متواضعا فـــي

---

١) أنظر في ذلك: محمود السمرة: في النقد الأدبي ،ص٦٣ ، ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النثر العربي الحديث؟".(١) وهو يشير بذلك إلى ديوان العقاد "هدية الكروان (٢)

وفي الصفحات التالية قصيدة مهداة من الشاعر خليل مطران إلى المؤلف تعبيرا عن إعجابه بهذه القصة. والأسرة التي تدور حولها الرواية بدوية من ريف مصر، ومن قبيلة تدعى "بني وركان".

وتبدأ الصفحات الأولى من القصة على لسان بطلة القصة، تناجي الكروان الذي تلتقي به منتصف كل ليلة، منذ أعوام، وتقصّ اطرافا من المأساة.

"لبيك لبيك أيها الطائر العزيز،... إن صوتك لأشبه الأشياء بأن يكون صوتا لروح من هذه الأرواح، ليذكرني روح هذه الأخت التي شهدت مصرعها معي في تلك الليلة المهيبة الرهيبة، وفي ذلك الفضاء العريض... وهلمّ نذكر تلك المأساة التي شهدناها معا، وعجزنا عن أن ندفعها أو نصرف شرها عن تلك النفس الزكية التي أزهقت أو عن هذا الدم البريء الذي سفك." (٣) فالقصة إذن تبدأ بعملية استرجاع ترويها سعاد، بعد عشرين عاما من وقائع القصة وسعاد هي آمنة شقيقة هنادي التي قتلت. (٤) ونرى سعاد هنا سيدة مجتمع تعيش حياة مترفة. وقد اصبح لها خادم بعد أن كانت قبل عشرين عاما بائسة يائسة.

ومنذ البداية، يحدد المؤلف الهدف الأخلاقي الاجتماعي لقصته على لسان بطلتها آمنة (سعاد) وهي تخاطب الكروان: "أفتدعني أقصّ أطرافا منه على الناس لعلّهم أن يجدوا فيه عظة تعصم النفوس الزكيّة من أن تزهق، والدماء البريئة من أن تراق" (٥)، ذلك لأنها تعتقد "إن في أحداث الحياة وخطوبها لعظات وعبرا" (٦).

---

١) طه حسين، دعاء الكروان، ص٣.

٢) كتب العقاد مقالا عن "دعاء الكروان"، نشر في الرسالة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢. انظر: العقاد، ردود وحدود، ص٣٥.

٣) دعاء الكروان، ص١٠.

٤) المصدر نفسه، ص١٢.

٥) المصدر نفسه، ص١١.

٦) المصدر نفسه، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحدّد المؤلف بعد ذلك شخصيات قصته الرئيسية وهي "آمنة ،وهي فتاة بدوية انحدرت بها وبأختها امرأة من أهل البادية"(١) ثم لا يلبث أن يسمي شخصياته: الأم (زهرة) ،وهي بدوية ريفية ،وابنتاها آمنة وهنادى ،ثم الأب الذى كان "زير نساء يحب الدعابة والمجون".(٢) .

أما المكان فهو قرية على أطراف البادية ،من هذه القرى التي لا يستقر فيها أهلها الا ريثما يأتي غيرهم من البادية ليندفعوا هم أمامهم نحو الأرض المتحضرة .

فنحن أمام هذه الأسرة البدوية التي يشينها بين القبائل أمران : أولهما انتماء إلى هذا الاسم الذى يثير سخرية الناس(بني هركان) ،وثانيهما سيرة الأب الداعرة التي فجّرت صوت القصة السرئيسي الأول . ألا وهو مصرع الأب "ضحية لشهوة من شهواته الآثمة"(٣) . فتحمل زوجته وبناته عبء العار الذى خلفّه أب قتل بطريقة غير مشرفة ،لا تجعل هناك مبرراً لذى قومه لطلب ثأره . . . فماذا تفعل الأم وابنتاها . . ؟

هنا تتخذ القبيلة الموقف ،وهو موقف لا أظنه عادلا في البداوة وقيمها ،فالأسرة حملت عار الأب القتيل ،ولكنّ القبيلة هنا تحمّل ابنتيه وزوجته العار وتداوى جرح الكرامة بجرح مثله: "واذا الأسرة كلّها تضيق بهؤلاء النساء . . .وتنفيهن من الأرض،وتكرههن على عبور البحر والاندفاع إلى الريف،يلتمسن حياتهن فيها يائسات شقيات. . ."(٤)

ومن هنا تبدأ حركة الأحداث ،ونعود نسترجع مع الكروان وآمنة ما حدث للأم وابنتيها في رحلة العذاب هذه ،التي لا أظنها مقبولة اطلاقا في المجتمع الذى يصفه المؤلف.

هاجرن . . وبحثن عن أعمال ،فعملت الأم في إحدى المدن عند موظف في الدائرة السنية . وعملت هنادى عند مهندس للرى يعيش وحيدا مع خادمه . أما آمنة فكان حظها أن عملت عند بيت مأمور المركز لتصحب إحدى بناته التي كانت

---

١) المصدر نفسه ،ص١٣ .
٢) المصدر نفسه ،ص١٥ .
٣) المصدر نفسه ،ص١٥ .
٤) المصدر نفسه ،ص١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقاربها في السن ،واسمها خديجة ،حيث تعلمت آمنة القراءة والكتابة معها .وينتقل المؤلف في الصفحات الأولى بسرعة ،حيث نفاجأ بالأم تلتقي بابنتيها بعد أعوام من العمل لتبلغهما بأنه :"إذا كان الغد ،فسنرتحل عن المدينة المشؤومة" (١) ويرحلن ، بعد أن تكون أحداث القصة الرئيسية قد تبلورت،لنواجه الآن بهن في بيت عمدة إحدى القرى ،هاربات إلى حيث لا يدرين . وتقف الأحداث هنا لنجد في مناجاة آمنة للكروان قصة أختها هنادى،التي تحذرها أن يقع لها شيء كالذى حدث لها . حين رحلت سفاحا من المهندس، أما الأم فهي تهدف من رحلتها هذه إلى الاتصال بأخيها "ناصر" ،والعودة إلى القرية التي لهن فيها أهل لأنها ترى أنه" من العار أن تنفي الأسرة نساءها وكرائمها ،فالمرأة عورة يجب أن تستر أو حرمة ، يجب أن ترعى ،وعرض يجب أن يصان ." (٢)

وفي بيت العمدة تظهر شخصيات جديدة هامشية : المأمور (٣) الذى جاء للتحقيق في مقتل أحد الخفراء واسمه عبد الجليل ،وثلاث (٤) نساء مثلن صورا من المجتمع أنذاك وهن : زنوبة المرابية الماهرة ،وخضرة الدلالة ونفيسة المرأفة . وترسل الأم خبرا لأخيها ليأتي ،وحين قدومه تخبره قصة سقوط هنادى ،وفي هذه المرحلة من الرواية ،مرحلة الاستعداد للعودة إلى الوطن مع هذا الخال القاسي الجاف الطباع،نجد تحليلا نفسيا رائعا لمواقف كل من الأم وهنادى وآمنة ،ونكتشف أن هنادى ما زالت تحن إلى بيت المهندس وأنها تحبه "كنت أحسبها محزونة لما تورطت فيه من خطيئة . . . لكنني بعد أن أنفقت معها ليلة كاملة ،وتبينت من أمرها ما تبينت ، استقبلت الصبح ونفسي تذوب أسى وحسرة على هذه الفتاة التي تنظر وراءها فترى حبا مضيعا ،وتنظر أمامها فترى خوفا مروعا . ." (٥)

ويشتد الصراع المتوتر في نفس هنادى ،وتحلم بالأمن والدعة وخالها يزين لهن السفر وسهولة الوصول وفجأة "ماهي إلا أن يناخ الجملان ،ولم تستطع واحدة منا أن تقول حرفا . . وإنما هو ذهول غريب كثيف قد أطبق علينا وملأ نفوسنا . . وهذا

---

١) المصدر نفسه ،ص٢٠ .

٢) المصدر نفسه ،ص٣٣ .

٣) المصدر نفسه ،ص٤٧ .

٤) المصدر نفسه ،ص٣٦ .

٥) المصدر نفسه ،ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالنا قائم كالشيطان ،وهو يأمرنا في غلظة وعنف أن ننزل . . . ولا أكاد استوعب ما كانت أمنا تقول ، (كانت تسأل أخاها سبب الوقوف) . إنما هي صيحة منكره مروعة تنبعث في الجو ،وجسم ثقيل متهالك يسقط على الأرض،وإذا أختي صرعى . وإذا خالنا هو الذى صرعها ،لأنه أغمد خنجره في صدرها"(١) وبين حزن الأم والأخت، وصمت الخال ،تنتهي هنادى ،لتبدأ الرواية في جانب آخر ،جانب صراع آمنة في سبيل أن تثأر لأختها ليس من الخال الذى قتلها بل من المهندس الذى أغواها .

وشخصية آمنة هي بلا شك الشخصية الرئيسة ،وقد لاحظنا في الرواية نموها منذ البداية ،وإسناد دور الراوى لها ،وها هي مذهولة محمومه تلاحقها الأوهام والأشباح . تكره كل اهلها بتكره أمها ،تخاف هذه الظلال الحمراء . "يا للهول إن تدفق الينبوع ليشتد ،وإن الدم لينتشر من حوله انتشارا ،وإن الحمرة لتصبغ كل شيء من حولي ،وإن هذه الظلال لتدنو مني كأنها قد عرفتني وكأنها تريد أن تقبلني ،يا للهول ،إن الروع ليملأ قلبي ،وإن الصياح ليتفجر من فمي فيملأ الجو من حولي ،كما ينفجر الدم من الينبوع فيصبغ الأرض بحمرته . . . وهذه أمي ،يا للهول ما أسمج هذا الوجه ،وما أقبح هذه الصورة ،وما أشد بغضي لهذا المحضر . . ."(٢)

وتهرب آمنة عائدة إلى الغرب ،إلى بيت المأمور ،وقد لفقت قصة عن موت أختها، وتفاجأ بأن صديقتها خديجة ستخطب للمهندس،فتبدأ أول خطوات الانتقام بأن تقصّ على سيدتها (أم خديجة) قصة أختها (٣) مع المهندس،فيرحل المأمور تجنبا للفضيحة ،وتعود هي للعمل حيث كانت أمها تعمل ،مستمرة في الأعداد للانتقام من المهندس،موزعة النفس بين بيت العمدة حيث سمعت لأول مرة بزلة أختها ،وبين الاشباح الحمراء ،والمهندس ،وأمها . . .وبين كل الصور تبرز دائما صورتا هنادى والمهندس.

وتنمو شخصيتها حتى أنها تبدأ تتعمق في موقفها من المهندس ، وتتخذ موقفا غريبا وهو: "أن ألقى هذا الشاب فأسمع منه وأتحدث اليه ."(٤)

---

١) المصدر نفسه ،ص٦٤ ، ٦٥ .

٢) المصدر نفسه ،ص٧١ .

٣) المصدر نفسه ،ص١١١ .

٤) المصدر نفسه ،ص٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألحت على ما تريد ، حتى تمكنت من الخروج مطرودة من بيت سادتها الجدد .(١) كانت قد اكتشفت أن المهندس يمارس اثمه مع خادمته سكينة ، التي خلفت (هنادى) في العمل . وتحقق ذلك بفكرة تبادل العمل مع سكينة أو اخراجها منه ، وتعود لصديقتها زنوبة لتوصي بها للعمل عند المهندس بعد رحيل سكينة .

انتقلت للعمل عنده ، بل للأنتقام منه : "وإني لا أعلم حق العلم أني ساعية إذا كان الفد إلى بيت هذا المهندس. فمقيمة حيث كانت أختي ، فنا هضة بما كانت تنهض به أختي من العمل ، فمنتهية إلى شيء غير الذى انتهت اليه أختي في ذلك الفضاء العريض". (٢)

ويبدأ المهندس مراودتها عن نفسها . وهو لا يعرف أنها أخت هنادى ، فتصمد له ، ويركز (٣) المؤلف على هذا الصراع ، وعلى قدرتها على الصمود في وجهه ، وهو لا يطلب منها حبا ولا لذة ولا إثما ، بل يطلب خضوعا واستسلاما ، وحين تحلل كل هذه المواقف ، بشخصية أظن المؤلف مبالغ في نموها عن الحد الطبيعي المقبول لفتاة في مثل ظروفها ، تقول : "لا يتصل اللقاء بيننا حتى يستحيل الابتسام إلى عبوس. والرضى إلى سخط ، وإذا هو يدعوني فأبى . ويلح علي في الدعاء فألح في الإباء ، ويغرى فأرتفع عن الاغراء ، وينذر فأستخف بالنذير ، ويستعطف فأقوى على الاستعطاف".(٤)

ويتغير تصرفه ، ويصبح ملتزما بيته ، حتى تظن شهوته قد استحالت إلى حب ، وهنا يحتد الصراع بين الحب والانتقام ، صراع رسمه المؤلف وأراده وبالغ فيه برومانسية حادة في صفحات القصة الأخيرة ، فإذا هذا الشاب بالنسبة لآمنة "قد ذاد عنها كل شيء وكل انسان ، وذاد عنها حتى أختها تلك العزيزة واشباحها تلك الحمراء وانتهى الأمر ، كما انتهى الأمر بهذا الشاب نفسه إلى علة تشبه الجنون ، لقد صرفت إليه عن كل شيء ، وصرف إليها عن كل شيء".(٥)

---

١) المصدر نفسه ، ص١٣٤ .

٢) المصدر نفسه ، ص١٣٨ ، ١٣٩ .

٣) المصدر نفسه ، ص١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

٤) المصدر نفسه ، ص١٤٦ .

٥) المصدر نفسه ، ص١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفاجئها ذات مساء بأن عليهما أن يفترقا،لأنه سينتقل للقاهرة،عارضا عليهما ـ إن أرادت ـ الرحيل معه ،وتنتقل معه ،تقيم في دار أبويه لا تجد منهما غير البر والعطف، ولا تلاحظ غير تراجع طيف هنادى من مخيلتها . وارتاحت لهذه الحياة ،والصداقة الغريبة بينهما تنمو حتى تتحول إلى أن يطلب منها "الزواج".(١) غير أن الحقيقة تستيقظ في أعماقها ،وبعد تردد تسردها عليه ،فيسألها عن الانتقام.. فتكون قناعتهما "إن أحدنا لن يستطيع أن يهتدى في هذا الضوء إلا إذا قلده صاحبه ،إن العبء لأثقل من أن تحمليه وحدك ،وإن العبء لأثقل من أن أحمله وحدى ،فلنحتمل شقاءنا معا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا . . ."(٢)

وتنتهي الرواية وصوت الطائر يهلفها . . . وهو يقول ـ المهندس ـ وقد اعتمد بيديه على المائدة : "دعاء الكروان ،أتربنه كان يرجع صوته هذا الترجيع حين صرعت هنادى في ذلك الفضاء العريض". (٣)

"دعاء الكروان" من آثار طه حسين التي أثارت اهتمام الدارسين ،وكان لهم منها مواقف نقدية متباينة ،سأعرض لها ،وأنا أرى فيها عملا قصصيا متكاملا يميل إلى التيار الواقعي أى بمعنى موضوعية النظرة إلى الحياة ،والارتباط بالواقع المعاش، وتصويره بما فيه حقائق وصراعات ،وعرض قضاياه اليومية وسبر أغوارها على أن لا يكون ذلك مجرد عرض لعادات وتقاليد تطفو على السطح ،بل أن يكون العمل الفني رؤية للحياة والمجتمع ،مليئا بتجارب غنية عميقة ،فالواقعية تتحدد بالاختيار ، اختيار الكاتب مجاله ومضامينه ،ثم بوجهة نظره التي يتعامل من خلالها مع هذه المضامين . وإذا كانت الواقعية النقدية (بلزاك ،وموباسان ،وزولا) تصف الداء ،والواقعية الأشتراكية (مكسيم جوركي ،وميخائيل شولوخوف ." تصف الدواء ،فإن طه حسين ـ كما يبدو ـ لم يكن يضع في ذهنه سوى التعامل مع مجتمع يعيش فيه ،يحاول أن يصفه بشكل عام دون التزام بهذه المدرسة الأدبية أو تلك .

أما هذا الأسلوب "الرومانسي" الأخاذ فهو ميزة لكل كتاباته ،وخاص به . لذلك

---

١) المصدر نفسه ،ص١٥٧ .

٢) المصدر نفسه ،ص١٦٠ .

٣) المصدر نفسه ،ص١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نسم "دعاء الكروان" بالرومانسية الحادة لمجرد أن اسلوبها فيه شاعرية جمالية. وتظل "دعاء الكروان" قصة مبكرة في أدبنا، ومبكرة بين انتاج طه حسين الروائي، فيها تصوير لصراع الانسان مع بيئته، من خلال تصور طه حسين لهذه القضية. وقد برزت في مضمون "دعاء الكروان" قضيتان: الأولى اجتماعية: قضية الثأر والشرف، وقد عالجها بشكل جيد لولا بعض المهنات، فالبدو لا يطردون نساءهم مهما كان ذهب أحد الرجال، وهم أيضا حين يقتلون البنت التي حملت سفاحا لابد أن ينتقموا من الفاعل أيضا، كما أن آمنة حين هربت، لم نجد من يتبعها ويبحث عنها، فقد ضاعت من حياة خالها وأسها إلى الأبد، فالذي دفع خالها إلى قتل هنادي لماذا لم يدفعه إلى البحث عن أختها، مجرد البحث؟.

أما أن المؤلف ركز أحداث روايته في البداية، وخاصة أنه كشف نهايتها فهذا ليس عيبا فيها، أما الجمل التي تحمل الوعظ المباشر فهي اعتراض وارد، غير أنه يفهم في ظل حقيقة أن طه حسين كان يقدم طريقته الخاصة في الكتابة، وفي أن لا يكون بينه وبين القارئ حاجز، وفي أن تكون له لغته الخاصة به.

وفي هذه القصة مضمون اجتماعي ـ كما قلنا ـ واضح، فقد صور البداوة وقيمها والقرى وعاداتها، متعرضا للسادة والخدم. والعلم والجهل.. العلم الذي انتصرت به آمنة والجهل الذي قتلت به هنادي، ووصف المرافة والدعارة، وعلاقات الناس في هذه البيئات المختلفة. وإن كنا نعترض على سيرة الأب الذي قتل لدعارته. كما عمق شخصيات مثل "آمنة" و"المهندس" وهما البطلان، بينما برزت شخصيات كثيرة ظلت غير فاعلة في سير الاحداث مثل "الأم" ذات الدور السلبي المستسلم.

وإذا كان المؤلف قد طور شخصية البطلة، وجعل الحب ينتصر. فهو بهذا يطرح القضية الثانية في المضمون وهي:

قضية الحب: وقد طرحها من جانب مثالي، بين المهندس وآمنة، مع أن آمنة نفسها هي التي سعت لطرد سكينة خادمة المهندس دون أن تنظر لها على أنها انسانة مثل هنادي تعاني ما عانت، فهي هنا أنانية إلى حد بعيد.

وقد انتهى الحب إلى الزواج، الحب الذي وصلت اليه آمنة "بعلمها" و"ذكائها" وهذا التطور الثقافي الذي حصل لها دعوة للعلم وُخلق على طريقة "شو" في (بيجماليون)، لكن آمنة هنا هي التي طورّت نفسها ووصلت إلى أن تكون سيدة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجتمع راقية تتخلى حتى عن اسمها ، وعن ذكريات أختها . ولو افترضنا أن نسيان الأخت والانتقام مرتبط بموت هنادى ، فأين هي الأم وعواطف الابنة نحوها . . . . وهذه الاستقامة الاشراقية في شخصية المهندس . . هل لها ما يبررها ؟ ومن هنا نجد أن شخصيات دعاء الكروان تعاني من "سيطرة الفكرة على ذهن المؤلف ، إذ كثيرا ما يضحي بالتعمق في رسم الشخصية في سبيل التعجيل بايصال الفكرة ، ومن هنا فإن الشخصيات تبدو أعلى من مستواها أحيانا وغير مبررة التصرفات أحيانا أخرى . . "(١)

ومن هنا كان رأى محمد مندور حين وصف "دعاء الكروان" بأنها تعاني من طغيان المؤلف على شخصياته وتحجر أسلوبه في طابع خاص يعرفه الجميع . . . والأسراف الذى نراه أوضح ما يكون في اشباع المعنى أو الاحساس أو في الصياغة اللفظية . . "(٢) كما يرى أن القصة فيها عدم مشاكلة للواقع سواء من حيث اسلوبها ، أو من حيث الطريقة الفنية . . ، ومن حيث الوقائع .

ويرى أحد الدارسين أن المؤلف قد شط عن الواقعية عندما دفع ببطلته إلى هذا الثأر الغريب ، وأن هذه الفكرة أثر من آثار ثقافته الفرنسية . (٣)

إننا إذ نعترض على تحجر الاسلوب كما قال د . مندور ، فإننا لا نرى في القصة أثرا غريبا ، إلا إذا أردنا أن نفهم أن أى تأثر بالرومانسية المثالية هو تأثر غربي ، وليس كشفا في عالم النقد أن نقول إن طه حسين متأثر بالفرنسيين . غير أننا نرى أن الصراع الذى أداره طه حسين في دعاء الكروان لم يكن صراعا اجتماعيا حقيقيا يؤدى إلى تغيير ، فهو يريد الثورة ـ بالعلم فقط ـ والتغيير ، بالعلم فقط ، أى أننا إذا علمنا الفقراء فإنهم يستطيعون أن يعيشوا سعداء أغنياء كما عاشت آمنة . ونحن معه في ضرورة العلم ولكن العلم قد يصبح أحيانا ـ على كثرته ـ موجها من "سلطة ظالمة" ليعود "موظفا عند هذه السلطة" حيث يظل الفني غنيا ويزيد غناه بمقدار زيادة جرائم الثأر واعداد الفقراء ، وحتى يصبح هذا الأسلوب الشعرى الدقيق ، الذى أوصل

---

١) د . حمدى السكوت ، مارسدن جونز ، أعلام الأدب المعاصر في مصر ١ . طه حسين ، ص٤٦ .
٢) محمد مندور ، في الميزان الجديد ، ص٣٦ ـ ٤٠ .
٣) جورج سالم : المغامرة الروائية ، ص٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو آمنة اليه ، سبة وترفا ولعنة ، في نظر الفقراء الذين جاءت من بينهم .

ويرى علي الراعي أن هذه القصة "رواية شعرية خطابية ، لا تأبه كثيرا إن هي لم تشاكل الواقع . ولا هي تصاب من جراء ذلك بكبير ضرر . . . إن دعاء الكروان رواية شعرية رومانتيه وليست واقعية نثرية ، وإنها تميل ميلا خاصا إلى الخطابة ، وأحاديث النفس الطويلة الرنّانة ، وانها تعتمد اعتمادا ظاهرا على موسيقى اللفظ ، وتستند إلى التشكيل الموسيقي في فقرات منها" (١) ونختلف مع د . الراعي في هذا الحكم القاطع ، فنحن لا نلغي الواقعية عن الرواية ، ونقدّر للمؤلف موقفه من الصراع في المجتمع حين كتب هذه الرواية المبكرة . وليس أسلوبه عيبا عليه ، فإذا حققت القصة المتعة الفنية فهذا جانب لا يسقط الجوانب الأخرى . فآمنة مثلت طبقة ، والمهندس طبقة ثانية ، وكان رأي المؤلف أن هذا الصراع يزول "بالحب والعقل والعلم" . قد نختلف معه لكننا لا نحاربه . ونقف معجبين أمام هذا الاسلوب الرفيع في التصوير .

تبقى شخصية طائر "الكروان" . فهو كأحد أفراد الكورس "يستخدمه الكاتب للتقطيع والتنغيم ، فكأنه لحن يتكرر في قطعة موسيقية ، وهو يربط من خلاله بين الحوادث الفرعية ، وأحداث الرواية الرئيسية" (٢)

لقد استطاع أن يحقق لنفسه ميزة الحركة في بيئة واسعة ، ويحقق الاسترجاع بعد عشرين سنة ، وأن يعبر من خلال مفاجأة آمنة له عن نزعته الأسلوبية الشاعرية ، وإن كنا نأخذ على هذه النزعة أنها جعلت الأشخاص ينطقون بلغة فوق مستواهم بكثير ، "فدعاء الكروان محور أساسي تتركب عليه القصة ، فهو الذى يخلق الزمان الفني لها . . " (٣) فهو يثير الذكرى ويمهد للحديث ، ويصبح جزءا من الصورة الفنية التي لا تنفصل عن المضمون ، هذا المضمون الذى لم يحلّله إجتماعيا واقتصاديا ، إلا من زوايا ضيقة ، حيث لم يوسع رقعة الواقع وطبيعة الصراع ، فأبطاله يعيشون بوعي فردى وثورة رومانسية تقتصر على أن تكون "صورة من كفاح الطبقة الفقيرة في محاولة التغلب على تعاستها" (٤) فالثورة هنا استجابات فردية جعلت صوت الكروان ورجعه في

---

١) على الراعي : دراسات في الرواية المصرية ، ص١٤٠ ، ١٤١ .

٢) المرجع نفسه ، ص١٥٥ .

٣) بدر الديب : دعاء الكروان أو طه حسين روائيا ، مجلة الأديب جـ٦ . السنة ١٢ ، يونيو ١٩٥٣ ، ص٣٠ .

٤) احمد هيكل : تطور الأدب القصصي والمسرحي في مصر ، ص٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفضاء، يتلاشى أمام عواطف آمنة نحو المهندس، وجعلها تنسى أن الرجل المتصرف الذى تزوجته هو الرجل الذى حطم حياة أختها. ولعل آمنة عبّرت عن ذلك حين تساءلت "أأنا صاحبة هذه الصورة التي تردها إلىّ المرأة، والتي كانت ترمقها العيون معجبة حين كنت أتناول الشاى في بعض مشاربه عصر اليوم.

فإذا اجتمعت في نفسي صور هذا النعيم كلّه أحسست براحة وأمنا وثقة ثم لا ألبث أن أحس شيئا من الكبرياء الغريبة، لأني لا ألبث أن أرى صورتي منذ أكثر من عشرين عاما، حين كنت صبية بائسة يائسة". (١)

هكذا غيّر طه حسين آمنة . . ، وكانت دعاء الكروان "ذات جذور حقيقية. وإن بدت كالشعـــر". (٢)

ولعلّ الكروان كان رمزا . . . "ففيه ألوان من الشعور وعقد النفس المكبوتة وله لـون شاعرى أدبي حين يثير الذكريات. وله شخصية أخرى من غير عالم الانسان . . " (٣)

كان الكروان بالنسبة لآمنة "نجمة الليل" التي تتلقى رسالتها في منتصف الليل، آمنة الذى تمثل في الواقع صورة الانسان الذى ينجح في الخروج من الحلقة الفاسدة، البدائية التفكير، التي يعيش فيها، حين لا يزال اللاشعور البدائي، والتقاليد العتيقة الدعامتين الرئيسيتين للحضارة الاجتماعية في هذه الحلقة . . . وهكذا تبدو آمنـــة هنا بمثابة النقطة التي يلتقي لديها اللاشعور الجمعي السلفي التقليدى من جهة، والشعور الأعلى المثالي من جهة أخرى . . . ويصل الأمر بهذه البطلة إلى أن تندمج في أشباحها اندماجا تاما بعدما أصبحت زوجة الرجل الذى كان ممثلا لهـــذه الأشبـــاح". (٤)

ومع الكروان كانت اللغة التي تحدث بها طه حسين، لا شخصياته، ويقول كوليـــن بالي في محاضرة القاها في المعهد البريطاني في القاهرة سنة ١٩٣٤ . . "في هذه القصة تقدم مشكلة الأسلوب، وينتدى هذا الروح القوطي الذى أشرت اليه، مما يؤدى

---

(١) دعاء الكروان، ص١١٢، ١١٣ .

(٢) Pierre Cachia: Taha Husayn, P. 194.

(٣) محمود شوكت: الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، ص١٦١ .

(٤) انجيل فانيه: طه حسين واسرار الليل، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ١٥٣، سنة ١٩٧٤، ص١٦٣، ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به إلى شيء من الزخرف الذى كان في وسعه أن يتجنبه ويتفاداه . . "(١)

كانت هذه محاولة للتعرف على الخطوط العامة لمضمون وشخصيات أول عمل قصصي حقيقي لطه حسين ، عمل اعتبرناه قريبا من الواقع .

---

١) كولين بالي : رأى انجليزى في القصة المصرية ، الهلال ، عدد مارس ، ابريل ١٩٤٣ ، ص٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب .شجـــرة البؤس:

صدرت هذه الرواية سنة١٩٤٤ ،ولم يكتب طه حسين بعدها قصة طويلة. مـــع أنه بدأ نشر فصول من قصة بعنوان : "ما وراء النهر" في عام ١٩٤٦في مجلة"الكاتب المصري"،غير أنه توقف بعد الفصل الرابع في مطلع ١٩٤٧ ،ثم صدرت له "المعذبون في الأرض" بعد ذلك بسنوات غير أنها مجموعة قصص قصيرة.

وقبل البداية في دراسة هذه القصة يجدر بنا أن نقف عند قضيةهامةتتعلـــق بمدى صحة نسبتنا إيّاها إلى القصص الواقعي لا إلى السيرة الذاتية،ذلـــك أن عددا من الدراسات الحديثة أشارت إلى أن"شجرة البؤس"تؤرخ قصة أسرة طـــه حسين في صعيد مصر،ويعتمد أصحاب هذه الآراء على مقابلات أجريت مع مؤنـــس وأمينة ابني طه حسين. وعلى تشابه اسماء شخصيات القصةوبعض أحداثها مـــع واقع الأسماء والأحداث في حياة اسرته.

فقد صنف الأب كمال قلته "شجرة البؤس" مع "الأيام"،وأديب"،على أنها كتـــب عن حياة طه حسين،وذلك اعتمادا على "حديث مع الدكتور مؤنس طه حسين في فرنسا بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٩ ،كما ذكر ذلك الأديب عباس خضر في كتابه "قصص أعجبتنـــي" الألف كتاب ص٣٧". (١)

كما اعتمد مؤلفا كتاب أعلام الأدب المعاصر في مصر (٢) على مقابلة أجرياها مـــع أمينة طه حسين،وزوجها الدكتورمحمد حسن الزيات بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٩ ،وعلـــى دراسة لسهير قلماوى،في اعتبار هذه القصة تصوّر جزءا من سيرة طه حسين الذاتية وما وقع لأسرته من أحداث.

وحديث الدكتورة قلماوى عن هذا الموضوع يتلخّص في قولها : "ولعلنا نقف فـــي قصة"شجرة البؤس"لنرى "نفيسة" وهي زوج أبيه الأولى ،ونجد أمينة،أخته لأبيه التـــي أحبها ،لأنها وعته رعايةخاصة،ونجد "جلفدان" بدل "جلنار"،من شخصيات روايتـــه تلك." (٣) ،وتشير الدكتورة قلماوى باختصار في موقع آخر من كتابها ،عند حديثها

---

١) كمال قلتـــه : طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ، ص١٩٦ (الهامش) .

٢) حمدى السكوت،مارسدن جونز،أعلام الأدب المعاصر في مصر : ١ - طه حسين ،ص٤٩ .

٣) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ،ص٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الحب والمرأة في روايات طه حسين، فتذكر اسماء "نفيسة زوج أبيه الأولى وقد ولدت بنتيه هما "أمينة" و"جلفة" ان، ثم أمه رقية التي تزوجها أبوه بأمر من الشيخ خالد، شيخ الطريقة الصوفية التي كانت متبعة في قرية السرارية شرقي بني سويف ثم تقول: "ولعلّ هذه الأسماء تذكرنا كثيرا بشخصيات روايته "شجرة البؤس". "(١)

إن هذه الاسماء عن أصول عائلته لم تذكر في أيامه، فهو في "الأيام" يكتب قصة حياته هو، وقد تجنب الحديث بالأسماء والأحداث عن زوج أبيه، غير أنه تحدث عن أخته أمينة (ابنتها)، وعن انتقالهم من مكان إلى آخر. وأرى أن تشابه الأسماء قد تكون له دلالة، ولعلّ كثيرا من هذه الأحداث قد حدث مثلها لأبيه وأمه، غير أنني أنفي عن "شجرة البؤس" أنها سيرة ذاتية، فطه حسين كتب سيرته الذاتية، وهذا الذى في "شجرة البؤس" من أحداث لم يسع طه منه شيئا، فهو لم يساهم فيما حدث، والذى حدث له، وكان واعيا له، وجدناه في "الأيام".

وحتى لو كانت "شجرة البؤس" عن أسرته، فهي "تاريخ" أسرة لا سيرة حياة، وبإمكان أى دارس أدبي، إن كان يؤرخ لحياة طه حسين، أن يحصل على معلومات مفصلة من أفواه المعاصرين، أو سجلات الدولة حول هذه المعلومات. وقد نشرت معلومات مفصلة (٢) عن حياة عائلة طه حسين في أكثر من مكان. ولو أن طه حسين نفسه أراد كتابة تاريخ حياة عائلته ونشره لكتب ذلك في الأيام، ولكان احتاج أيضا إلى أن يكون صريحا فيما نشر، وهو الذى كان في "الأيام" كذلك. فهو غير محتاج إلى تمويه حول المعلومات بصيغة قصة، وبخاصة أن "شجرة البؤس" تأخرت عن جزأى "الأيام" الأول والثاني.

يضاف إلى هذين السببين أن تأثر طه حسين بأحداث كانت جزءا من حياة عائلته أمر يجعل القصة أكثر واقعية في استنادها على حقائق لا تنقل حرفيا، ولو طبقنا هذه القاعدة على نجيب محفوظ مثلا، فلا شك أن في بعض كتاباته حوادث مرّت في حياته، ولكن هذا لا يبرر أن يجعل أى فصل كهذا جزءا من سيرة نجيب محفوظ.

---

١) المرجع نفسه، ص١١٣.

٢) ثروت أباظه: شعاع من طه حسين، ص٩٣-٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطه حسين في "شجرة البؤس" كاتب هادف، يكتب قصة اجتماعية، ولو أنه لم يوجز، لكانت رواية أجيال، سابقة لثلاثية نجيب محفوظ بعشر سنوات، غير أنه قدّم لقصته من خلال الاهداء بقوله:

"وهذه صورة للحياة في اقليم من أقاليم مصر، آخر القرن الماضي وأول هذا القرن، نقلتها من صدري إلى القرطاس اثناء الرحلة في لبنان".

فهو يصوّر فترة، والملاحظ أنها تقع ضمن دائرة حياته. أي لعلها تنحصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطالع هذا القرن. وهذا يجعل هذه الصورة لأية أسرة في هذه الفترة في اقليم مصري قريبة الشبه من غيرها ما دام ينطلق من طبقة معينة.

كما أن في قوله: "نقلتها من صدري" إشارة إلى أن بينه وبين الأحداث علاقة، ولهذا، قد تكون في "شجرة البؤس" اشياء كثيرة عن حياة أسرته، عن أبيه، وزوجة أبيه وأمه وإخوته. غير أنها مجرد صور من الواقع العام والبيئة التي عاشها، لعله استفاد منها لأنها تنسحب على كثير من الحالات المشابهة، فاستعانته بهذه المعلومات، خدمة للقصة بشكل عام.

كما أن القصة كلّها، من حيث البناء الفني، فيها من خصائص القصة ما يجعلها بعيدة عن السيرة الذاتية بالمعنى الدقيق لذلك.

كانت هذه لمحة عن خلاف هو بالتالي ثانوي، ما دام طه حسين كتب السيرة التي وجدنا فيها جوانب من فن الرواية، فهو في "شجرة البؤس" يكتب الرواية التي فيها اعتماد على جوانب "تاريخية" من السيرة، سيرة حياة أبوية...

ومن الصعوبات التي تواجه دارس "شجرة البؤس" هذا الحشد من الأسماء والأحداث، وهذا الانتقال السريع من حدث إلى آخر، حتى أن بطولة القصة تتوزعها أسماء كثيرة، يظهر بعضها مبكرا، ويتأخر بعضها الآخر في الظهور.

وأحداث القصة تبدأ بظهور شخصيتين من شخصيات القصة هما: تاجر من القاهرة اسمه عبد الرحمن وكنيته أبو صالح، فقد ولديه صالحا ومحمدا في أحداث لا يعرض لها المؤلف، وهذا الرجل محدّد المكانة عند المؤلف، فهو من "هذه الطبقة المتوسطة التي أخذ شأنها يظهر شيئا فشيئا في أواسط القرن الماضي حين رد إلى المصريين شيء من حرية، وحين أتاحت لهم النهضة المادية شيئا من سعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العيش. . . حفظ شيئا من القرآن، ثم اختلف إلى الأزهر ووعى شيئا من العلم. . . ثم آلت اليه تجارة أبيه فنماها نموا عظيما". (١)

أما الرجل الثاني، فهو أبو خالد علي بن سلام، الذى نشأ في ريف مصر السفلي، وأخذ عن أبيه التجارة (٢) وهو صديق لأبي صالح. وكان لأبي صالح ابنة وحيدة أسمها "نفيسة"، تمتاز بقبح الصورة، ودمامة الشكل. ذلك أن أمها كانت "جارية حبشية" (٣)، وكان لعلي ابن وحيد اسمه خالد ربّاه وعلّمه "الموروث"، لأن عليا "كان يرى هذه المدارس إثما . . . وكان يكره الترك كرها شديدا، وكان يكره الفرنسيين كرها شديدا". (٤)

وتمرّ الأحداث سريعة لنجد شيخا من مشايخ "الطريق" في بلدة علي، يخضع عليا لآرائه في الحياة، بإيحاء من هذا الشيخ الذى لا يخفي عليه شيء، يفكرون بزواج خالد من نفيسة، ويوافق الرجلان على زواج ابنيهما تنفيذا لرغبة الشيخ، وإن كانت أم خالد هي التي عارضت، ولولا تهديدات زوجها بطلاقها لما رضخت للأمر، لأنها ـ ترى بعد أن رأت نفيسة ومقدار قبحها ـ أن هذا الزواج إن أتمّه أبو خالد "لم يزد على أن تغرس في دارك شجرة البؤس". (٥)

ومن هنا أخذت القصة عنوانها، وتزوج خالد من نفيسة، ولزمت أمه غرفتها حزينة كئيبة، "ولكنها لم تخرج منها إلاّ إلى القبر". (٦)

وبعد وفاتها، بدأ الشيخ يوحي لخالد أن يزوج أباه. . وهكذا بدأت قصة أبي خالد مع تعدد الزوجات، حتى بلغ عدد هن عنده في البيت ثلاثا. وكان يقول إن الرابعة هي أم خالد، وكثر بنوه وأحفاده.

---

١) طه حسين: شجرة البؤس، ص٨، ٩.
٢) المصدر نفسه، ص١١.
٣) المصدر نفسه، ص٩.
٤) المصدر نفسه، ص١٣.
٥) المصدر نفسه، ص٢١.
٦) المصدر نفسه، ص٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما خالد فقد رزق من نفيسة بابنتين هما سميحة، وكانت جميلة، وجلنار، وهي قبيحة كأمها. ويمكن أن يكون هذان الاسمان هما اللذان أوحيا بأن "شجرة البؤس" قصة حياة أسرة طه حسين، فزوجة أبيه الأولى هي نفيسة، وابنتاها هما جلفدان وآمنة.

وظلّ خالد وفيا لزوجته، وتغلب على كل صراع يمكن أن يحرفه عن وفائه لها، ذلك أنه يأثم إذا أنكر قبحها فهو الذي سعى اليها، "وإنكاره صورتها إنكار لما خلق الله". (١)

ويبدأ في نفس خالد صراع رغم ما كان يميزه من ولاء للشيخ، وإيمان ساذج به، ذلك أن حياته أصبحت "عذابا متصلا بين ابنتيه وزوجته، يدفعه إليهن الحب والبر والعطف، ويصرفه عنهما الشيطان بما يتنكر من صور وما يزين في قلبه الشر". (٢)

ويبدو أن الطرف الآخر، نفيسة، قد بدأت تخضع لوساوس نفسها، ذلك أنها أخذت تشك في زوجها وتخاف أن يتزوج عليها، ولهذا "أصبحت الحياة جحيما بين الزوجين" (٣). وينتهي الصراع والشك بزوجته إلى إصابتها بالجنون (٤)، وأصبح خالد عندما يصعد السلم إلى بيته يسمع "نشيجا مؤلما فيسرع الخطو فإذا هو أمام إمرأة قد نثرت شعرها، ومزقت ثوبها وخمشت وجهها حتى أسالت منه الدم، وهي تضرب صدرها ضربا عنيفا وتنتحب انتحابا يفطر القلوب". (٥)

ويكون علاج زوجها لها قراءة القرآن، ولم يفكر بالزواج من غيرها. فشجرة البؤس قد أثمرت نفيسة المجنونة وابنتها جلنار. وبكل ما للشيخ من سيطرة وما هم فيه من إيمان ضعيف واستسلام، يستمر علاجها بالشعوذة، ويحضر أبوها عبد الرحمن الخاضع، كصهره، لإرادة الشيخ وطريقته. والصفحات التي يصف المؤلف فيها

---

١) المصدر نفسه، ص٣٢.

٢) المصدر نفسه، ص٣٧.

٣) المصدر نفسه، ص٣٩.

٤) يلاحظ الدارس أن عددا من شخصيات قصص طه حسين قد أصيبت بالجنون، ذلك أن أمينة اقتربت من الجنون في "دعاء الكروان"، كما جن بطل روايته "أديب"، وهنا نفيسة. و"خديجة المغرته" أم صالح في "المعذبون في الأرض"، وسعدى في قصة "المعتزلة" في الكتاب نفسه.

٥) شجرة البؤس، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك، مليئة بالحكم والحديث عن الإرادة والقضاء والشيطان. ولا يوقف هذا التيار إلاّ تطور جديد في الاحداث، ألا وهو أن الأحداث العامة دفعت بتجارة علي نحو الخسارة، على الذى أصبح موزعا بين "شيخه" وزوجاته وابنه وأحفاده. ويطلق إحدى زوجاته "زينب"، وتبور تجارته "أمام هذه المتاجر الجديدة التي أخذت تنشأ في المدينة على غفلة من أهلها" (١)، وإذا التطور الحضارى الجديد قد أثر أيضا على تجارة عبد الرحمن في القاهرة، لأسباب منها أن "شياطين يأتوننا من يونان، وشياطين يأتوننا من إيطاليا، وشياطين يأتوننا من فرنسا، وشياطين يأتوننا من بلاد الإنجليز". (٢)

فالتطور سنة الحياة، غير أن عليا وعبد الرحمن كانا غافلين عن انفتاح مصر على حضارة الدنيا.

وتظهر في القصة شخصية جديدة هي سليم ابن عم خالد، وهو يتيم منذ كان عمره سنتين يعتزوج من إمرأة اسمها زبيدة، وله منها ولد يدعى سالم، وزبيدة على علاقة حميمة بنفيسة، وكانت تطمع في زواج ابنها سالم من "جلنار"، ولس من سميحة لأنها أكبر منه.

والذى يلفت النظر في ظهور هذه الشخصيات الجديدة هو المفاجأة، إذ أن المؤلف يختصر الزمن بقوله: "وقد تتابعت الأيام والأشهر والأعوام، ومضى جيل من الناس وأقبل جيل. . . ." (٣)

ومن ملامح التطور الجديد، بحث خالد وسليم عن وظائف، حيث أصبح سليم - وهو غير متدين كخالد - كاتبا في المديرية، وخالد كاتبا في المحكمة الشرعية. وهكذا بدأ الجيل الثاني في هذه القصة يكبر، يكبر همه وأحداثه.

ويرحل الشيخ لزيارة عبد الرحمن في القاهرة، ليساهم مع مريديه في زعزعة وضعه الاقتصادى، ولزم عبد الرحمن بعد الزيارة داره، ولم يبرحها إلا إلى رضوان الله.

---

١) المصدر نفسه، ص٢٥٠.

٢) المصدر نفسه، ص٤٥٠.

٣) المصدر نفسه، ص٦٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعود نفيسة من عزاء أبيها ، ليطلقها خالد بأمر من الشيخ ، على أن يضمها إلى أهله أختا له ، ويعده الشيخ أن يزوجه من ابنة الحاج مسعود . وقبل إتمام الزواج يموت الشيخ . وهذا حدث هز الأقليم (١) . ويتولى الأمر بعده إبنه ابراهيم ، الذى يبدأ أعماله بدعوة الناس إلى الحج . غير أن عليا لم يذهب معه ، فقد كان "يتزوج للمرة الثامنة ، وكانت عرسه في هذه المرّة فتاة لم تبلغ العشرين (هنا") ، وعنده في الدار زوجتان هما خديجة ومحبوبة" (٢)

ويعهد خالد لخادمته "نسيم" العناية بنفيسة . وبمباركة الشيخ إبراهيم يتزوج من "منى" ابنة الحاج مسعود . فخالد منفذ رغبات ، ذو شخصية انقيادية هزيلة "أمر الشيخ الكبير فأطعنا ، ودعا الشيخ الصغير فأجبت" . (٣)

والحاج مسعود ، الذى لا يقرأ ولا يكتب ولا يؤمن بالتعليم ، صهر غني ، يشغل خالد حتى عن أخوته التي ادّعاها لنفيسة ، التي لم تجد من يعنى بها غير سليم ، الإنسان الذى لا يمارس الدين على طريقة خالد . وتساعد سليما في ذلك زوجته زبيده .

إنهم مجموعة من السذّج القدريين السلبيين ، ظاهرهم إيمان وباطنهم نفاق . فعلي (الرجل الكبير السن) اعتذر عن الحج ليبقى مع زوجته الصغيرة ، وخالد الحالم المريض طامع في ثراء الحاج مسعود ، والمؤلف متنبه إلى هذه النماذج ، وبالذات إلى كساد تجارة علي رغم اجتهاده ، فهو الذى تزوج ثماني مرات ، حتى عجز عن احتمال نفقات بيته ، ولجأ إلى الدعاء والصلاة ، "ولكن أبواب السماء كأنما أغلقت من دونه أو كأن الله يسمع دعاءه ويجيبه إلى خير مما كان يطلب ، فقد كان يطلب دراهم ودنانير . . . . . ولكن الله كان يقبل صلواته ويسمع دعواته ، ويدّخر بهن قصورا في الجنة ، على هذه الأنهار التي يجرى فيها ماء لذّة للشاربين ويجرى فيها اللبن والعسل والخمر . . ." (٤)

---

١) المصدر نفسه ، ص٧٧ .

٢) المصدر نفسه ، ص٨٢ .

٣) المصدر نفسه ، ص٩٩ .

٤) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع هذا الانتظار ، يتقدم سليم لمساعدته ومن "الرشوة" التي يحصّل في عمله، ويساعده خالد بعض الشيء ، ولا يتمكن على من الحج في العام التالي ، العام الذى فقدت فيه نفيسة آخر آمالها بوفاة أمها ، والتي فجرّت بوفاتها إصرار نفيسة الحزينة على نقل جثمانها عند جثمان أبيها في القاهرة.

ويسعد خالد مع زوجته الجديدة ، ويكثر أولاده وبناته : خمسة ذكور وأربع إناث ونفيسة ضائعة في خضم الحياة ، "وقد عاشت نفيسة ما شاء الله لها أن تعيش، وعمرت ما أذن لها الله أن تعمّر ، دون أن تطمئن إلى النوم ليلة كاملة ، وإنما كانت تهب من نومها أثناء الليل فزعة جزعة لأنها رأت أمها وأباها ، وسمعتهما يلقيان إليها هذا الأمر دائما : "قولي لهم يدفنوها معي ، فأنا اليها مشوق وقد وعدتها بذلك ، أو قولي لهم يدفنوني معه فأنا اليه مشوقة وقد وعدني بذلك".(١)

وبناء على تعليمات الشيخ ، ينقل خالد إلى مدينة في أعلى الاقليم ، وهو يرى زوجته الجديدة "شجرة النعيم" ، وللشيخ مصلحة في ذلك . وهنا يبرز أول تمرد من مركز قوة على الشيخ ، من أم زوجة خالد ، التي ترفض هذا النقل "خلوّا بيني وبين الشيخ فلئن لقيته لأغيرن من رأيه ، فإن لم استطع فسأعصي أمره مجاهرة له بالعصيان".(٢)

وتنتقل نفيسة المجنونة للحياة في بيت خالد ، وتموت زبيدة زوجة سليم تاركة له عليا وسالما ، ويتزوج بعدها ثانية وثالثة . ونعرف أن الخرافات (٣) السائدة كانت أحد أسباب جنون نفيسة.

وتسرع حركة القصة لنجد أنفسنا أمام الجيل الثالث، جيل أبناء خالد ، وينتقل زخم الأحداث إلى مكان إقامة خالد الجديد "الأيام تمضي والأيام تجيء ، والصبية يكبرون ، والكهول يشيخون ، والشيوخ يسعون إلى الهرم . . ."(٤)

فأبناء خالد كبروا ، فهمي ، وشوقي ، وصبحي ، بينما يعمل سالم ابن سليم عند حذّاء ، وأخوه علي عند خياط .وتزوجت سميحة وهي في الخامسة عشرة . وكان أبناؤها

---

١) المصدر نفسه ، ص١٢٦ .

٢) المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

٣) المصدر نفسه ، ص١٣٨-١٤٣ .

٤) المصدر نفسه ، ص١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يموتون حال ولادتهم . " وقد نيفت سميحة على السبعين ولم يعرف أنها أنفقت يوما لم تسفح فيه عبرة ، ولم تذرف فيه دمعا "(١)

وظلت جلنار تنتظر سالما ، وهي تشارك زوج أبيها العمل بنشاط ، وقد عاد إليها أمّها ـ نفيسة ـ رشدها في مشهد مؤثر (٢) ، وعرفت أن لها ابنتين . وتمرد سالم على أوامر أبيه فلم يتزوج جلنار ، ورحل ابناء خالد إلى القاهرة طلبا للعلم وضاقت احواله المادية ، وأصبح علي شيخا فانيا ضريرا أعزب ، عيالا على أبنائه ، وكسدت تجارة الحاج مسعود ، وشاخ خالد ، وكبر ابناء خالد وبناته وتزوجوا ، وتقدم سالم يخطب كبرى بنات خالد من منى ، وتزوج تفيدة ابنة خالد ، وتزوج أخوه علي من جلنار فغضب ابناء خالد لذلك ، ولكن هذه كانت حيلة من سليم انتهت بطلاق علي لجلنار قبل زواجه منها ، وأقام سالم مع اهل زوجته عذابا لجلنار ، التي تقدم لخطبتها شيخ من أصدقاء خالد ، وكانت تفيدة تعيسة مع سليم ، وطلقت بنات منى بعد زواجهن ، وترفض جلنار الزواج ، وتنتهي القصة برحيل تفيده حزينة إلى جوار أبيها ، إلى الدار الآخرة .

هذه هي الخطوط العامة لقصة "شجرة البؤس" قصة عن أجيال ثلاثة ، فيها عدد كبير من الشخصيات وسرعة في عرض الأحداث . وفيها دور هام للدين وشيوخة ومدى تأثيره آنذاك في حياة الناس . وقد ساهمت شخصيتا الشيخين في تحريك الأحداث بشكل بارز ، والاستشهاد بالايات القرآنية الكريمة (٣) . عند المؤلف جزء من تأثير هاتين الشخصيتين على الأحداث . كما برزت تأثيرات الشعوذة والخرافة في حياة الناس (٤)

وهذه القصة ملتصقة بالواقع الذي يكون فيه شيء كثير من واقع حياة المؤلف نفسه ، وهو يحدد ذلك بقوله : "والشيء الذي استطيع أن اقرره وأنا صادق عند نفسي سواء أصدقني القارىء أم لم يصدقني ، هو أنني تتبعت حياة هذه الأسرة من قرب ، وفي كثير من العناية والدقة فرأيت كثيرا من الأحداث التي عرضت لها ، والخطوب التي ألمّت بها خليقا أن تكتب فيه القصص ، وتنشأ فيه الكتب ، وتؤلف فيه الأسفار الطوال .

---

١) المصدر نفسه ، ص١٥٤ .

٢) المصدر نفسه ، ص١٦٢ .

٣) انظر المصدر نفسه ، الصفحات : ١٣ ، ١٨ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١١٩ ، ١٤٢ .

٤) المصدر نفسه ، ص٩٥ ، ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكبر الظن أن هذا ليس مقصورا على هذه الأسرة، وإنما هو شأن كثير من الأسر المصرية في هذا العصر الخطير من حياة مصر، حين أخذ القرن الماضي ينتهي وأخذ القرن الحاضر يبتدئ، وأخذت الحياة المصرية تنتقل من طورها القديم إلى طورها الجديد، في عنف هنا ورفق هناك. في هذا الطور من أطوار الحياة المصرية، اختلفت على أسر المدن والأقاليم خطوب لم يكد يحفل بها أحد، ولا يلتفت إليها إنسان، وهي مع ذلك قد خلقت مصر خلقا جديدا، وبدلتها من خمولها القديم نباهة، ومن جمودها القديم نشاطا، وما من شك في أن الذي أقصّه من أبناء هذه الأسرة - أسرة خالد - يمكن أن يقصّ مثله من أبناء أسر أخرى، كانت تتصل بها صلة الجوار أو صلة المشاركة وفيما كان العمل يترك في حياتها من آثار." (١)

بهذا التصور، والتدخل بين القارئ والنصّ، وضح طه حسين قصته وأهدافها، واصفا البيئة التي جاء هو منها، فهو يجعل هذه الأسرة ركيزة لوصف حياة اجتماعية تكاد أن تكون بدائية، لا تؤمن بالعلم منهجا، بل بالخرافة والصوفية والشعوذة، وقد وصف في ثنايا قصته هذه حال الطبقة الوسطى آنذاك، وما واجهها من تغييرات.

فعلي كان يرى المدارس النظامية: "إثما من الأثم وزورا من الزور" (٢) أما ابنه خالد فقد أرسل أولاده إلى القاهرة، "ليلووا ألسنتهم بهذه الرطانة الأجنبية، وليلبسوا هذه الأزياء الأجنبية، ولتطلق عليهم المدارس الاسماء التركية" (٣)

انه وعي سطحي للتعليم، ولكنه أفضل من وعي سليم الذي يرى أن المدارس "لم تنشأ للفلاحين، وإنما انشئت لأبناء الذوات". (٤)

كما طرح المؤلف قضايا الدين وشيوخه، وهذا يجعلنا نرى الصورة في الأزهر أكثر نقاء وعلمية منها في أذهان أبطال "شجرة البؤس"، فالشيخ هنا يزوّج ويوظف، ويخافه الباشا نفسه، ولعلّه برز بشكل لم يبرز فيه نظام الحكم الذي كان قائما انذاك في تلك المنطقة. كما عالج قضية تعدد الزوجات التي أفقرت عليا وخالدا ابنه، وطرح

---

١) المصدر نفسه، ص١٦٩، ١٧٠.

٢) المصدر نفسه، ص١٢.

٣) المصدر نفسه، ص١٤٩.

٤) المصدر نفسه، ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصور المجتمع للمرأة، مما يجعلنا لا نثق بوفاء الحاج علي لزوجته الأولى بعد وفاتها، هذا الوفاء المتمثل في حرصه على أن يموت في الغرفة التي ماتت فيها، مع أنه تزوج بعدها سبعا.

كما صور لنا المؤلف هذه الشخصيات التي عاشت هذه الفترة، شخصية خالد السلبية الحالمة، وقبوله المطلق لحكم أبيه وشيخه، وشخصية أبيه المهزوزة، فهو متردد حتى من حيث تدينه، ولعلّ سليما هو أكثر الشخصيات تمردا، أما شخصية نفيسة فهي أفضل الشخصيات حين مثلت دور المرأة التي تعيش سلعة بين الناس المدّعين، وكان الشيخ مجرد شخصية باهتة أنانية، ولعلّ شخصية أم منى في ثورتها عليه كانت أكثر اشراقا من شخصيته، ففيها نزعة التمرد الانسانية وإن كان تمردها محدودا بمصلحتها الضيقة.

وتعاني القصة من سرعة الانتقال وكثرة الشخصيات، ممّا جعل المؤلف غير قادر على نقل كلّ التفصيلات بين القاهرة، ومدينة علي، والمدينة التي انتقل خالد للعمل فيها، فنحن لا نعرف من الجيل الثالث ـ أبناء خالد ـ سوى أسمائهم، وأنهم تزوجوا ثم أصبحت بناته ارامل، وقد سبق وذكرنا كيف كان الانتقال بين الاجيال والأمكنة مفتعلا، لا تمهيد له. وحتى في الاحداث لا يقف أحيانا عند بعضها ليعطيه حقه، فسليم تموت زوجته: "فحزن سليم وبكى، ثم تعزّى سليم وسلا، واتخذ له زوجا ثانية وثالثة."(١) كما نلاحظ بطء الحركة في أمكنة اخرى مثل زواج خالد الثاني (٢).

وأحيانا يسبق القارئ بالأحداث ففي بداية القصة يصف لنا حياة الحاج علي بقوله "كذلك كانت حياة علي، زواج وطلاق، وطلاق وزواج..."(٣)

وفي تصوري لو أن المؤلف أعطى لكل شخصية حقها من الظهور، وجعلها تلعب دورها دون تدخل منه، لكان بإمكانه أن يحلّل جوانب أخرى من الأحداث والنفسيات، ولأصبحت القصة ثلاثية متكاملة، تتحدث عن أجيال متطورة متغيرة.

وقد تعرض عدد من الدارسين بالحديث لشجرة البؤس، ومن هؤلاء: أحمد عبد الغفار الذي يقول عن شجرة البؤس: "انها قصة الايمان... بل ليس هذا المؤلف قصة فقط ولكنه فلسفة من عدة وجوه، فهذه القصة هي تكريس للدور الكبير

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى يلعبه الايمان الديني في رضاء طوائف المجتمع المتباينة." (١)

ليس في "شجرة البؤس" غير مجموعة مواقف معروفة ، وهي مواقف سلبية حتى ما يتعلق منها بدور الدين . اذ لم يقدم المؤلف فلسفته الخاصة ومواقفه من قضايا مصر إبان الفترة التي كتب فيها هذه القصة أو في الفترة السابقة لذلك .

ويرى سيد قطب أن في هذه القصة بعدا اجتماعيا،ويقول أنها "ذات مدلول اجتماعي بعيد ،يكاد يصل بها إلى بعد انساني ،وإن كانت من الجانب الفني تفقد بعض خصائص الرواية الفنية المتكاملة". (٢)

وقد حكمت الكاتبة الفرنسية انجيل ڤانييه على خالد،بطل هذه القصة،بأنه "مراهق مائع حالم مريض بالمثل العليا الفاضة والضبابية ، . . يغلق عينيه عن حقائق الوجود الحسية بدلا من رؤيتها ولمسها . . . . انه يرى أن كون المرء تقيا ورعا لا يعني بالضرورة أن يطبق كافة تعاليم الدين ،فهو يفصل بين الأمرين". (٣)

إن "شجرة البؤس" قصة ذات شخصيات مسطحة ، وقد كتبت بأسلوب يرتكز على الوصف . وقد نقل لنا طه حسين فيها صورة لمجتمع مصر في اوائل هذا القرن حين بدأت عوامل التغيير تؤثر في الناس ومظاهر الحياة من ثقافة وتعليم واقتصاد . غير أنه عرض ذلك دون أن يدير بين الشخصيات حوارا أو ينسق في ظهورها،ولم يطرح فكره بشكل واضح . لذلك يؤخذ على هذه القصة "عدم تناسق بين الشخصيات من جهة ،والزمن الطويل الذى تغطيه الرواية من جهة أخرى". (٤)

إن "شجرة البؤس فيها شيء من بيئة الجزء الأول من "الأيام" غير أننا لا نقطع بأنها جزء من أيامه ،ففي "الأيام" صراحة وصدق في التعبير عن حياته منذ الطفولة إلى عودته من فرنسا مما يغني عن اعتبار "شجرة البؤس" جزءا يصور حياة عائلته .أو أن بيئته هي بيئة الجزء الأول من "الأيام" كما ذكر عباس خضر . (٥)

---

١) أحمد عبد الغفار : حديث في الكتب ،ص٩٥ .

٢) سيد قطب : كتب وشخصيات،ص١٢١ .

٣) انجيل ڤانييه : طه حسين وأسرار الليل ، مجلة المعرفة ، دمشق ،العدد ١٥٣ ، سنة ١٩٧٤ ،ص١٦١ .

٤) حمدى السكوت ومارسدن جونز: أعلام الأدب المعاصر في مصر ، (١) طه حسين ،ص٤٨ .

٥) أنظر في ذلك : عباس خضر : قصص أعجبتني ،ص٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ . المعذبون فـــي الأرض :

نشر طه حسين هذا الكتاب فصولا في مجلة "الكاتب المصرى" عامي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ . وعدد هذه الفصول المنشورة كتابا باسم "المعذبون في الأرض" هو أحـــد عشر فصلا . غير أن ستة فصول منها فقط قصص، أما الفصول الباقية فهي مقـــالات وأحاديث عامة .

ندرس هذه القصص، وهي قصص قصيرة فيها طابع لا يجعلها، من زاوية مقومـات القصة القصيرة مكتملة الشروط الفنية ، غير أنها يمكن أن تعتبر مقالات قصصية ، علـــى اعتبار المقال القصصي تعبيرا مباشرا عن فكر كاتبه يميل إلى الذاتية والسرد والوصف والتعبير البياني ، الذى يخفف من التركيز على الحدث أو الشخصية .

ولعل أهمية هذه المجموعة تكمن في أنها فكر ملتزم بالمسحوقين من أبناء مصر ، وأنها كتبت في مرحلة متأخرة بين كتابات طه حسين القصصية . وهي ذات أهميـــة خاصة للدارس، إذ لم يتحرر كاتبها من شخصيته ، بل كان يضع في هذه القصـــص القصيرة أبرز آرائه في فن القصة .

يهدى طه حسين هذه الفصول إلى : "الذين يحرقهم الشوق إلى العدل . وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل . . . إلى الذين يجدون مالا ينفقون ، وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون".(١)

وفي مقدمته لهذه القصص والمقالات حديث طويل عن هذا الكتاب وعن مصر . فهذا الكتاب تعرض للمنع حين صدر كاملا . مع أنه لم يعترض أحد عليه حين نشر فصولا في مجلة . وهو يوضح ذلك بخوف السلطة ، يقول : " جمعت بأى فصول الكتاب ـ ذات يوم في كتاب ، وأردت أن تصل إلى أيدى القراء مجتمعة لتعظ المسرف وتعزى المحـــروم ، وهناك حفلت بها تلك الحكومة . . . وصدر فيها الأمر بأن يحال بين هذا الكتـــاب وبين الناس . . . كذلك صودر هذا الكتاب فيما صودر من كتب أخرى ، كانت تريـــد أن تبصّر المصريين بحقائق أمورهم ، وأن تعظ منهم الطغاة والبغاة ، وتعزى منهـــم البائسين واليائسين . . . وعادت مصر إذا إلى مثل ما كانت عليه فرنسا أيـــام

---

(١) طه حسين : المعذبون في الأرض، ص٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرن السابع عشر، حين كان بعض كتّابها يفرون بكتبهم لينشروها في هولندا . . . . وأحاول أن أفهم مصدر هذا الخوف الذي أثاره تلك الحكومة بهذا الكتاب فحرّمت عليه الحياة في مصر، فلا أجد إلى فهمه سبيلا، فليس في الكتاب سياسة أو شيء يشبه السياسة. وليس في الكتاب تحريض على النظام الأجتماعي ينكره القانون. وليس فيه إغراء بتلك المبادىء الهدامة كما كان يقال في ذلك الوقت". (١)

إن أى نظام ظالم في وضع مصر سنة ١٩٤٩ يبرر مصادرة مثل هذا الكتاب، ففيه سياسة وتحريض وإغراء بمبادىء جديدة. فالكتاب كتب للمصريين البائسين. وهم كثرة تتحرق شوقا إلى العدل بينما فئة قليلة تشفق من العدل حين تستقبل ضوء النهار وتفزع منه حين تجنها ظلمة الليل، على حد تعبير المؤلف. ولعل المبادئ الهدامة التي قال إن الدولة تخاف منها هي التي فسّر كتابه هذا على أساس منها، والذى جعل اسمه يرد في تقارير البوليس السياسي سنة ١٩٥٠ على أنه "يسارى"، وجعل الملك فاروق يعترض على اسمه في أول وزارة اشترك فيها. (٢)

وفي المقدمة أيضا يلقي الضوء على أنه في "جنة الشوك"، و"جنة الحيوان"، و"مرآة الضمير الحديث"، و"أحلام شهرزاد"، وكتابه هذا، قدّم رموزا لظاهر: "كنا نهضمها ولا نستطيع أن نتحدث عنها في صراحة اثناء تلك الأيام السود. فكنا نؤثر الغموض على الوضوح . . . وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم . . . كذلك قهر الأدب بغي البغاة، وسجل على الظالمين ظلمهم." (٣)

القصص التي ندرسها هي: "صالح"، و"قاسم"، و"خديجة"، و"المعتزلة"، و"رفيق"، و"صفاء". وإن كنا لا نعدم ربطا بينها وبين بقية الفصول من حيث المضمون الاجتماعي، وهي فصول: "خطر"، و"تضامن"، و"ثقل الغنى"، و"سخاء"، و"مصر المريضة".

في هذه القصص القصيرة يبرز طه حسين كاتب قصه، مهدّ لمن جاؤوا بعده في ميدان القصة القصيرة في مصر. وإن كان هو لم يصرّح إلاّ بأنه يقدم أحاديث

---

١) المصدر نفسه، ص٨، ٩.

٢) جمال سليم: تقارير البوليس السياسي عن طه حسين الشيوعي، روز اليوسف، ٢٨ أكتوبر، ١٩٧٤، ص٢٤.

٣) المعذبون في الأرض، ص١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومقالات. فهو بتصويره جوانب مظلمة من واقع مصر آنذاك، فتح الباب بجرأته ورمـوزه لمن جاؤوا بعده. وهو صريح في أهدافه من هذه القصص. فصالح، بطل القصـة الأولى في هذا الكتاب، أكبر الظن أنه لم يوجد قط، "لأنه يملأ المملكة المصرية مـن شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، يوجد في القرى، يوجد في المـدن ويوجد في كل مكان..." (١) وهو أيضا "صورة البؤس والشقاء والحرمان، وما أقل المصريين الذين لا يصورون بؤسا ولا شقاء ولا حرمان". (٢)

كذلك شخصيات قصة "قاسم" أمونّة وابنتها سكينة: "فأيسر شيء على القـارىء أن ينظر إلى هذه الحياة الصاخبة من حوله، فسيرى فيها أمّونات وسكينات كثيـرات لا يحصين" (٣).

كذلك الأمر في قصـة "المعتزلة"، التي يهديها إلى المترفين المنعمين فـي الأرض. ويصل به الأمر إلى السخرية من النظام الاجتماعي في مصر حين يقول فـي هذه القصة: "الأثـرة يا سيدى هي الاساس المتين الذى يقوم عليها نظامنـا الاجتماعي البديع. الذى نفتديه بأنفسنا، ونحميه بما نملك وبما لا نملك من جهد..." (٤)

إن هذه القصص، رغم اصراره على أنه لا يكتب قصـة، : "لا أضع قصـة وإنمـا أسوق حديثا" (٥)، وتسميته قصة "صفاء" حديثا، و"المعتزلة" مقالا، إنّها قصـص قصيرة من نوع خاص، فيها هذا التدخل الذى سبق وتحدثنا عنه بين القارئ والنص، وفيها رفض لشروط القصة، فهو يفعل ذلك عـامدا. فهو في هذا الكتاب "قد حـول اتجاه القصة القصيرة في مصر، وفتح الباب على مصراعيه لتصوير الجوانب المظلمة مـن المجتمع المصرى قبل الثورة..." (٦). كما أنها احتجاج على واقع سيء بهـذا

---

١) المصدر نفسه، ص١٩.
٢) المصدر نفسه، ص٢١.
٣) المصدر نفسه، ص٥٠.
٤) المصدر نفسه، ص٦٧.
٥) المصدر نفسه، ص٢٨.
٦) شكرى عياد: القصة القصيرة في مصر، ص١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسلوب الذى "يجمع بين الواقعية الحادة والرمزية، فشخوصه أفراد من المجتمع، لكنهم في الوقت نفسه رموز لأشخاص لا يعدون ولا يحصون . . . فكأنه رسّام يستعمل في لوحاته ألوانا حادة صارخة، ليعكس صرخات المظلومين والمعذبين في الأرض ، وأن انعدام العدالة الاجتماعية هو مبعث اختلال المجتمع وفساده".(١)

إن من يقرأ هذه القصص يجد هذا الشبه الكبير بين الشخصيات. فهي في القصص الست شخصيات فقيرة مسحوقة، يقدم حكاياتها واعظا الناس، منبها على الأخطاء، فهو مشغول بالدلالة الاجتماعية للحدث وللشخصية أكثر من انشغاله بالبناء الفني، يركز على رفض قواعد القصة، وعلى حرية الكاتب في أن يكتب ما يشاء. ففي قصة "صالح" حدد الطفولة البائسة. فصالح يعيش مع أبيه وزوجة أبيه، التي تفرض عليه الحرمان لكنه يجد المساعدة في شخص أمين ابن الذوات. وكأن المؤلف هنا يريد تحقيق مصالحة بين الطبقات عن طريق الشفقة والإحسان، كما حاول ذلك في "دعاء الكروان"، و"أحلام شهرزاد"، عن طريق العلم. لكنه يتنبه لاستحالة ذلك، فقد ظل صالح في شقائه، صالح الذى جنّت أمه بعد زواجين أنجب الأول صالحا، والثاني سعيدا. فجنّت لقسوة الحياة حتى أصبحت تلقب "خديجة المعفرتة". (٢)

ويحمل المؤلف شخصية صالح أكثر مما يجب، فنرى هذا الطفل البائس يقدم زهورا لصديقه أمين قائلا . . . "أحمل اليك هذه الأكمام التي لم تتفتح بعد . خذها إليك وضعها في إناء فيه شيء من ماء، وانتظر بها الصبح ثم أقبل عليها فستراها متفتحة عن زهر جميل طيب الرائحة" (٣) . وتنتهي القصة مأساة كان لابد منها . فالخبر على لسان أبي أمين : "لقد كانت القطر شرهة منذ اليوم، أكل أحدها سعيدا مع الظهر، وأكل الآخر صالحا مع الليل . وفقدت خديجة المعفرتة ابنيها في يوم واحد . ثم التفت ـ أى أبو أمين ـ فرأى ابنه امينا مذعورا فقال له في صوت رفيق : لن تغدو على الكتّاب إن كان الصبح، لأنك ستذهب إلى المدرسة الابتدائية في عاصمة الإقليم". (٤) وهكذا لم تأخذ هذه المأساة من وقت السادة واهتمامهم شيئا .

---

١) جورج سالم : على هامش الأدب العربي، ص٣٧ .

٢) المعذبون في الأرض، ص٣١ .

٣) المصدر نفسه، ص١٤ .

٤) المصدر نفسه، ص٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصة "قاسم" مشهد من ريف مصر. أبطالها قاسم الأب الجاهل البائس المريض، وزوجته أمونة، وابنته سكينة. وقاسم صياد مسكين، شخصية سلبية، يقدم الصيد الثمين للعمدة، فهو قريب من خالد في "شجرة البؤس". يفرض الفقر عليه أن يرى ابنته الجميلة وهي في السابعة عشر تنحرف مع زوج عمتها، فيصمت قاسم بضعف واستخذاء، فليس هناك من يحفل به أو يحاسب الجاني.

وشخصية أمونة الأم ليست هي المقصودة بل، أراد المؤلف أن يبين تأثير فقر الأبوين على تلك الفتاة الجميلة، التي كانت لا تملك حتى ما يستر جسمها من ثوب. والتي باعت نفسها في سبيل أقل الاشياء قيمة، شيء من الخرز واللبان من زوج عمتها.

إن شخصيات هذه القصة ـ لو طورت ـ لكان من الممكن أن تكون عملا روائيا، يكون من اكثر الاعمال التزاما بالطبقة الكادحة في مصر. غير أن المؤلف وصف وأوجز، فأفقد القصة أبعادها الانسانية.

وفي قصة "خديجة" صورة للخدم في الريف المصري هي غير صورة هنادي التي سقطت في "دعاء الكروان". هنا يقدم صورة لخادم شريف تنال إعجاب القرية بسمعتها الطيبة، فيحاول المؤلف أن يقدم لها زوجا من أبناء السادة، بينما أبوها شعبان وأمها محبوبة يتلقيان الأحداث بسلبية. فالأب عامل بناء مسكين والأم خادمة. وتنتهي القصة بانتحار خديجة لأنها: "أكرهت على الزواج، ومسّ حياءها النقي ونفسها الطاهرة منه دنس لم يستطع الحب أن يغسله فغسله الموت."(١)

إن انتحار خديجة، ومصرع صالح وسعيد، وسقوط سكينة، كلها علائم على أن المصاهرة والحب والاحسان والشفقة لا يمكن أن تكون حلولا لقضايا المسحوقين من الناس، كذلك كان وضع أم تمام في قصة "المعتزلة"، فهي قبيحة كنفيسة في "شجرة البؤس"، شقية كالأم في "دعاء الكروان"، لها غلامان هما أبو العلاء وتمام، يعملان في النباء، وابنة هي سعدى في الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها فقدت الأم ابنيها في الوباء الذي ذهب فيه شقيق طه حسين سنة ١٩٠٢، كما وصف ذلك في "الأيام". فتصبح أم تمام ولا هم لها إلاّ الحزن ومحاولة إغراق ابنتها في القناة. وتموت الأم وتبقى سعدى، بلهاء مجنونة تائهة، يفترسها أحد الذئاب فتحمل سفاحا. ويوقف

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤلف الاحداث هنا ولا يعرف من أمر سعدى شيء . وهو بذلك كما قال في البداية يكتب عن حقيقة واقعة ، ويرى أنه بعد نصف قرن من هذا الحدث قد تكون في مصر "أسرة ممتزلة كأسرة أم تمام ." (١)

أما قصة "رفيق" فتكاد أن تكون قريبة الشبه بأيامه ، أو أنها جزء من الحياة التي عاش ، حيث يصوّر قدوم ضابط تركي إلى مدينته مع ابنيه : الأزهري شبه الضرير عثمان ، ومحمود حيث يلتقي بهما في الكتّاب . وتنشأ بينهم صداقة عميقة ، ويصور زواج ابنة الضابط الكبيرة ، ثم زواج الضابط بمن هي في سن ابنتيه ، مما يؤلم أمهما التي ماتلبث أن ترحل . غير أن ابنته الكبرى تفضح تصرفات أبيها مع زوجته الجديدة مما حطم أمها ويرحل المأمور بعد ذلك عن القرية . وينقلنا المؤلف إلى الجامعة المصرية لنجده يلتقي فجأة بصاحبه محمود ابن المأمور ويتعلم الفرنسية معه (٢) ، ويموت هذا الصديق قبل أن يتم تعليمه ، وبعد عودة طه حسين الأولى من باريس.

إن في هذه القصة لمحات من السيرة الذاتية ، جديرة بأن يشار لها مع "الأيام".

أما القصة الأخيرة "صفاء" فهي قصة لأسرتين مسيحيتين فقيرتين : أسرة ميخائيل تادرس وزوجه حنينه وابنهما نصيف ، وابنتهما صفاء . وأسرة المعلم يونان ، وزوجه مرجانة ، وابنه عبد السيد ، وكلا الابوين موظف متواضع في دائرة من دوائر الترك . ومحور القصة علاقة حب بين صفاء وعبد السيد ، إذ يموت والد صفاء ويرتفع شأن ابنه نصيف ، بينما يزداد فقر أسرة عبد السيد ليقف الغنى حاجزا بينهما . فتخطب صفاء إلى زميل لأخيها غني وفي يوم زفافها يميد الناس إلى بيت مرجانة "جثة قد احتز القطار رأسها احتزازا . . . وصفاء أصبحت مزوجة كالمطلقة" (٣) وتنتهي القصة بقول حنينة : " يا ليتنا لم نعرف المال . وتقول مرجانه في نحيبها يا ليتنا لم نعرف الحب . ويقول المعلم يونان في صوته الهادئ المتقطع : قد عرفنا الموت الذى هو أقوى قوة من المال والحب جميعا" . (٤)

---

١) المصدر نفسه ، ص٨٠ .

٢) لعل هذا الصديق هو محمود سليمان ، ابن ملاحظ الطرق الزراعية في مفاغة . انظر كمال الملاخ : قاهر الظلام ، ص١٥٦ .

٣) المعذبون في الأرض ، ص١١٧ .

٤) المصدر نفسه ، ص١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الهدف الاجتماعي واضح ،كما أن هناك ملاحظة على اسماء هؤلاء المعذبين حيث يتناقض الاسم مع واقعه مثل سعيد وسكينة وصفاء .

إن "المعذبون في الأرض" نماذج واقعية ،هي من مصر حقيقة ،لكنها ذات طابع انساني واضح ،تصور أوضاع مصر في الفترة الطويلة من الصراع التي سبقت ثورة ١٩٥٢ ، "كما أنه يمثل ثورة طه حسين على الأوضاع ،ويحمل الكثير من ضيقه بالأحوال والأوضاع السائدة وخاصة حالة التخمة التي ينعم بها الأغنياء والأثرياء" (١)

إن هذه القصص، وإن كانت تطرح المشكلة ،فإنها ترى العلاج في التغيير الشامل للأوضاع. فهو في مقدمته لطبعة صدرت في القاهرة بعد الثورة يرحب بالثورة متمنيا أن تكون سندا للعدل ،وأداة للإنصاف، وسبيلا للمساواة. (٢)

"إن "المعذبون في الأرض" كتاب إنساني يدق الرؤوس الغارقة في الفنى والغافلة عن الفقر . . . وهذه معان انسانية ،إن لم يعتنقها الكاتب فهو ليس إنسانا وبالتالي ليس كاتبا . فكتاب "المعذبون في الأرض" كتاب طبيعي في فترته ،إنساني في دعوته" (٣)

ومع هذا تبقى تصوراته للصراع وقضايا الطبقات تصورات ياسة احيانا ،بعيدة عن طرح الحلول الجذرية لوضع المعذبين من بني الانسانية في كل زمان ومكان .

أما الفصول الأخرى الملحقة بهذه القصص، فهي مقالات ،إن اختلفت فنيا عن القصص التي أشرنا اليها ،فإنها تلتقي معها في المضمون وطرح واقع الفقراء في مصر. كما أنها كتبت جميعها في فترة واحدة ،وفي ظل الظروف التي عاشتها مصر.

---

١) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، ص١٢٦ .

٢) المعذبون في الأرض، ص١١ .

٣) ثروت أباظه : شعاع من طه حسين ، ص١٣١ ، ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . في القصة الأسطورية :

لطه حسين كتابان يعتمدان أسطورة شهرزاد المعروفة، التي احتلت مكانة بارزة في آثار عدد من الكتاب العالميين والعرب. ذلك أن "ألف ليلة وليلة"، تشكلت منه رموز كثيرة، جعلت كثيرا من المؤلفين ياخذون بعضها، ليسقطوا عليه أفكارهم وتطلعاتهم بثوب عصري، ويفتح هذا الإسقاط مجالا بارزا لدراسة "ألف ليلة وليلة"، وللدراسات المقارنة حول التأثيرات الشرقية في الأدب العالمي، حين نجد شخصيات علاء الدين ومصباحه السحري، وسندباد، وشهريار، نماذج لأبطال في الفن الحديث. وقد أشار طه حسين في كتابه الذي ألفه مع توفيق الحكيم، وهو "القصر المسحور"، إلى أن الكاتب الفرنسي هنري دي دينيه قد كتب عن شهرزاد.(١)

ومن كتابنا العرب نجد مسرحية الحكيم "شهرزاد"، ومسرحية "شهريار" لعزيز أباظة، و "سر شهرزاد" لعلي أحمد باكثير.

وسوف نقف عند كتابي طه حسين، بادئين بكتابه المشترك مع الحكيم :

أ ـ القصر المسحور :

هذا عمل جديد في أدبنا يشترك فيه اثنان من كبار كتابنا في الثلاثينات من هذا القرن. وقد كتب حين كان الأديبان في قرية على الحدود بين سويسرا وفرنسا، يصطافان عام ١٩٣٦، كتباه فصولا متبادلة وأهدياه "إلى مدام طه حسين".

وهذه الفصول ذات علاقة بمسرحية الحكيم "شهرزاد"، التي صدرت عام ١٩٣٣، ورحّب بها طه حسين على أنها : "أثر فني، متقن ممتع دقيق الصنع بارع الصورة خليق بالبقاء والبقاء الطويل".(٢) فالقصر المسحور حوار بين الأديبين، ومحاكمة فكرية واضحة لمسرحية شهرزاد، حين أشار طه حسين شخصيات المسرحية على كاتبها . (٣)

---

١) طه حسين وتوفيق الحكيم : القصر المسحور، ص١٦ .

٢) طه حسين : فصول في الأدب والنقد، ص١١٢ .

٣) أول إشارة نقدية لهذا العمل وردت في الهلال، جزء ٧، سنة ٤٥، أول مايو ١٩٣٧ . أنظر ص ٨٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتألف هذا العمل الفني من ستة عشر فصلا ، تأخذ طابع الرسائل المتبادلة بين الأديبين ، من خلال قصة خيالية عن لقائهما ببطلة الحكيم في مسرحيته "شهرزاد". وهذا الجمع يعني أننا امام أسلوبين يستلهمان رمزا واحدا لكل منهما فيه عمل خاص. فالحكيم له المسرحية ، ولطه حسين قصته التي صدرت بعد القصر المسحور وهي "أحلام شهرزاد" ، ١٩٤٣ . وفي هذا اللقاء أيضا أراء الكاتبين في الأدب والفن ، وحرية الأديب والفنان.

من معرفة أي دارس بأسلوبي الكاتبين وآرائهما ، يستطيع أن يميز الفصول التي كتبها كل منهما ، وبالذات لأن آراء الحكيم وطه حسين في شخصية شهرزاد معروفة في كتابيهما الآخرين . فمسرحية الحكيم قامت على محاولة شهريار معرفة سر شهرزاد ، فعجز عن ذلك . ومع أنه - أي الحكيم - رسم شخصيات ميسور ، والسياف وقمر ، فإنه جعل الوزير ينتحر ، لأنه وجد العبد يستأثر بجسم شهرزاد . وقد كان فهم طه حسين لعمل الحكيم هذا على أنه بحث عن الحقيقة ، وحين كتب هو بعد ذلك قصة "أحلام شهرزاد" ، حاول أيضا أن يجيب على أسئلة بالأهمية نفسها عن العدل والحرية .

الفصول التي كتبها طه حسين في القصر المسحور تسعة هي : "سمير شهرزاد" (ص٧) ، و"من شهرزاد" (٤٧) ، و"إلى شهرزاد" (٥٧) ، و"محنة توفيق الحكيم" (٩٥) ، و"القلق على توفيق الحكيم" (١٢٧) ، و"شكوى شهرزاد" (١٣٥) ، و"مواساة شهرزاد" (١٤١) ، و"غضب شهرزاد" (١٨٧) و"حكم الزمان" (١٩٩) .

وكتب الحكيم سبعة فصول هي : "سجين شهرزاد" (٢٥) ، و"في الحمام" (٧١) ، و"ثورة الأشباح" (٨٥) ، و"في حضرة شهرزاد" (١١٣) ، و"في الحبس الاحتياطي" (١٥١) و"المحاكمة" (١٦٥) ، و"الدفاع" (١٧٩) (١)

في الفصل الأول "سمير شهرزاد" ، نجد طه حسين في حالة نفسية سيئة ، فقد عبر البحر من مصر إلى باريس ، ووصل إلى هذه القرية المنعزلة مع عائلته ، وبدأ النظر في ديوان المتنبي . وفجأة يقدم عليه شخص بزي عراقي شرقي برسالة من شهرزاد ، التي تصطاف في المنطقة نفسها داعية طه لزيارتها حين ينتصف الليل ، فيقع في الحيرة ، هل هو في حقيقة أم خيال ؟ . غير أنه يصل قصرها في الموعد حيث يلتقي بها وهي: "مستلقية على هذا الأثاث الذي يسمونه الكرسي الطويل ، وقد كثرت من حولها الوسائد ووضعت قريبا منها مائدة صغيرة قد أثقلتها الكتب والصحف والمجلات. . . فشهرزاد

---

١) الأرقام هنا إشارة للصفحة التي يبدأ بها كل فصل في الطبعة التي اعتمدها الباحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالدة لم يدركها الموت ،ولن يبلغها الفناء ،ولن يتحول عنها شبابها".(١)

وشهرزاد هنا رمز من نوع جديد . فلماذا تبقى سجينة قصرها على شاطئ دجلة؟ "لقد تغير الزمان وارتقت الحضارة ،وأتيح لشهرزاد أن تسترد حريتها وأن تطوف في أقطار الأرض فتصطاف".(٢) وهي لم تستطع أن تمضي الشتاء في مصر والسبب، "هذا الفتى الغريب الذى يسمونه توفيق الحكيم ،هو الذى ردّني عن مصر بكتابه هذا الذى لم أحبه ، ولا أستطيع أن أحبه".(٣)

ويقترح عليها طه حسين أن يكون سميرها الحكيم نفسه ،الذى وصل المنطقة وشغل بصيد السمك وترجمة مسرحيته "شهرزاد" للفرنسية . ويغادر طه مجلس شهرزاد بعد أن أمرها باحضار الحكيم .

يكتب الحكيم الفصل الثاني مكملا ما بدأه صديقه ،فهو (سجين شهرزاد) ، وفصله يعتمد الحوار ،حوار بين شهرزاد والعبد الذى خطف الحكيم وأحضره وهو نائم كاليقظان ،ويقظان كالنائم . والعبد يقسو عليه مذكرا سيدته برأى طه حسين في أن الحكيم لم يفهم شخصيته ،بينما الحكيم مشغول بمدى صلاحية العبد لتمثيل دوره في مسرحيته وصلاحيتها لتلعب دورها أيضا . ويدور حوار ممتع بينهما وهو يضربها بأن تضايق طه الذى تركها ليكتب عن المتنبي ،أو أن تذهب معه للصيد لأن أباها كان صيادا .

ثم يكتب طه حسين الفصل التالي بعنوان (من شهرزاد) ،وفيه نراها تأمر فتياتها باصلاح شأن الحكيم ،وتكتب رسالة لطه حسين عن تصرفات الحكيم: "أرأيت أديبا يتثاءب في حضرة شهرزاد ؟"(٤) كما أن شخصيات المسرحية عرفت بوجود الحكيم ،فقد مت لمخاصمته لأنه صورّها على غير ما تحب ، وأنطقها بمالا ترضى ، فقد قدم العبد ،والسياف ،والوزير ،وتطلب من طه القدوم ليساعدها في حماية صديقه منهم .

---

١) القصر المسحور ،ص١٥ ، ١٦ .

٢) المصدر نفسه ،ص١٧ .

٣) المصدر نفسه ،ص١٧ .

٤) المصدر نفسه ، ص٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفصل التالي يكتبه طه حسين ، جوابا على سابقه ، فهو حزين على صديقه "حين رآه في هذا الموقف "حين رأيت صديقا يكيد لصديقه وأديبا يتجنى على أديـــــب"(١) ولعل في هذا إشارة إلى مواقف الادباء في مصر وخلافاتهم .

وفي هذا الفصل يبدع طه في وصف مشاعره ، وفهمه لشهرزاد "ثم أشار الفجـــر باصبعه الوردية التي أريتها أنت يا سيدتي لضرير اليونان منذ ثلاثين قرنا ، فـإذا الليل الجاثم ينهزم ، وإذا الشمس تقبل فتبسط الضوء والحياة على كل شيء ، وفي كـل نفس. ولكني أظل محروما ضوء الشمس وحياتها ، لأنك أنت الشمس والحيـاة ." (٢)

وفي هذا الفصل موقف من حرية الأديب رائع. فهو يطلب من شهرزاد أن تحمي "حفاظا للأدب وذودا عن حرية الرأى . . . . يا للشر الخطر ، يا للبلاء ، حتى أرواح الموتى قد مستها عدوى الطغيان فهي تمقت حرية الرأى ، وتعاقب العقل حين يفكر والقلب حين يشعر ، والخيال حين يبتكر. ألم يكفه حرية الرأى ما تلقاه من عنـــت الطغاة بين الأحياء حتى تصبح أرواح الموتى عدوا لهذه الحرية؟ . . . إن الذين يعتدون على حرية الرأى من الأحياء والأموات ، إنما يعتدون عليك انت ، وانك مصـدر الرأى والشعور والخيال ". (٣)

ويكتب الحكيم الفصل التالي "في الحمام" ويصف فيه ما يلاقيه بين أيدى ثلاث من فتيات شهرزاد ، وكيف هرب منهما ، ونرى طه حسين يقنع سكرتيره بدخول قصر شهرزاد ونلمح موقفا للحكيم من طه حسين حين يقول له : "هذه الصلابة قد عرضتك أحيانا إلى ما تكره" . (٤) ويلقى القبض على طه حسين بدلا من الحكيم الذى هرب ، وتبـــــرز سخرية الحكيم في هذا الفصل بشكل واضح .

كما يكتب الحكيم فصلا آخر هو "ثورة الأشباح" اشباح شخصيات مسرحيته ، واصفا شهرزاد بأنها "هي التي تفهم الرجال كامرأة عاشت بين الرجال الف عام ، لا تستطيع أن تفهم هذا الرجل المعقد ، لماذا لا تريد أن تعتقد أنها هرمت قليلا ، وان شعرات قد ابيضّت في رأسها الأسود الجميل ". (٥)

---

١) المصدر نفسـه ، ص٥٩ .

٢) المصدر نفسـه ، ص٦٤ .

٣) المصدر نفسـه ، ص٦٩ .

٤) المصدر نفسـه ، ص٧٦ .

٥) المصدر نفسـه ، ص٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستمر ثورة الأشباح مطالبة بإحضار الحكيم لمحاكمته والانتقام منه، ويحضر السجين لشهرزاد، فإذا به طه حسين، فتأمر بالبحث مجددا عن الحكيم، ويطلب طه حسين محاكمة عادلة لصديقه، يكون القاضي فيها هو "الزمن".

ويكتب طه حسين فصلا آخر عن "محنة الحكيم" فيه وصف لثورة الشخصيات على مبدعها، ويسجن الحكيم، ثم تحمله خائر القوى ثلاث إماء سود إلى شهرزاد. وقد ألقي القبض عليه بخدعة دبرها رئيس شرطة القصر المسحور، وشهرزاد حريصة على حماية سجينها من الأشباح الثائرة حتى يقدم، بناء على رأي صديقها طه حسين، إلى محاكمة عادلة.

وفي فصل آخر بعنوان "في حضرة شهرزاد"، يصوّر الحكيم لقاءه بشهرزاد، فهو بكامل رشاقته ووسامته، وهو هنا يحب في صديقه جرأته وإن كان طه حسين يرفض الخوض في حديث حول الأديان لأنه "عميد مسؤول، ولا شأن لي بالكلام في الأديان والآلهة، وحسبي ما حدث لي قديما".(١)

أما الاشباح فهي معترضة على تصوير الحكيم لها، وهي تريد تحطيم المكان الذي خرجت منه، أي رأس الحكيم، لأنها أخرجت بصورة لا ترضيها، وطه يرى أنه إذا حكم الزمان للحكيم "فأي انتصار يكون وقتئذ للفكر وحرية الفكر، وعندئذ تنتشر هذا الحكم في الصحف، معلنين انتهاء عهود الظلام وابتداء عهود النور"(٢) ويركز على هذا الحديث في الابداع الفني والحوار حول الحرية، حرية الفكر والحكمة.

وفي فصل جديد يكتب طه حسين في "القلق على توفيق الحكيم"، فهو يعود إلى أهله غير قادر على أن يروي لهم قصة القصر المسحور، حائرا كيف يفسر لهم اختفاء الحكيم فجأة. فمن يصدقه إن روى لهم ما حدث ويفكر أن يحدثهم عن غرابة أطوار صديقه الحكيم فلعله عاد إلى باريس.

ونجد انفسنا أمام (رسالة من شهرزاد) يكتبها طه حسين، ونجد الحكيم يتعرض لمحاولة انتقام من ثلاثة نفر سود، تحميه منهم شهرزاد التي تطلب مساعدة طه حسين.

---

١) المصدر نفسه، ص١٢٠.

٢) المصدر نفسه، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي فصل تال (مؤآساة شهرزاد) ،يكتبه طه حسين ،ردا عليها محاولا تهدئة خوفها . وفيه أحد مواقفه الفكرية ،فهو يرى أن علينا "أن نرى للحياة حقها، فنفي حين يجب الوفاء ،ونخلص حين يجب الإخلاص ،ونعمل حين يجب العمل".(١) وهو يرى أيضا "أن الخلود وحده لا يكفي لسعادة الخالدين ،وإنما قيمة الخلود أن يتصل من حين إلى حين بالفناء واصحاب الفناء".(٢)

ويكتب الحكيم فصلا جديدا ، (في الحبس الاحتياطي) ،فقد حبس الحكيم بأمر من الزمن "في برج ساعة كبيرة في رأس كنيسة "كومبلو" ،على ارتفاع ألف متر عن سطح البحر ،ذلك أن الزمن دائما يقول : "إذا كانت المساجد والكنائس هي بيوت الله فان أبراج الساعات هي بيوتي".(٣) وبينما ترى شهرزاد أنها سرقت الحكيم فسرقه الزمن ،يرى هو أن الحب قد قتل الزمن ،وتنفي هي تآمرها عليه مع الزمن ، فهي لا تعرف الموت،وتبرز هنا آراء الحكيم في هذه القضية الفلسفية ،فالزمن عنده "إناء عظيم لا قاع له ،يسع فيه الاحياء والاموات ،الخالدون والهالكون".(٤)

ويتبع الحكيم هذا الفصل بفصل آخر بعنوان (المحاكمة) ،لعله مع الفصل الذي يليه أيضا ،وهو فصل (الدفاع) أبرز فصول الكتاب التي كتبها الحكيم في هذا العمل الفني . فقد عقدت جلسة المحاكمة في رأس الجبل الابيض والقاضي "كائن طويل مديد لا ظهر له ،ولا يبدو عليه عمر ،له وجهان أحدهما أسود والثاني ابيض،وقد اتخذ له من قوس قزح وشاحا يزين صدره الذي كساه الجليد".(٥) أما الرعد حاجب الجلسة ،والزوابع تحمل المتهم ،والريح تكتب المحضر ،والحكيم يقدم نفسه على أنه "أديب ،وكاتب ،وروائي ،يختلق الحوادث ،ويبتدع الاشخاص".(٦)

---

١) المصدر نفسه ،ص١٤٤ .

٢) المصدر نفسه ،ص١٥٠ .

٣) المصدر نفسه ،ص١٥٣ .

٤) المصدر نفسه ،ص١٦٠ .

٥) المصدر نفسه ،ص١٦٧ .

٦) المصدر نفسه ،ص١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحضر الشهود ،شهريار الملك الذى يرى أن الحكيم قد جعله "ديوثا أدخل على شهرزاد فاجد عندها العبد ،فلا أقتله ولا أشرب من دمه ."(١) . أما قمر الوزير فناقم على الحكيم أنه جعله يقتل نفسه من أجل امرأة يخرج العبد من مخدعها . أما السياف فغاضب لأن الحكيم اتهمه ببيع سيفه . وأبو ميسور صاحب الخان يرفض تهمة تدخين القنّب ،وإن كان يعترف بشراء السيف . أما الساحر وزاهدة فهما من بقية الشهود . وقد تنازلت شهرزاد وعبدها عن حقهما الشخصي .

وفي فصل (الدفاع) لم يبق إلا تهم الملك والوزير ،ويقدم الحكيم دفاعا رائعا عن نفسه "فهذا هو هيكل لم ترفع عليه زينب قضية في المحكمة الشرعية ،وهذا العقاد لم يقاضه ابن الرومي أمام الحكمة المختلطة ،وهذا المازني ترك الاموات والاشباح وأخرج على مسرح كتاباته أهل بيته فلم يتذمر أحد منهم . . . فشهريار ووزيره : ملك جاهل سفاك ،ووزير تافه صعلوك."(٢)

ويقدم الحكيم آرا أخرى ،وترفض المحكمة التي أجلت نطق الحكم ضمان شهرزاد . فيكتب طه حسين فصلا آخر هو (غضب شهرزاد) ،فالرعد يكفل الحكيم ،وطه يحاور شهرزاد في الموت والنسيان ،والمحاكمة ،وعن نفسها أيضا . فهي لا تخضع لسلطان وتجهل الموت ،وطه أسيرها حتى يخلّي بينها وبين النسيان . ويتبع طه حسين هذا الفصل بآخر بعنوان : (حكم الزمان) ،فشهرزاد ترى أنها "الحرية كلها ،الحرية التي تشيع النشاط في العقول ،وتبعث الحرارة في العواطف والمشاعر والاهواء . . . أنا الحرية الخالصة التي لا تعرف حدا ،ولا تنتهي إلى غاية . . ."(٣) .

ويصدر حكم الزمان : "تقرر أن من حق الأديب أن ينشيء أشخاصه كما يريد هو لا كما يريدون هم ،بل إن من الحق على الاديب أن يتلقى أشخاصه كما يؤديه إليهم فنه ،لا يغير من صورهم التي تلقاهم عليها ،ولا يبدل . ولو حاول ذلك لما استطاع . . . وماينبغي لهذه الاشخاص نفسها أن تثور بمنشئها أو تهكر به ،أو تكيد له . أو تتألب عليه أو تبغي له سوءا ،وتستنزل عليه عقابا ."(٤)

---

١) المصدر نفسه ،ص١٧٣ .

٢) المصدر نفسه ،ص١٨١ ، ١٨٢ .

٣) المصدر نفسه ،ص٢٠٤ .

٤) المصدر نفسه ،ص٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرئ الحكيم على أن ينفى عن "سالا نش"، ويرسل إلى "سالز بورج"، حيث الفصل الموسيقي، ليجد من جمال الفن ما يدنيه خطوة أو خطوتين من الكمال. أما شهرزاد، فحكم عليها بالأرق المضني إلى آخر الصيف، حرصا على الحرية ورفقا بها من أن يخلى بينها وبين الطغيان.

وينتهي الكتاب، وطه حسين يقول على لسان شهرزاد "من يدرى؟ لعلك لم تخطئ ولعل ما في هذه القصة من سخف لا يلائم ما ألف الناس من سخف الحياة الجادة والهازلة، أن يسلي غيرهما من الناس عن أثقال الدهر وهموم الحياة. فما أظن أن الناس تعودوا عندكم أن يروا أديبين يعبثان بنفسهما وبالأدب... أذيعا هذا اللهو إن شئتما، فمن يدرى لعل اللغو خير ما في الحياة. وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح".(١)

من خلال هذا العرض لهذا العمل الفني أعتقد أنه من الصعب أن نطلق عليه صفة الرواية، فهو للكاتبين، وقد تميز أسلوب أحدهما بالميل إلى الحوار المسرحي، ولكل منهما نظرته الخاصة، وتصوراته لشخصية شهرزاد، وهما يتفقان في أن تكون هذه "الرسائل" المتبادلة بينهما صورة لمواقف كل منهما، من الابداع، وحرية الرأى والفكر.

ومن الصعوبة أيضا أن نأخذ ما كتبه طه حسين في هذا العمل وننظر اليه على أنه كل مستقل، فالرسائل المتبادلة بين الكاتبين يكمل بعضها بعضا.

المضمون حول حرية الفكر من خلال شخصية شهرزاد التي جعلاها تتمرد على الماضي، ويطلعون كتب التاريخ والاساطير تنطلق مصطافة في جبال الالب قريبة من الحكيم وطه حسين.

ونحن نربط بين القصور المسحور كعمل فني خلقه خيالان خصبان، وبين الحركة النقدية حول مسرحية الحكيم "شهرزاد" قبل ذلك بفترة وجيزة. وفي المضمون ثلاثة محاور:

الزمن والحرية، والحب، فهي عمل يكاد يكون قصة رمزية ولكنها ليست رمزا مجردا، فقد بثّا فيها حيوية جاءت من كاتبين لهما اسلوبان مميزان، فطه حسين صاحب هذا الاسلوب النثرى الرائع في الوصف، والسرد، والسخرية، والحكيم الساخر صاحب أسلوب الحوار المميز الدقيق.

---

١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا العمل فيه الى جانب الدفاع عن الحرية ،ربط بين موضوع فكرى عصرى ، وبين اسطورة ذات جوانب متعددة "فشهرزاد رمز لحرية الفكر ،والى قابليتها للايحاء القصصي المثالي الرمزى مع اتساع لوحة العرض لصور من النقد الاجتماعي، . . . وهذه القصة تمزج بين الحوادث المعاصرة في حياة الكاتب العلمية بالجامعة ، وتعالج مشكلة حرية الفكر في صورة رمزية قصصية يرمز لها العنوان "حديث القصر المسحور" . . . (١)

وإذا كانت هذه النظرة ترى في الكتاب رمزية مثالية ،فانني ارى فيها رمزية مباشرة ،فشهرزاد وسيلة لبث اراء وافكار عن الحرية ،وليس الحديث عن قضية الحرية مثاليا حتى لو جاء عن طريق رمز لشهرزاد ،وليست المباشرة هنا تطرفا في اخذ مشاهد الحياة أخذا مباشرا حرفيا .

ويلاحظ هنا أن شخصيات هذا العمل الفني كانت من نوعين : أسطورية مثلتها شخصيات مسرحية الحكيم التي اثارت على مبدعها ،وواقعية حقيقية مثلها الكاتبان الحكيم وطه حسين ، ويبرز هنا ما أدخل المؤلفان من رمز حي على شخصيات المسرحية ،وبالذات شخصية شهرزاد ،وقد يكون هذا العمل ممثلا حقا لخياليين خصبين تمكنا ــ وفي عمل واحد ــ من التعاون على خلق عمل من نوع جديد. أو كما يقول محمد فريد ابو حديد . . " ألفا مما كتابا ،أو قصة تحمل اسميهما ،فكانا فيما نعلم أول أديبين انتجا قصة واحدة بقلميهما مجتمعين ،وصورا صورة واحدة بريشتين مختلفتين ،ولكنها مع ذلك كانت تحفة فنية منسجمة لا يبصر فيها القارئ موضعا يظهر فيه نفور في الفكرة أو اضطرابفي التصوير بل يرى فيها قطعة فنية محكمة . . . فهي خيال منسجم واضح يعبر عن فكرة رائعة . . . تحدث طه في هذه القصة عن توفيق وصور بهالأديب صاحبه الأديب . . . والقصة ترمي إلى غاية . . . . فقد قصد بها طه أن تكون دفاعا عن صديقه توفيق الحكيم ،وانتصارا له ،واشادة بفضله في تأليف "شهرزاد" . . (٢)

---

١) محمود حامد شوكت: الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ،ص١٦٤ .

٢) محمد فريد ابو حديد : قضية شهرزاد في القصر المسحور ،الثقافة ،العدد ٢١٩ ، السنة الخامسة . ٩ آذار ١٩٤٣ ص٢٢ ، ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ أحلام شهـــــرزاد :

هذا هو العمل الثاني الذى يعتمد الرمز الأسطورى ،وهو عمل ذو طابـــــع خاص،فإذا كان القصر المسحور لقاء بين كاتبين كبيرين يحللان شخصية أسطوريـــة واحدة ،فإن أحلام شهرزاد عمل هام في تراث طه حسين ،ذلك أنه محاولة لاتخاذ الرمز محورا للحديث عن أبرز آرائه وأفكاره ،من خلال الاتجاه إلى وصف ليال جديدة من ليالي شهرزاد وشهريار في "ألف ليلة وليلة".

وهـو عمل هام من حيث الفترة الزمنيةالتي كتب فيها ، أى سنة١٩٤٣ ،حيـــن كانت الحرب العالمية الثانية تقترب بوهجها ودمارها من مصر.

وأحلام شهرزاد هي أول عمل صدر في سلسلة "اقرأ" ،وقد كتب المؤلف مقدمة لعمله هذا يمكن أن نعتبرها مقدمة لسلسلة "أقرأ" أكثر منها مقدمة لأحلام شهرزاد ، هذه المقدمة تحمل آراء مهمة لطه حسين ،فهو يرى أن الهدف من هذه السلسلـــة هو أنها "جهد من الجهود التي تبذل في سبيل نشر الثقافة ،وترقية الشعـــــب، وازالة الفروق بين الطبقات،وهي نتيجة طبيعية لهذا الطور الذى نحن فيه مـــن أطوار حياتنا".(١)

إن هذا الموقف يذكرنا بموقفه في دعاء الكروان ،حين أزال فروق طبقات المجتمع بالعلم والثقافة ،ونحن ــ مرة اخرى ــ لا نختلف معه على أهمية الثقافة ،بل نسجـــل له هذا الاحساس المبكر بالفوارق الطبقية ،ولعل هذه الدعوة تكمل أيضا ما بـــدأه في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" ،وتبرر قرارته بمجانية التعليم حين أصبح وزيـــرا للمعارف. فهو يربط بين مفاهيم ثلاثه هي : الحرية ،والتعليم ،والديموقراطيـــــة ، ديموقراطية الثقافة بشكل خاص. فهو يرى أن الثقافة في أول أمر الانسان كانـــت مقصورة على فئات محدودة ،ولكن ديموقراطية العصر الحديث أدت إلى شيـــــوع القراءة وانتشارها ،فالقراءة : "هي الطريقة الطبيعية الميسّرة لرقي العقل والطبـــع والخلق والذوق".(٢)

---

١) طه حسين : أحلام شهرزاد ،ص٩ .

٢) المصدر نفســه ،ص٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الاهمية بمكان أن نعرف أن فترة هذا الكتاب كانت الحرب الثانية وكانت مصر في "فترة عصيبة من تاريخ مصر، ومواقف مشحونة، ولحظات تاريخية مصيرية تقدم نفسها للروائي ليرصد تفاعلات التغير المأزوم يغمغم في الصدر ويهدر به الشعب، وأحاسيس الشعب وهو يفيق، ليقوده فكره إلى أسباب الشقاء والبؤس الجوهرية".(١)

لذا يمكن أن نعتبر هذه الظروف عاملا في الاتجاه إلى الرمز ليعبر المؤلف عن آرائه، وأن نسجل ملاحظة على أعماله الروائية وهي أنها تنحصر بين مطلع الثلاثينات ونهاية الأربعينات، أي في فترة عشرين عاما من حياته الأدبية الطويلة.

أملى طه حسين جزءا من "أحلام شهرزاد" في القدس، في سبتمبر سنة ١٩٤٢، وأتمه في الاسكندرية في يناير سنة ١٩٤٣، وكان آنذاك مديرا لجامعة الإسكندرية.

والكتاب ليال جديدة من "ألف ليلة وليلة"، وهذه الليالي الست بداية السلسلة التي أراد المؤلف أن يكون هدفها نشر الثقافة من حيث هي ثقافة، سلسلة "إقرأ".

ولا نجد مبررا معقولا يبين لنا لماذا بدأ المؤلف الحديث من الليلة التاسعة بعد الألف، متجاوزا ثماني ليال، ولماذا جعل عدد الليالي محصورا بست ليال، بين التاسعة حتى الرابعة عشرة بعد الألف، لا نجد مبررا لذلك سوى أن يجعل المؤلف شهريار في شوق إلى قصص شهرزاد، وهذه القصص التي توقفت عنها في هذه الليالي القليلة هذا التوقف الذي جعل شهريار يقول "أرقني الشوق إلى قصصك العذب الجميل . . ".(٢)

والمؤلف واضح في هذا التبرير وكان الواقع من شهريار أن نفسه لم تسأل عن قصص شهرزاد، منذ انتهى في الليلة الواحدة بعد الألف، وإنما كانت تتحرق شوقا اليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل . . . ".(٣)

---

١) سهير قلماوي: ذكرى طه حسين، ص٢٤ .

٢) أحلام شهرزاد، ص٢٢ .

٣) المصدر نفسه، ص٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الليالي الست تروى شهرزاد ، وهنا تتخذ الأحداث طابع الحلم من جانب شهرزاد ، لشهريار ، الذى يتسلل إلى غرفتها كل ليلة ، أحداث قصة جديدة : "وأغلق الملك من ورائه باب الغرفة في رفق شديد ، وسعى في هدوء أى هدوء ، إلى سرير الملكة يمشي على أطراف قدميه ، فلما بلغه نظر إلى الملكة نظرة طويلة ، فإذا هي مغرقة في نوم حلو ، واستمع إلى تنفسها فإذا هو منتظم هادئ ، وإذا الملكة لم تحس شيئا . . . ثم تراجع حتى انتهى إلى مجلس من مجالس الغرفة . . . فلما اطمأن به مجلسه أطرق كأنما ينتظر شيئا ولكن انتظاره لم يكن طويلا ، فهذا صوت شهرزاد يبلغ اذنيه فيملؤه رعبا وفرقا ، ويكاد يخرجه عن طوره . . وكان هذا الصوت الحلو يقول في نغمات موسيقية نفاذة إلى القلوب أخاذة للنفوس ، لم يعرفها الملك حين كانت شهرزاد تقص عليه أحاديثها مستيقظة . . "(١)

تبدأ الليلة الأولى ، التاسعة بعد الألف ، حين تشرع شهرزاد في رواية قصتها عن ملك من ملوك الجن هو "طهمان بن زهمان" وابنته الأميرة "فاتنة" ، التي تتعرض مملكتها لتهديد بالحرب من قبل ملوك الجن الآخرين الذين رفضت "فاتنة" الزواج من أى منهم . .

فنحن أمام "فاتنة" "الرمز" . . والذى أظنه ضمير العدالة التي يريدها المؤلف ، وأمام "ملوك الجان" ، ولعله أراد أن يرمز بهم إلى كل القوى التي تطمع في مصر آنذاك ، وهي تحاول التخلص منهم لأنها لا تريد أن تقيم علاقات تحت تهديد القوة .

إن خيال المؤلف الذى استمد من الأسطورة رمزا هو محاولة للوصول إلى طرح أفكاره وتصوراته ، وهذا هو شهريار سعيد بهذا القصص ، حريص على أن يكتم عن شهرزاد أنه يسمع أفكارها ، لا يقطع عليه سعادته هذه ، وصمته ذاك غير سؤال كبير حائر يظل يلاحقه فقد "عجز عن فهمها وكان ضيقا أشد الضيق بشهرزاد ، قد كل عن احتمال عشرتها ، فكان عليها ساخطا أشد السخط ، وكان محبا لها أشد الحب"(٢)

الضيق والسخط والحب هي الصورة التي كان عليها شهريار الذى كان طفلا ينام كل ليلة على حكاية ، لكن هذه الحكايات الجديدة في الليالي الست الجديدة مختلفة ، فهي تحتاج إلى قلب وعقل قادرين على فهم الأبعاد الانسانية الجديدة التي تطرحها شهرزاد .

---

١) المصدر نفسه ، ص ١٦ ، ١٦ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن شخصية شهريار تنمو في هذه القصة الى حد بعيد من خلال محاولة شهريار نفسه فهم شهرزاد . فقد تطور هو أو طورته حكايات شهرزاد من سفاح إلى طفل ينتظر حكاية ،وإلى انسان يعرف الحب والألم سعيدا رغم ضيقه بشهرزاد واجدا لذته في هذا الألم. فهو وشهرزاد طرفا نقيض،وضوحه الساذج وغموضها العميق . فهو يحدث نفسه " أنت مشوق الى أن تسمع منها وإلاّ قتلتها ،وهي مشوقه إلى أن تتحدث اليك وإلا قتلتك . فقد انتهت أحاديثها إليك في اليقظة ولتبدأن أحاديثها إليك في النوم"(١)

في الليلة العاشرة بعد الألف تتضح الأحداث المحيطة بفاتنة فهي تتمسك برأيها ،رغم أن أعداءها قد تعاهدوا على حربها وأسرها وإذلالها ،غير أنها كانت بسحرها تعرف أسرارهم . وهي تطمئن أباها الى قدرتها على أن تثيرهم للحرب، ثم توقفهم عند حدهم . ومن خلال حديث فاتنة وأبيها عن الحرب يبرز المؤلف آراءه في الحرب .فالذين يريدون حرب فاتنة ،بعضهم لا يريد من الحرب الاّ هي ،وبعضهم يريد التدمير ليخلص من قوة طالما فكر في أن يخلص منها .

وتزداد حيرة شهريار الذى بدأ يرغب في أن يعرف وأن يفهم .وهذا المشهد لشهريار يذكرنا بمحاولة الحكيم الذى جعل شهريار يرحل باحثا عن حكمة ومعرفة . ومن هنا تطور من شخص يسمع دون ان يفكر ،الى شخص يسمع ويفكر في كل شيء. ومن هنا يمكن أن نعتبر بطلي القصة هما : شهريارو فاتنة . فشهريار يحاول أن يعرف وفاتنة تحاول أن تنتصر ،أما شهرزاد فهي مستمرة في هذه الأحاديث كل ليلة إلى أمد معلوم. وشهريار حريص على أن يستمر في استماعه حتى لا يفقد هذه اللذة المختلسة ،فهو نشوان ثمل "صرفته الحياة عن الأحياء" ،وصرفته الطبيعة عن الناس والأشياء"(٢)

وفي لقاء لشهريار ،في حديقة قصره بشهرزاد ،تقول أو تطلق صرختها العميقة الصادقة "ألم يأن لنا بعد أن نهبط من السماء وأن ننزل إلى الأرض فنعيش فيها صميم الناس"(٣) . بينما هو في حيرة من أمره : "من أنت"؟ و"ماذا تريد بي"؟

---

١) المصدر نفسه ،ص٢٦ .

٢) المصدر نفسه ،ص٤٣ .

٣) المصدر نفسه ،ص٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو سؤاله ، أما جوابها فهـــو انها شهرزاد التي خافته وقصت عليـــه أعواما ، وهي ايضا أحبته وخافته، لكنها تضمه في الحيرة حين تقول إنها "أمـــه وأخته وابنته وخليلته".(١)

إن هذا الفهم لشخصية شهرزاد هو بلا شك فهم عصرى للمرأة التي تحـــاول أن تطور الرجل من خلال شهريار ، تراقبه وهو يمر بأطوار الطفل الصغير الـــذى يحار أمامها حيرته من المعرفة المطلقة تخفى عليه بعض الشيء .

وفي الليلة الثانية ، الحادية عشرة ، تصوير للصراع في مملكة فاتنة، وحيرة أبيهـــا ووزيرها ، فالملك ، أبوها ، يرى أن أهل مملكته يشفقون من الحرب "وهم يعلمـــون أن أهوال الحرب لن تبلغك ــ يقصد فاتنة ــ ولن تبلغني فإن لك ولي من ملكنا عصمة ووزرا ، ولكنها ستبلغهم هم ، ستعرض شبابهم للموت ، وستعرض أطفالهم لليتم ، وستعرض شيوخهم للبؤس والثكل ، وستعرّض نساءهم للتأيم والشقاء وستعرض اموالهـــم الفنـــاء".(٢)

هذا هو تصور طه حسين للحرب ، يدبرها الحكّام لتشقى بها الشعوب ، ذلـــك لأن الحاكم لا يعاني ، بل قد تكون معرفته للحرب محصورة بما قرأ في الكتب ، علـــى حد تعبير والد فاتنة ، الذى أسند اليه دور المعبر عن وجهة نظر الناس "مـــاذا يعني رعايانا البائسين مما نجد من الحب والبغض ، وما نحس من العشق والهيـــام؟ إنهم لا ينعمون حين ننعم ، ولا يبتئسون حين نبتئس ، ومن القسوة يا ابنتي أن ننعم وهم بائسون ، وأن نقوى وهم ضعفاء ، ونثرى وهم فقراء". (٣)

هذا الموقف ضد الحرب قناعة وصل اليها المؤلف ، فنعيم الدنيا لا يعـــدل قطرة دم تراق ، والحروب شهوات ملوك وسادة وزعماء ، "إن أثرة الملوك والسادة والزعماء هي التي تثير الحرب دائما ، وهي التي ترهق الشعوب دائما ، وأكاد اعتقد أن الشعوب إنما خلقت ليرهقها الملوك والزعماء بالحـــرب والسلم جميعا ، فليست الشعوب أعظم حظا من السعادة أثناء السلم منها أثناء الحرب".(٤)

---

١) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

٢) المصدر نفسه ، ص٥٧ ، ٥٨ .

٣) المصدر نفسه ، ص٦٠ .

٤) المصدر نفسه ، ص٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المضمون هنا يصل ذروة الوضوح ، وهو موقف يسجل للمؤلف في تاريخ مصر، حين تنبه إلى هذه العلاقة بين الشعب والحاكم في ظل أنظمة ظالمة ، منها ما كان في مصر ومنها ما هو من صيورات الحرب الثانية . وهو أيضا متنبه إلى قضية أكثر خطورة ، حين يعبر عن احتجاجه الشديد على مواقف الشعوب أحيانا من مصائرها وأوضاعها ، يقول على لسان فاتنة : "ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ولا تعنى بأمرها ولا تفكر في مصالحها ، وإنما ندعوها فتجيب ، ونأمرها فتطيع ، ونوجهها إلى حيث تشاء فتتجه الى حيث نشاء" . (١)

وهو متنبه إلى قضية الطبقية ، يراها مصطنعة لم تأت من الطبيعة ، وإنما جاءت من الحضارة . وحياة الملوك عنده حقوق وواجبات .

تنتهي تلك الليلة وشهريار مستسلم لشهرزاد الذى يفسرها على أنها "قصص دائم" (٢) . وهو تفسير من لم يعرف الحقيقة بعد . وتستمر شهرزاد في إصرارها على أن تعلّمه ، وأن تجعله يترك أحزانه الحمراء ولياليه البيضاء والسوداء ، ليعرف أمور الملك والرعية . تحاوره في ذلك ، وتقيم له حفلة غريبة ، تحاول من خلالها أن تجعله يعرف ، لكنه يظل في حيرته مبهورا ، لا يعرف شهرزاد ولا كنه قصصها . وفي هذا الجو الذى يصفه بأسلوبه الأخاذ ونزعته إلى الوصف والسرد ، يقدم صورا للطبيعة والغناء ، والبحر ، والزوارق ، صورا فيها اتجاه رومانسي حالم (٣)

وفي الليلة الثانية عشرة ، تسرد شهرزاد استعدادات ملوك الجن لحرب فاتنة التي ظلت هادئة ، حتى أنها لم تعقد مجلس حرب ، أما رعيتها فما أن تتناهى اليهم أنباء الحرب حتى تختلف مشاربهم بين من يصاب بالذعر ، إلى من يكنز الذهب والفضة ، إلى من يتربص بالدولة .

وأمام نذر هذه الحرب الخيالية في الريح ، والبحر ، والسحاب ، والجبال واللهيب ، واحاطتها بفاتنة ، تتمكن بسحرها أن توقف هذا الهجوم ، في مكان قريب ، وشعبها في حيرة من ذلك .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوقف شهرزاد حديثها ، وشهريار في حيرته بين عالم حلو يعيشه ، وعالم شهرزاد الغريب ، وهو معها عاشق حائر ، لكنها تكشف له أن الفتيات اللواتي يغنين له هن : " اللاتي لم ترسلهن إلى الموت لأن شهرزاد شغلتك عنهن بما قصت عليك من أنباء الماضي ، وبما تقص الان من أنباء المستقبل . "(١)

هذه صورة الفتيات اللواتي انقذتهن شهرزاد ، تقابلها صورة لفتيات باءسات يبلغ من بؤسهن أن يبكي شهريار حزنا عليهن . وهن : " اولئك الفتيات اللاتي أرسلتهن إلى الموت منذ ثورتك المنكرة بالنساء ".(٢) .

وهنا تسيطر شهرزاد على الموقف ، وعلى شهريار ، حتى تصل الى حد تأنيبه على ذنوبه وإثارة ندمه " . . . وتجرّع ما تستطيع أن تتجرع من ندم ، وأقم على ذلك عمرك كله وأعمارا تمد له طولا ، فلن تغسل قطرة من تلك الدماء التي سفكتها ، ولن ترض نفسا من هذه النفوس التي أزهقتها ".(٣)

وتكشف شهرزاد عن جوانب من نفسيتها ، فهي كما ترى ذاتها امرأة لا أكثر ولا أقل ، حدثته ألف ليلة وليلة لتنعم بحبه وتسهر بقربه .

وفي الليلة التالية حديث عن سحر فاتنة الذى أوقف الاعداء وهنا فلسفة وموقف ، إذ ليس المهم أن تثار الحرب ثم تخمد ، بل أن تمنع ، وإن كان لا بد من إثارتها ، فلا بد من أن تجنب الأبرياء أن تمسهم ، فالجيوش " وسيلة لا تقاء الحرب لا لابتغائها ".(٤) .

ويخضع أعداء فاتنة لإرادتها ، لكنها تأبى استقبال سفرائهم وتصر على حضورهم خاضعين .

ينتهي الحديث وشهريار بين الحلم واليقظة ، يقوم بعملية تقييم لماضيه ، يذكر شهرزاد وأباها وكيف شغلته عن نفسه وملكه ، وحين انتهت قصصها عادت اليه خواطره الحمراء ولولا أن شهرزاد عادت لتحدثه نائمة ، بعد أن كانت تحدثه يقظة .

---

١) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يخلط نومه بيقظته ، لا يدري أعاقل هو أم مجنون ؟ حالم أم عالـــــم؟ ، وشهرزاد تريد له أن يستيقظ ، بل أن يستيقظ ضميره : " أفق يا مولاي من نومك إن كنت نائما ، ومن يقظتك إن كنت مستيقظا، فلست في عالم الليل والنهار، ولست في عالم النوم واليقظة ، ولست في عالم العلم والعلم ، وانما أنت في عالم يختلـط فيه هذا كله".(١)

ويفيق من حلمه متراجعا نحو الواقع ، وشهرزاد تدرك " أن القصر فرجة من حياة الناس تطل على عالم المثل العليا ، يخرج منها الناس ليعودوا اليها".(٢)

وفي الليلة الأخيرة (الرابعة عشر بعد الألف) تقص شهرزاد حوارفاتنة وأبيها الملك طهمان بن زهمان ملك الجن في حضرموت ، وهما يتحاوران حـول السلم مع ملوك الجن الذين تصر فاتنة على خضوعهم ، لأنهم أثاروا حربا لمصلحتهم الخاصة . فهم في نظرها " ليسوا ملوكا ولا أشباه ملوك، وإنما هم طغاة ظالمون".(٣) ويفضل فاتنة أعيدت حقوق شعوب الجن وحرياتها المسلوبة . فأرخ الجن بهـذا الحدث وتنزلوا للناس بين حين وحين بشيء مما عندهم ، لكن الناس يفهمون ذلك حينا ولا يفهمون أحيانا أخرى كثيرة . ولعل عقول الناس ترتقي لفهم كل ذلك . وتصمت شهرزاد ويعكف شهريار على نفسه، حتى تقبل عليه لتقول له في صوت حـازم باسم معا:" لشد ما هانت عليك أمور الملك يا مولاي ، ها أنت ذا تخلو إلى نفسـك في زاوية من زوايا غرفـــــــــك...؟ ، ألم يخطر لـــك أن للشعب حقوقا يجب أن تؤدى اليه؟ وأن أوقات الملوك ليست خالصة لهم من دون الرعية؟ ".(٤)

ويفيق شهريار على هذا الصوت كأنه يسمع صوت فاتنة . إن فاتنة هـــي الحكمة وضمير العدالة وشهرزاد الجديدة . إنهما شخصيتان أسطوريتان تنبـــع الثانية من الأولى ، وكلتاهما من ضمير الناس واليه .

---

١) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .

٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم يتبين لنا أن المؤلف صاحب فكرة واضحة في الحرب والسياسة ، أسقطها على شخصيات هذا الكتاب ، وقدم تفسيرا جديدا لهذه الشخصيات الأسطورية ، مجددا في فهمه لها ، وهو متأثر في هذا الاهتمام بشهرزاد بقراءاته في التراث ، وكان قد أشرف بعد ذلك على رسالة تلميذته سهير القلماوى عن " ألف ليلة وليلة" اشرافا غير مباشر في عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ (١) . وترجم بعد ذلك قصة " زاديج " لفولتير ، وأبدى اعجابه الشديد بها ، مشيرا الى أن فولتير قد " قرأ ترجمة ألف ليلة وليلة ، فشاقته وراقته ووجهته الى دراسة أمور الشرق ، ففرق في هذه الدراسة إلى أذنيه . وأخرج للناس قصصا شرقية بارعة كثيرة".(٢) .

إن هذا الكتاب يمثل وجهة نظر طه حسين في العدل الاجتماعي وذلك من خلال حوار شخصياته الأسطورية ، ففيه الكثير من الأحاديث عن مشاكل الساعة التي كان يعيشها وطن الكاتب في ظروف الحرب الثانية الصعبة .

هذا العمل قصة أسطورية بمعنى الاطار الذى استمد مواده من القديم ، وهو " قصة أسطورية ذات بداية ووسط ونهاية ، ومجال يتسع للخوارق والرمز".(٣) لقد نقل شخصيتي شهريار وشهرزاد الى إطار فيه المعاصرة وهذه الأفكار التي أسقطها عليهما ، وجعلهما يحملان عنه عبء أفكاره التي يريد نشرها في الناس ، وهي آراء قومية وذات طابع انساني في قضايا الحرب أو السلام ، والاجتماع ، والسياسة ، وتصوره للحلول من خلال علاقة الحاكم بالمحكوم وحقوق كل فريق وواجباته .

وقد برزت في هذا العمل خصائص الكاتب الأسلوبية ، وبخاصة في مجال الوصف وانطاق الشخصيات بلغة متميزة هي لغة الكاتب نفسه . مستفيدا من ميزة اللغة في عرض تصوراته الفكرية لهذه القضايا الهامة التي طرحها . ولو كانت شخصياته وقضاياه أقل تجريدا وأكثر التصاقا بواقع الناس اليومي وقضاياهم الملحة ، لكان من الممكن تصنيف هذا العمل ذى الطابع الأسطورى الرمزى بين اعماله

---

١) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، ص ١٦ ، ١٧ .

٢) فولتير : زاديج أو القدر ، ترجمة طه حسين ، ص ٨

٣) محمود حامد شوكت : الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذات الاتجاه الواقعي -

وتأثر أحلام شهرزاد " بألف ليلة وليلة لا ينفي نسبتها الى فن القصة ، مع اعتزافنا بأنها مقدمة بطريقة تختلف عن السرد المادى والحبكة المألوفة ، ففيها مزج بين الأسطورة والواقع ، والحلم والحقيقة ، وتحريك الشخوص التاريخية من جمود هـا : وقد اهتمت سهير قلماوى بأسلوبه في أحلام شهرزاد وبالذات في الوصف ، واستعانته بالقرآن والشعر وثقافته الفرنسية ، ونقاء وصفه لمناظر الحب ، هذا الوصف الذى قد يكون فيه شيء من حياته مع زوجته.(١) .

---

١) انظر سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، ص ٤٣ - ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ــ بين القصة والقصة التاريخية :

أ ــ على هامش السيـــــرة :

قدلاتستطيع دراسة جزئية كهذه ،أن تحدد ما إذا كان لطه حسين رأى فـــي التراث أم نظرية . ونحن نعلم أنه صاحب مساهمات عديدة في التراث،وهي مساهمات شجاعة تنمّ عن إيمان بالتراث عميق ،ونظرة فاحصة واعية . ولعل دراساته للعصـــور الجاهلي أو الإسلامي ،والعباسي في حديث الأربعاء والإسلاميات،والمعرّى ،وفـــي الشعر الجاهلي ،وفي المتنبي ،تشكل تصورات عامة لمواقفه من عدد من القضايا ،خاصة وهو من أوائل الذين رفضوا القديم لقدمه فقط .فقد كان يحفظ التوازن بين القديم والجديد .ما دام يتميز بالمعاصرة ،وإن مال في الشعر الجاهلي إلى شيء مـــن الحدة في التحليل لا نستطيع أن نقطع فيه الآن بـــرأى .

ودراساته الإسلامية جاءت لتبين أن طه حسين حريص على أن ينتمي إلى هذا التراث . ولكنه لم يكن منظّرا له مع أنه قدّم في الدراسات الإسلامية ما يلي :

١) على هامش السيرة : الجـــزء الأول ،سنة ١٩٣٣ .
الجـــزء الثاني ،سنة ١٩٤٢ .
الجـــزء الثالث ،سنة ١٩٤٣ .

٢) الفتنـــة الكبـــرى : عثمـــــان ،سنة ١٩٤٧ .
علي وبنـــوه ،سنة ١٩٥٣ .

٣) الوعـــد الحـــق : سنـــة ١٩٥٠ .

٤) مـــرآة الإســـلام : سنـــة ١٩٥٩ .

٥) الشيخـــــــان : سنـــة ١٩٦٠ .

وفي حديثنا عن فن القصة عند طه حسين ،ندرس "على هامش السيرة" ،و"الوعد الحق" ،لأننا نرى المؤلفات الثلاثة الأخرى كتابات ذات طابع تاريخي محض ،وإن كانت [illegible] في تيار للبحث في السيرة النبوية بدأها صلتها وتتلمذ بها حتى نهاية عصر الراشديـــــن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مقدمة "على هامش السيرة"، الجزء الأول، نجد تصوّر المؤلف لعمله هذا، ونقف عند هذه المقدمة لأهميتها البالغة في إلقاء أضواء على هذا العمل، قبل أن نتعرض بالحديث عن شخصياته وأحداثه.

يقدم طه حسين هذه الصفحات على أنها "صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين، لأني لم أوجه بها الى العلم، ولم أقصد بها الى التاريخ، وإنما هي صور عرضت لي أثناء قراءتي للسيرة فأثبتها مسرعا . . ." (١)

فهو يحدد أنه لا يكتب تاريخا أو بحثا علميا، ولعل في كلمة "صور" دلالة واضحة على أنه يقدم لوحات انسانية ذات طابع خاص.

وهو في المقدمة أيضا، يقدم تصوّره للأدب الحي القادر على البقاء، فهو: "الذي يلذك حين تقرأه لأنه يقدم إليك ما يرضي عقلك وشعورك، ولأنه يوحي اليك ما ليس فيه، ويلهمك ما لم تشتمل عليه النصوص" . . . (٢)

ويضرب مثلا لهذا الأدب الحي الخالد بالالياذة، التي كتبت إحدى أساطيرها ثمانية وثلاثين مرّة منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

وبهذا يفسر موقف العقاد بأن طه حسين أراد كتابة إلياذة نثرية عربية، فأدبنا العربي في رأى طه حسين، فيه ما يوحي ويلهم الكتاب من أحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم، كذلك ألهمت السيرة الكتاب والشعراء في أكثر العصور الاسلامية، كذلك الغزوات والفتوحات والمحن، فقد كانت ملهمة للكتاب وأنه: "لا خير في حياة القدماء إذا لم تلهم المحدثين ولم توح اليهم رائع البيان شعرا ونثرا . ." (٣)

فهو في كتابه يقصد هذا اللون من التأثر، وهذا النحو من التأليف، أي أنه يتأثر بقراءته فيثبت هذه الصور الرائعة لمواقف وأشخاص. فهذا الكتاب كما يراه: "لم أفكر فيه تفكيرا، ولا قدّرته تقديرا، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون، إنما دفعت إلي ذلك دفعا وأكرهت عليه إكراها. رأيتني أقرأ السيرة

---

١) طه حسين: على هامش السيرة، الجزء الاول، ص هـ.

٢) المصدر نفسه، ١/ك.

٣) المصدر نفسه، ١/ح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتمتلئ بها نفسي ويفيض بها قلبي وينطلق بها لساني ، وإذا أنا أملي هذه الفصول . . . فالكتاب صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما أجد من الشعور حين أقرأ هذه الكتب . . فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب إلى الشباب قراءة كتب السيرة خاصة أو كتب الأدب العربي القديم عامة ، والتماس المتاع الفني في صحفها الخصبة ، فأنا سعيد حقا . . . وإذا استطاع هذا الكتاب أن يلقي في نفوس الشباب حب الحياة العربية الأولى ، ويلفتهم إلى أن في سذاجتها ويسرها جمالا . . . ليس أقل روعة ولا جمالا من هذا الجمال الذى يجدونه في الحياة الحديثة المعقدة ، فأنا سعيد موفق لبعض ما أريد "(١)

فالكتاب إذن ، يقوم على هذا التأثر بصور الحياة العربية الأولى البسيطة الساذجة ، وعلى تقديم هذه الصور بطريقة انشائية فنية تستند إلى الخيال وروعة الاسلوب ، أكثر من استنادها إلى حقائق التاريخ ومنطق البحث العلمي الرصين ، ويتوجه بها المؤلف إلى الشباب ، في محاولة لردّهم إلى بساطة المرحلة الاولى في حياة قومهم القدماء ، فلعلهم ـ أى الشباب ـ يتوجهون إلى كتبنا القديمة ليبحثوا فيها عن مظاهر هذه الحياة وجمالها .

فالكتاب هادف ، والمؤلف يعرف ما يريد منه ، فهو متوجه نحو الأساطير بوعي ، فقد يفسر هذا بأنه غير خاضع للعقل وحكمه ، غير أن للناس ـ في رأيه ـ ملكات أخرى هي قلوبهم ، وشعورهم ، وعواطفهم ، وخيالهم . وهي تميل إلى السذاجة ، وهناك فرق كبير "بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرّها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ، ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير صارفة عن بواعث الشر"(٢)

هذه هي دوافعه وأهدافه في تأليف كتابه ، أما منهجه فيوجزه بقوله : " إني وسمت على نفسي في القصص ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا ، إلاّ حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي أو بنحو من أنحاء الدين "(٣)

---

١) المصدر نفسه ، ١/ى .

٢) المصدر نفسه ، ١/ك .

٣) المصدر نفسه ، ١/ك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يكتب حراً إلاّ من قيد . . ، ويكتب قصصا .

وبهذا تسقط إحدى مبررات اعتبار العمل "إلياذة نثرية عربية" . ومصادره "قليلة جدا لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى . وليس في هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث إلاّ وهو يدور حول خبر من الأخبار ورد في كتاب من هذه الكتب ، فإذا اتصل الخبر بشخص النبي فإني أردّه إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع اليه" (١)

وهذا التحديد الواضح لارتكازه على خبر أو نبأ ، هو العلاقة بين التاريخ وهذا العمل ، باعتبار هذه الأنباء والأخبار هي بدايات وأصول هذا العمل . ولكننا حين نبحث عنها في العمل كلّه ، نجدها جزءا ضئيلا ، تجاوزه خيال الكاتب بمراحل ، حين منح نفسه الحرية في إدارة الموضوع كيف يشاء ، جاعلا أدبنا الحديث من حيث أساطيره ، وأخباره ، في مستوى آداب الأمم الأخرى . لكنه يأخذها هنا لهدف ، دعوة للخير ، وصرف عن الشر ، وترغيب للشباب في التراث ، من خلال تحويل هذه الأخبار القصيرة إلى تأملات انسانية عميقة ، يحكمها الخيال ، وتتأثر بها العاطفة والقلب والشعور .

فماذا في هذه الأجزاء الثلاثة . . .

فيما يلي محاولة لإلقاء الضوء عليها ، وتقديم خطوطها العامة وشخصياتها الرئيسة للقارئ ، في محاولة للتعامل مع النص من الداخل ، والبحث عن الروابط التي تجمع بين لوحات هذه الأجزاء الثلاثة والوعد الحق ايضا .

في الجزء الأول من "على هامش السيرة" أربعة عشر فصلا بعناوين مختلفة ، وفي الجزء الثاني خمسة فصول ، وفي الثالث أحد عشر فصلا .

---

(١) المصدر نفسه ، ١/ك ، ويلاحظ أنه في الجزء الأول أشار إلى مصادره في الصفحات : ٢٩ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، فقد أشار إلى : طبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى ، والإصابة . وفي الجزء الثاني أشار إلى طبقات ابن سعد ص(١٧٨) . وفي الجزء الثالث أشار إلى سيرة ابن هشام (ص٥٠) ، وإلى طبقات ابن سعد في الصفحات: ٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأجزاء الثلاثة مقسمة إلى ثلاثين فصلا ، ولا يعني "الفصل" هنا سوى أنه مميز عام ، ولا يعني أيضا أنها فصول تاريخية أو دراسة أكاديمية ، فهي علامات تدلّ ، من خلال عناوينها ، على أبرز ما في هذا الفصل ، فاللوحات الثلاثون مترابطة من حيث التسلسل التاريخي ، ومن حيث الربط الخفّي بينها ، وتمتد على مساحة من الزمان والمكان واسعة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، تتحدث عن إرهاصات البعثة النبوية وما رافقها من أحداث .

قد يبدو لقارئ هذه الفصول ـ الملم بتاريخ هذه الفترة ـ أنها سرد تاريخي فيه شيء من الخيال ، غير أن النظر اليها مجتمعة ، دون الحكم المسبق ، يجعلنا نكتشف فيها هذه الروح الملحمية البسيطة لقصة بداية حضارة إنسانية واسعة التأثير في العالم ، وهي مع "الوعد الحق" تصور اللمحات الانسانية المشعة في هذه الحضارة ، وفي شخصية النبي وصحبه الذين كانوا معه في البداية الصعبة لنشر الدين ، وهي للدارس أيضا صورة من فكر مؤلفها . فهو ليس دخيلا على الثقافة الاسلامية ، بل لعله من أكثر الدارسين وعيا لها ، لكنه هنا يحطّم الأشكال التقليدية الموروثة في التعامل مع السيرة ، الأشكال التي حاربها في الأزهر ، لأنها تجعل السيرة وتاريخها أشكالا جامدة في بطون الكتب لا يستطيع عامة الناس التعامل معها .

فهذه الجوانب الانسانية المضيئة كانت تحتاج إلى هذه الطريقة في العرض ولعل أسلوب طه حسين كان الأفضل في عرضها . ولا أعتقد أنها كانت تراجعا عن ثورته المقلية في الشعر الجاهلي ، فقد وضح هو هدفه من الكتابة ، فلو كانت "على هامش السيرة" تراجعا ورغبة في إرضاء العامة ، فكيف إذن تفسر كتاباته الإسلامية بعد ذلك بفترة "الفتنة الكبرى" ، "الشيخان" ، مرآة الاسلام" ؟

إن مزج الخيال الخلاّق بالواقع التاريخي ، هو في مصلحة العمل الفني أكثر منه في مصلحة التاريخ ، وليس استيحاء التاريخ عملا في الآداب العالمية جديدا ، ابتدعه هذا الدارس أو ذاك ، بل هو صورة لتعامل الفنانين مع التاريخ الذي يحكي قصة الإنسان وصراعه في سبيل الحياة .

الجزء الأول :

في هذا الجزء تصوير بارع لحالة العرب في الجزيرة قبل مجيء النبي ، وتأكيد للإرهاصات التي تدل عن حاجة إنسانية عميقة الأبعاد لمصلح يأتي ، إنه هنا سيأتي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"بطلا ونبيا". ورهبان النصارى ،وأحبار اليهود ،والمفكرون الذين يشغلهم الإصلاح ، كلهم يحسّون بأنه قادم .

وفي هذا الجزء أربعة عشر فصلا تسبقها مقدمة .

الفصول الخمسة الأولى وحدة فنية متكاملة وهي تحمل عناوين .

"حفر زمزم"،"التحكيم" ،"الفداء" ،"الإغراء"،"البين".

وهي تصور حالة مكة بزعامة عبد المطلب الذى يؤمر بحفر زمزم ،والتحكيم الذى تم في الثروة التي وجدها أثناء حفره البئر ،ونذره بذبح أحد أبنائه العشرة ،وهو عبد الله الذى نجا من أن يكون النذر المطلوب ،وتزوج آمنة بنت وهب،ثم رحل عنها ومات في طريق العودة .

وتبرز من خلال التفصيلات شخصيات رئيسة تحرك الأحداث ،مع أنها مسيرة للقوى الخفية الغامضة ،شخصيات عبد المطلب وزوجته سمراء ،وفاطمة المخشبية أم عبد الله والد النبي . وتبرز فيها وثنية مكة أو مكة الوثنية .

فعبد المطلب يحار أمام صوت الهاتف يأمره أن يحفر طيبة ،أو زمزم ،أو المضنونة ، أو برّة . . . (١) ومن خلال هذا الوصف ذى الطابع الإنساني العاطفي ،تتعرف على عادات أهل مكة ،وزعمائهم ،ديانتهم ،وسكان البادية حول مكة ،وهم ضعاف الإيمان بدين أهل مكة "لله أنتم يا معشر قريش،إنكم لتكبرون من هذا البناء المنصوب ما لا نكبر نحن في البادية،ولولا حاجتنا ومنافعنا لما هبطنا بطاحكم حاجين ولا معتمرين".(٢)

وقد وصل المؤلف ذروة التشويق حين مدّ بين القارئ والخيال خيوطا كثيرة،فبحث عبد المطلب عن ماء زمزم تحليل للأبعاد النفسية للموقف،ولحالة عبد المطلب المتدين تدينا غير واضح ،ومكة حوله تملأها الجوارى من كل جنسية وينتشر فيها الغنى إلى جانب الفقر .

---

١) على هامش السيرة ، ١/ ٢-٤ .

٢) المصدر نفسه ، ١/ ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلنا نكتفي بالوقوف السريع عند هذه الفصول ، مؤكدين ضمونة محاولة تلخيصها.

وتأتي بعد "حفر زمزم" و"التحكيم" فصول ثلاثة :

ففي فصل "الفداء" أكثر الصور روعة ، وفيه تحليل للموقف الانساني الذى تواجهه زوجات عبد المطلب: سمراء ، ونتيلة ، وهالة ، وفاطمة حين قرر أن يقدم أحد ابنائه قربانا وفاء لنذره ، لكن القدح خرج بالتالي على الإبل فسلم عبد الله الذى نجده في الفصل التالي ، وهو فصل "الاغراء" ، شخصية ذات أبعاد إنسانية عادية ، قريبا إلى قلب أبيه الشيخ ، تحاول فاطمة الخثعمية أن تغريه بالزواج منها . فهو ذو شباب غض ، وله من الصفات ما ليس لغيره ، وتظل تحبه حتى بعد زواجه من آمنة ، لكنه يتجاوز هذه المرحلة ، مع أن المؤلف يقدمه بصورة قريبة من صورة العاشق (١)

والفصل التالي استمرار في الحديث عن عبد الله ، الذى يرحل إلى الشام في تجارة ، وزوجه آمنة حامل بالنبي الكريم . وهذا الفصل الذى يحمل عنوان "البين" ، فيه أيضا كثير من الصور الجميلة ، خاصة هذه المقدمات حول آمنة والرؤى التي كانت تطيف بها ، وحملها الهين اليسير ، ورحلة عبد الله التي كانت كحياته "نذر وفداء" ورحلة ومرض وموت في يثرب. إن للقدر في هذا الفتى من قريش لسرا". (٢)

هكذا تنتهي الفصول الخمسة ، وهي ذات ترابط محكم ، تروى قصة تكاد تكون مستقلة لتسلسلها وأشخاصها ، ابتداء بأحلام عبد المطلب وانتهاء بوفاة عبد الله .

الفصول التالية "القضاء" ، و"الردة" ، و"الطاغية" ، وصف لليهودية وحميرفي بلاد اليمن ، والجزيرة قبل الإسلام ، حيث ينقلنا المؤلف إلى تبّع وابنيه : حسان وعمرو ، ويصف انتشار اليهودية عن طريق حبرين يهوديين رافقا تبّعا عند مروره بيثرب ، واصفا غزو تبع للعالم وانتصاره ، ثم عودته إلى يثرب ليجد أوسها وخزرجها قد ثارتا بابنه ، لكنه لا يقاتل المدينة بناء على نصيحة شيخين يهوديين أقنعاه بدينهما . ثم يمر بمكة عائدا إلى حمير حيث يرفض قومه تهوده ، ثم يؤمنون معه . ثم وفاته ومجيء ابنه حسان الذى حارب لنشر اليهودية ، وثورة أخيه عمرو عليه ، وارتداده عن اليهودية ، ثم مصرعه ، وتفرق أمر حمير ليحكم اليمن ذو الشناتر ، الذى يحاول قتل ابن ابنته (زوجة عمرو) لكنه لا يلبث أن يقتل على يد زرعة ، الذى تسمى بذى نواس ، وأعاد اليهودية إلى اليمن .

---

١) المصدر نفسه ، ١/ ٤٨ .

٢) المصدر نفسه ، ١/ ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الفصول السابقة ،وهي ثلاثة ،يمكن أن تؤخذ على أنها وصف لحال اليهودية في اليمن ،من خلال هذا الحديث المليء بالشخصيات المتناقضة ،والأحداث الكثيرة ، والذى نجد فيه نبوءات يهودية بأن نبيا سيظهر "سيهبط به الوحي في آخر الزمان على رجل بمكة من قريش" .(١)

أما الفصلان التاليان ،وهما بعنوان "البشير" ،و"راهب الاسكندرية" ،فهما وصف لحال الديانة المسيحية في الامبراطورية الرومانية ،وربط دقيق بينها وبين الوثنية واليهودية في منطقة اليمن ،والجزيرة ،ووصول المسيحية إلى نجران .ومن الطلفت للنظر أن فصل "البشير" تصوير رائع لأسلوب طه حسين ،من خلال حديثه عن الفتى المترف "كيمون" الذى عاصر أياما اضطهده فيها النصارى (٢) ،والذى كان يحلم ايضا بنبي جديد .

أما فصل "راهب الاسكندرية" ،فهو وصف لاحتلال الحبشة لليمن انتقاما لنصارى نجران الذين قتلهم ذو نواس. هذا الاحتلال الذى دعمته روما المسيحية .

في هذا الفصل ،والذى سبقه ،أسلوب قصصي واضح يرتكز على الخيال أكثر من الحقائق التاريخية ،وخاصة ،في هذا الوصف المأساوى لحياة اثنين من سادة مدينة يونانية هما : "كيمون" و "نكياس" ،انتهى الأمر بالأول إلى رحيله عن وطنه .نحو دير في الصحراء ،أصبح فيه راهبا ذا كرامات،حتى بيع في الصحراء العربية أسيرا . فوصل نجران ليحولها إلى مسيحية ،وتنتهي بهم ــ أى أهل نجران ــ هذه الديانة الجديدة إلى غضب ذى نواس.

وهكذا مهد لاحتلال اليمن من قبل الأحباش،بغزو ديني سياسي وكانت نهاية كيمون مع الذين أحرقوا .

وفصل " راهب الإسكندرية" وصف لاحتلال اليمن . في حكاية يقدمها راهب في الاسكندرية ،يروى قصته مع صاحبين له ،ويرتبط هذا الفصل بسابقه بشكل محكم ، حين نجد علاقة بين هذه الشخصية ،وشخصية كيمون القديس اليوناني ،الذى حمل إلى العرب دين المسيح .

---

١) المصدر نفسه ، ١/ ٨١ .

٢) المصدر نفسه ، ١/ ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الفصل وصف لجيش الأحباش بقائديه رياط وأبرهـــة، حيث قتل الثانـــي الأول . وهنا نجد المؤلف يأخذ من السيرة بعض ما تحدثت به عن هذا الموضـــوع بشكل واضح ، حين يصف قصة احتلال الأحباش لليمن ومحاولة احتلال الكعبة ، لنجد هذا الربط البارع بالعودة إلى شخصية عبد المطلب في الفصل الأول من هذا الجزء ليواجه جيش أبرهـــة .

من هنا يجب أن نخدع بالعناوين ، فنحن أمام رواية مهما ابتعد عن شخصياتها من فصل إلى آخر ، فانه يعود للربط بينها حيث يعود في الفصول الأخيرة وهي: "اليتيم" و"الحاضنة" ، "المراضع" و "البـــر" ، يعود ليتحدث عن قصة حياة النبي ، فقد ابتعد عنها في نهاية الفصل الخامس وهو فصل "الرحيل" . وفي هذه الفصول قصص ديني فيه شيء من قصة المولد النبوي الشعبية ، فالناس يتسامعون بأنه في ليلة ميلاد محمد ، "ايـوان كسرى قد اضطرب ومادت به الأرض وتهدم بنيانه . . . وإنّا لنتسامع بأن نار الفرس قـد خبت لأول مرة من ألف سنة" (١) ثم يتحدث عن حاضنة حبشية أمة ورثها محمد عن أبيه الراحل ، تحبه ، وترافقه ، وتحضر رحيله مع حليمة السعدية ، وتشهد وفاة أمه . ثـــم ترعاه صبيا وشابا ، وحين يبعث يعتقها فترحل معه إلى يثرب فهي له "بقية أهـــل بيته" (٢) .

هذه الشخصية هي "أم أيمن" التي تزوج منها مولاه زيد ، ومات ابنها أيمن شهيدا في حنين ، وماتت هي في خلافة عثمان .

ثم يقدم لوحة إنسانية رائعة لحليمة السعدية التي قدمت مكة فقيرة معدمة تبحث عن طفل ترضعه ، وحين صدت المراضع عن محمد ليتمه أخذته معها ، ففاضت عليهـــا بركاته . ويروى هنا أيضا أخبارا دينية عن طفولة النبي ذات طابع أسطوري . (٣)

أما "البـــر" فهو جدّه عبد المطلب ، وهنا ربط بالبداية أيضا فعبد المطلـــب الذي ظهر قويا يحفر زمزم ، وقويا في وجه أبرهة نراه مريضا متعبا يستعيد الذكريـات التي مرت به

---

١) المصدر نفســه ، ١/ ١٥٧ .

٢) المصدر نفســه ، ١/ ١٦٤ .

٣) المصدر نفســه ، ١/ ١٧٣-١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقلنا المؤلف بسرعة لأن الأحداث التاريخية هنا معروفة . فيصور مرضعة النبي الثانية "ثويبة" ،أمة أبي لهب التي ارضعته أياما فظل وفيّا لها ،كما هو وفاؤه لجده ،وعمه ،وحاضنته، ومرضعته .ولعله ــ أى المؤلف ــ يبلغ ذروة التأثير في هذه الصفحات الثلاث الأخيرة من هذا الجزء ،حين ينقل عن ابن سعد وصفا لمرور النبي بقبر أمه في صلح الحديبية،وقد اختلف الناس في أمر القبر الثاني ،فقد مرّ بقبر حين فتح مكة فلم يؤذن له بالاستغفار لصاحبه ،وقال المؤرخون لعله قبر جدّه .

إن هذه الفصول قصة ذات طابع ملحمي فيها تاريخ وأسطورة وخيال ،وهي لوحات فنية مزخرفة بالعاطفة والأسلوب والشخصيات الانسانية البسيطة المسالمة الباحثة عن الحقيقة مثل شخصيات آمنة وكيمون وفاطمة وسمراء وعبد المطلب وأم أيمن وحليمة ، وفيها ايضا شخصيات قاسية مثل ذو الشناتر وأبرهة وذو نواس.

إنها ــ أى هذه الفصول ــ صراع الخير والشر ،والحق والباطل ،والحرب والسلام وانتظار الناس لحلم جديد .

في الجزء الثاني من "على هامش السيرة" ،يكمل طه حسين رسم لوحة الواقع الذى كان موجودا قبل مجيء النبي حين يقدم تحليلا للفلسفات الموجودة آنذاك ، فلسفات افلاطون ،وأبيقور ،والسفسطائية ،واللاأدرية ،إلى جانب الحيرة الدينية التي صورها من خلال صراع المسيحية واليهودية والوثنية .

ففي هذا الجزء فصول خمسة الأول منها هو "الفيلسوف الحائر" ،الذى يشكل قصة طويلة في مئة وثلاثين صفحة ،مع ملاحظة أنها ،مع كونها وحدة فنية ،فإنها بالتالي تتمة للجزء الأول .

أما الفصول الأخرى فهي "راعي الغنم" و "حديث باخوم" ،و"صاحب الحان" ،و"نادى الشياطين" .

الفيلسوف الحائر يوناني يدعى "كلكراتيس" ،كان يعيش في إحدى مدن الروم تاجرا منعما مع صديقيه "اندروكليس" وحاكم المدينة . وهو وثني في السر ،مسيحي بالجهر ،هارب من ظلم قيصر وسوء فهمه للمسيحية ،ومن سيطرة العقل الفلسفي ومن الوثنية ذاتها . هذه الحيرة كانت حيرة الناس آنذاك بين هذه المحن التي يعيشونها إذ أن كل طرف مسيحي أو وثني كان يحارب الآخر . ونرى الصديقين يقدمان الطاعة إلى إله الخمر سرا ،وإلى قيصر جهرا فهما بين " إله الليل ديونوزوس، وإله النهار قيصر".(١)

---

١) طه حسين .على هامش السيرة ،الجزء الثاني ،ص١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرض المؤلف من خلال هذا الصراع للديانات الوثنية والافكار الفلسفية، وكيف كان الدين وسيلة لا غاية. ويصل الصراع في نفس هذا الفيلسوف بأن يهجر ملك قيصر كلّه، باحثا عن بلد لا يملكه شخص معين أو عقيدة واحدة "لأني لا أريد أن أخرج من رق قيصر لأدخل في رق كسرى وما أريد أن أمرق من دين المسيح لأكره على دين المجوس، إنما أريد أن أهاجر إلى أرض لا سلطان فيها، وليس لاحد عليها ملك... إلى أرض لا أكون فيها رعية ولا سوقا وإنما أكون ملكا".(١)

هذه شخصية انسان حائر غريب غير منتم. ولعلّها في تصوري من أقرب الشخصيات الانسانية إلى عصرنا هذا.

يرحل هذا الفيلسوف ليلتقي بصديق له راهب عائد من بلاد العرب. ومما يجبره على الرحيل أن قيصر قد أمر الحاكم أن يعاقبه وصديقه. فيرحل من الفلسفة إلى الدين، إلى دير يريد أن يرتاح فيه من عقله الذي سئمه، ليجد أن رجال الدين ايضا في يأس وضيق وانتظار. قد أوفدوا احدهم "بحيرى" الى مشارف جزيرة العرب بحثا عن المعجزة، فيعود لهم بالأنباء، فقد رأى النبي المنتظر، رآه مع عمه ذاهبا إلى الشام في تجارة، وعرفه لعلامات معينة.

يقترب الفيلسوف من مشارف الجزيرة بعد أن كان ذاهبا مع بحيرى إلى دير آخر، وهنا يصور المؤلف من خلال الاسترجاع، ما في نفس الفيلسوف من أطياف الماضي وحيرة الحاضر وآمال المستقبل.

وفي مشهد تال نراه أسيرا في أيدي بدو الجزيرة، يرحل معهم ويعيش بينهم في حي من احياء كلب بن وبرة يرعى ابلهم ويعجب بفطرتهم وحريتهم في كل شيء. ويصبح الفيلسوف ذا شخصية جديدة، فهو العبد "صبيح" الذي جاوز الاربعين منتظرا شيئا ما، وتكون المفاجأة بان يلتقي بزيد بن عمرو الذي ترك أرضه العربية من ثلاثة اعوام باحثا عن الحقيقة في بلاد الروم، أي أننا امام شخصيتين يتبادلان الأدوار، فيشتريه ويرد له حريته ويعرف أن زيدا أحد أربعة يبحثون مثله هم: ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث اللذان تنصّرا، أما عبيد الله بن جحش فينتظر دين ابراهيم من جديد.

يعود صبيح مع زيد نحو الحجاز مارين بلوخ لخمي فيقتلان: الحنيف العربي والفيلسوف الرومي ولما تظهر المعجزة بعد.

---

١) المصدر نفسه، ٢/٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن في هذا الفصل شخصية انسانية نامية . وفيه حبكة متقنة وتسلسل قصصي رائع.

والفصل الذى يليه "راعي الغنم" فصل قريب من التاريخ ،فهو لوحات من حياة النبي ، الرعي ،والتجارة ،وتصرفاته قبل البعثة ،وحرب الفجار ،وحلف الفضول ،ثم زواجه من خديجة .

وفي هذا الفصل ايضا صور من حياة النبي ،والمؤلف هنا مع اعتماده التاريخ يعتمد الخيال ايضا ،ويبرر لنا تصرفات خديجة ويصف نفسيتها ،وشقاءها بهجر يسافر محمد ،وحزنها الذى يشاركها فيه عليه عمه أبو طالب،خاصة بعد ما كان يرويه ميسره من مشاهداته أثناء الرحلة ،وأبو طالب يذكر رحلة أخيه عبد الله ،ويذكر حديث الراهب بحيرى عن كيد اليهود ومكر النصارى المتوقع بابن أخيه .

وهذا الفصل مرتبط بما سبقه ،حيث نجد انفسنا أمام "نسطور" الذى مر في قصة الفيلسوف الحائر ،حيث يلتقي بميسرة الذى كان يرحل مع النبي .

ويكون الربط ايضا حين نرى خديجة تستشير ورقة بن نوفل ، فيرتبط الفصلان "الفيلسوف الحائر" و "راعي الغنم" .

والفصل الثالث من هذا الجزء هو "حديث باخوم" ،وهذا ايضا عن سيرة النبي وعن بناء الكعبة من جديد ،يرويه شيخ مصرى زار مكة ،واسمه يوحنا ،كان بنّاء معروفا . وتصورات خيالية عن الشيطان ،الذى أراد افساد أمر قريش، حين أعادت تعمير الكعبة ،وكيف حل الخلاف بأن اختارت محمدا الأمين ،أوّل داخل للكعبة عليهم ، فباخوم،راوى هذه القصة ، كان ينوى بناء كنيسة في نجران ،لكنه ساهم في بناء الكعبة وقنع بذلك .

وقصة "صاحب الخان" مكانها مكة ،فهي وصف لواقع قريش ،وشبابها ، من خلال وصف صاحب الخان الرومي ،الذى يتردد عليه من شباب قريش صفوان بن أمية وصحبه ، الذين يكتشفون أن صاحب الخان مجرد وثني هارب بدينه ،يخبرهم بذلك ويغادر المكان ،وهنا يرتبط هذا الفصل بسابقه ،حين يظهر الشيطان الذى تحدث عنه باخوم ،يظهر ليحطم بعض أصنام قريش ويغرى قريشا بقتل محمد الأمين لأنه ذلك ،فيذهب أمية بن خلف والوليد بن المغيرة لاستشارة باخوم فيشير عليهما أن تشدّ الأصنام بالرصاص فلن يتمكن منها الشيطان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الأخير في هذا الجزء: "نادى الشياطين"، فتصوير لقوى الشر ممثلة بابليس وصحبه، وتآمرهم بالنبي، كي يظل الشر مسيطرا على قريش، ولكن: "قد أخذت الظلمة ترق، وقد أخذ السحاب يتفرق وينجاب، وقد أخذت أشعة النجوم تبلغ الأرض، وقد أخذ ضوء القمر يترقرق في الأرض، وسكنت الحركة واستقر كلّ شيء، ثم اصبحت قريش فغدت على أعمالها كأنها لم تنفق ليلة نادرة في ليالي الدهر، إلاّ خديجة بنت خويلد، فقد أقبل عليها زوجها مرتاعا سعيدا ينبئها بالنبأ العظيم" (١).

وهكذا ينتهي الجزء الثاني، وهو عمل مترابط بنفسه، ومع الجزء الأول، ينتهي ببداية أول نور من الرسالة، بعد أن عرض المؤلف واقع الرومان واليونان وفلسفاتهم وأديانهم وصراعاتهم، وعرض لحياة النبي قبل البعثة، محاولا أن يصوّر جوانب من حياته العظيمة من خلال انطاق الشخصيات التي حوله، وكلّها منتظر فيه الخلاص.

لقد امتدت شخصياته على رقعة زمانية ومكانية واسعة، وكانت كلها في خدمة الشخصية الرئيسية، شخصية النبي، كان كلكراتيس وباخوم، وبحيرى، وميسرة، وصاحب الحان، وورقة بن نوفل، وخديجة وأبو طالب، كانوا كلهم نماذج انسانية تتراوح بين التعقيد كما في حيرة كلكراتيس، والحب كما في خديجة وأبي طالب، والشر كما في شخصية الشيطان.

أما الجزء الثالث من "على هامش السيرة"، فيكمل المؤلف فيه ما بدأه في الجزأين السابقين، وإن كان الخيال هنا أقل بروزا لأن المؤلف يتعامل مع النبي وصحبه، مع الذين ضحّوا في سبيل دعوته، والذين وقفوا في طريق انتشارها، فالحديث هنا يمرّ من خلال شخصيتين متقابلتين، أولاهما تمثل الخير كل الخير، والثانية تمثل الشر كما يمكن أن يكون حين يمتزج بالحقد، والانانية، وضيق الأفق. وهذا الوصف هنا وإن كان معروفا في التاريخ الذى نقرأ، فهو جديد من حيث الطريقة التي بها يكتب.

---

(١) المصدر نفسه، ٢/ ٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الجزء من أحد عشر فصلا أذكرها فيما يلي مبينا من هو الشخص أو ما هو الحدث الذى قصد اليه المؤلف من خلال هذا العنوان الذى يضمه ليدل على ما يقصد .

فالفصول يمكن أن تبين مدى اهتمام المؤلف بهذا الجانب أو ذاك من التاريخ ، تاريخ السيرة ،لكنه كما يبدو يريد أن يحفظ هذا الصراع مستمرا في القصة لينقل من خلاله جوانب التغيير في الدعوة الجديدة ،وجوانب الشر في المجتمع الذى جاءت لتغييره .

الفصول هي :

صريع الحسد : أبو جهل .

سيف الشهداء : حمزة .

ذو الجناحين : جعفر الطيار .

حديث عداس : قصة عدّاس عبد عتبة وشيبة ابني ربيعة .

مصعب بن عمير .

طريد اليأس : لسياس عبد صفوان بن امية ،وهو قاتل زيد بن الدثينة .

نزيل حمص : وحشي قاتل حمزة .

الوفاء المر : عن كعب اليهودى .

طبيب النفوس : عن صفوان بن امية .

شوق الحبيب إلى الحبيب : عن زيد بن حارثة .

القلب الرحيم : وفاة ابراهيم ابن النبي عليه السلام .

لا يمكن أن نستطيع تلخيص كل هذه الفصول مع الاحتفاظ لها بألقها من حيث العرض والأسلوب ،غير أن الفصل الأول منها : "صريع الحسد" هو أهمها في هذا الجزء من حيث الحدث ،والخيال ،والشخصية . فهو عن عمرو بن هشام (ابو جهل) الذى ظل حائرا بين فكر ورقة بن نوفل وجوارى نسطاس وخمرته . فالمؤلف هنا يعطي لشخصية ابي جهل بعدا موازيا من خلال شخصية خيالية هي أبو مرة (ابليس) الذى يحرّك تصرفات أبي جهل ،ويعمّق المؤلف أبعاد شخصية أبي جهل من خلال صراع متقابل بين الشر والخير ،وتتعرف على أبي جهل فهو ابن أخي الوليد بن المغيرة أى ابن عم خالد بن الوليد . وكان عمرو هذا غريب الاطوار فيه كبر وخيلاء مع بني قومه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتلطف ورفق مع الرقيق والخلصاء. هذا الجانب جديد على شخصية أبي جهل النزقة المتطرفة الحائرة ،فهو يرى في أصحاب الحانات جواسيس لقيصر ،ويعرف أن الـــروم يهدفون من أديرتهم وحاناتهم انتظار حقيقة جديدة عن "دين سيتنزل من سمـاء وادٍ غير ذي زرع".(١) .

يخسر ابو جهل ورقة ونسطاس حين بدأت بشائر البعثة . لهذا ينتقل مـــن الحيرة إلى الحقد على الأمين "وأقسم ما أبغضت إنسانا قط كما أبغضت الامين . ."(٢) هذا هو رأيه في الأمين . وهو حاقد على محمد لأنه زاحمه مرة فزحمه ،أي زحمه النبي ، ولأنه حكم في الحجر الاسود ،ولأنه تزوج بخديجة ،ولأن قريشا كلها تجله .

كان صديقاه يتلقيان بشائر الرسالة ،فنسطاس يرحل حاملا أخبار ظهورها . هنا يربط المؤلف بين هذا الجزء وبين الجزء الثاني في فصل "صاحب الحان".

تظهر شخصية أبي مرة وهي رمز الحقد والشر ،توجه أبا جهل ليقاوم دعوة محمد ، فقد شرب كلاهما خمرة الحقد . وتعلم قريش بدعوة النبي ،ويبدأ دور أبي جهل المعروف، ونجد أنفسنا أمام وصف حزين لمحنة بلال على يد أمية بن خلف ،وأمام فصول هجـــرة المسلمين إلى الحبشة ،وإسلام عمر ،والمقاطعة المشهورة ،ثم محاولة الضغط على النبـي بعد وفاة خديجة وأبي طالب ،وهجرته الى ثقيـف في الطائف ،ثم اجماع قريش على قتل النبي ،كل ذلك لابي جهل فيه دور رئيسي .

يتخلل هذا الفصل موصف رائع لمصرع أبي جهل حين نرى راعي الغنم الهذلـي عبد الله بن مسعود يطأ صدره . وفي النهاية ايضا نقلة سريعة من المؤلف إلى معركة اليرموك ،نرى فيها نسطاس يدخل على خالد بن الوليد يحدثه قصته مع ورقة ،مذكـــرا إياه بابن عمه أبي جهل ،وبينما هما في هذا الحديث يدخل عليهما عكرمة بن أبـــي جهل صريع الجهاد ،مع أن أباه ذهب صريع الحسد .

هذا الفصل في هذا الجزء مرتبط بالسيرة في هذه الاجزاء الثلاثة وإن كانـت الحبكة والنهاية هي أقوى ما في فصول هذه الاجزاء . وشخصية ابي جهل هنا شخصية روائية نامية ، استطاع المؤلف أن ينفذ إلى اعماقها فيمكن اعتبار هذا الفصل قصة طويلة مستقلـــة .

---

١) طه حسين ،على هامش السيرة ،الجزء الثالث ،ص٢٩ .

٢) المصدر نفسه ،٣/٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصول التالية أكثر ايجازا فهي لوحات تقترب بشكل كبير من لوحات الوعد الحق . فصل عن "سيد الشهداء" ، ونلحظ أن هذا الفصل يجد صورته المضادة في فصل "نزيل حمص" في الجزء نفسه ، فسيد الشهداء حديث عن مصرع حمزة بكل ما يملك المؤلف من قوة على تصوير رهبة الموقف . وهذا الفصل مبني على استرجاع ذكريات مع أحد حكام بني أمية في المدينة . وقد أمر بتفييير مقابر الشهداء ، وعندما نبشت كانت جثثهم كما هي ، حتى أن مسحاة أصابت رجل حمزة فجرى دمه . وتروى قصة مصرع حمزة هنا من قبل شيخ تقدمت به السن ، وتصل ذروة التأثير في وصف حزن النبي والناس ، وبالذات اخته صفية ، وفقر المسلمين وعجزهم عن تكفين موتاهم (١) .

وفصل "نزيل حمص" ليس تاليا لهذا الفصل لكنه يرتبط من حيث شخصية وحشي الذى ، رغم ما قدم من مآثر للاسلام بعد مقتل حمزة ومع أنه قاتل شر الناس مسيلمة الكذاب ، فإن حزنه ظل ، وندمه تعمق . فهو قاتل خير الناس أيضا وتروى قصته هنا على لساني رجلين من قريش شهدا في حمص ، بعد فتحها ، جنازة وحشي الذى كانت حياته : "حر كالعبد وطليق كالأسير" .

في هذا الجزء ايضا وصف ، بطريقة الاسترجاع ، لذى الجناحين جعفر الطيار ، وهذا الفصل عنه قطعة نثرية فيها من البيان أروعه ، وبخاصة حديثه عن هجرته إلى الحبشة ، ثم وصفه لمصرعه في معركة موته . فقد كان أول عاقر في الاسلام حين عقر فرسه ، وقاتل حتى قطعت يداه .

أما "حديث عداس" فهي قصة عبد كان لعتبة وشيبة ابني ربيعة . شهد عودة النبي يائسا من عند ثقيف في الطائف . فقد لجأ النبي الى ظل بستان لهم ، فارسلا عنبا مع عبدهما هذا ، لنكشف أن هذا العبد ليس إلا أحد اثرياء نينوى ، جاء لينتظر الاسلام . ونراه بعد أعوام والنبي وعسكره حول الطائف ، وعداس يجمع الرقيق من صحبه لينضم إلى معسكر النبي ، لكنه يقتل بسهم من ثقيف قبل أن يصل .

أما حديثه عن مصعب بن عمير ، فهو قصة هذا الفتى من قريش الذى أسلم فتنكرت له أمه ، وهاجر في سبيل دينه ، ثم أرسل للمدينة أول مبشر في الاسلام ، وحمل لواء النبي في بدر ، واستشهد وهو يحمله في أحد حيث لا يجد المسلمون له كفنا كما هو الحال مع سيد الشهداء حمزة .

---

(١) المصدر نفسه ، ٣/ ١١٥-١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي فصل "طريد اليأس" قصة الاسير الرومي لسياس ،عبد صفوان بن أمية ،الذى نفذ أمر سيده بقتل زيد بن الدثنية ،الاسير المسلم ،أمر صفوان بقتله بعد أن اشتراه من هذيل ليوفي نذر (سلافة) ،المرأة الوثنية التي فقدت ثلاثة من أهلها في بدر. كان زيد واحدا من ستة من أصحاب النبي كانوا بأمرة عاصم بن ثابت الذى ، نذرت سلافة ان تشرب الخمر في قحف رأسه ،لكنه رأى عاصم - عندما قتل حقق الله له أمنيته ،فقد كان يردد : "اللهم اني قد حميت دينك أوّل النهار ،فاحم لحمي آخر النهار (١)" ،فقد منع الدبر وصول الاعداء إلى جثته ،حتى كان الليل ،فاقبل السيل فاحتمله. وظل لسياس يتعذب وهو يرى أن الشقاء قد كتب عليه ،وأن بحار الارض لا تستطيع أن تغسل الدم الذى سفكه. فيرحل إلى حيث لايعرفه أحد .

أما " الوفاء المرّ" فهو فضل عن يهودى اسمه كعب قاتل ابوه مع النبي ونصره. وقد قتل كعب هذا رغم محاولات أمه وأحبار اليهود توجيهه لمقاتلة المسلمين. فقد عرف طريق أبيه ،وقاتل مثله في سبيل الاسلام ،وقتل في الشام.

أما " طيب النفوس" فعودة إلى صفوان بن أمية سيد " طريد اليأس". فقد قتل ابوه واخوه ،وتصف القصة جوانب من حياته ،لعل أهمها أن النبي طلب منه بعد فتح مكة أن يمده بالسلاح ليقاتل هوازن ففعل ،وأسلم في مشهد انساني مؤثر.

وفصل " شوق الحبيب إلى الحبيب" لوحة انسانية مؤثرة. فهو قصة زيد بن حارثة الذى نراه طفلا في الثانية عشرة يؤسر ،وينتهي به المطاف عبدا لخديجة زوج النبي الذى ما لبث أن تبناه ،وأحبه وزوجه ابنة عمه " زينب بنت جحش" ،ثم حاضنته أم أيمن". وفي هذا الفصل يرتبط الحدث هنا بحدث فصل " ذو الجناحين" حيث يقتل زيد مع جعفر في مؤتة.

الفصل الاخير استرجاع في عهد أحد أمراء بني امية ،فيه وصف لحزن النبي عليه السلام على ابنه ابراهيم. هذا الحزن الذى يصفه المؤلف مستمينا بطبقات ابن سعد . حزن انساني لا حدود له.

بهذا ينتهي الجزء الثالث الذى نلاحظ أن فصوله عن السيرة بعد بعثة النبي ، وفي بدايات دعوته ،وأنه مرتبط بما سبقه ،وشخصياته تاريخية ذات اتجاهين : اتجاه نحو الخير والشهادة مثله جعفر ،وحمزه ،ومصعب ،وزيد . واتجاه نحو الشر مثله لسياس ،وأبو جهل ،وأبو مرّة ،ووحشي .

---

١) المصدر نفسه ٣/ ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكننا نأخذ على هذه الشخصيات، أننا يمكن أن نراها في الاتجاه الاول مثالية الى حد بعيد، متماثلة بشكل لا يجعل من الممكن التمييز بينها. كذلك الأمر في شخصيات الاتجاه الثاني. فأبو جهل هو ظل أبي مرّه، ولسياس، ووحشي حائران دون حلّ، فقد أغرقهما المؤلف في الندم مع أن من حقهما أن يكون لهما من الاسلام رحمة وتوبة.

مما تقدم عن هذه الاجزاء الثلاثة، أستطيع القول، إنها كانت أبرز محاولة في أدبنا لتقديم السيرة في اطار قصصي يصور مقدماتها، وظهورها، وبداياتها من خلال شخصيات متعددة وأحداث كثيرة، وأن هذا العمل فيه، إلى جانب روعة اسلوب المؤلف، فيه من الرواية ذات الطابع الملحمي احداثها وخيالها وشخصياتها وتصويرها، ولئن كانت في مقاييس النقد الحادة لوحات قصصية طويلة.

ولا بد أن نشير الى ان طه حسين قد رفض في دراسته للشعر الجاهلي أشياء كثيرة من فترة ما قبل الاسلام، وحدّد منهجا واحدا تأثر فيه بديكارت ووصل في ذلك الكتاب الى ذروة ثورته العقلانية غير أننا لاحظنا انه ما لبث أن ارتدّ نحو اعماقه فكتب في "الايام" الجزء الاول سنة ١٩٢٧. ثم اتبعه كتابه في الصيف سنة ١٩٢٨، ثم جاء الجزء الاول من "على هامش السيرة" سنة ١٩٣٣ ليعتمد فيه خيالا واسعا اسطوريا لعله يقف على النقيض مع العلمية التي اعتمدها في دراسته للشعر الجاهلي. مع أنه كان حذرا في تقديمه هذا العمل، "على هامش السيرة"، إذ إن مقدمته له، تنم عن أنه يوجهه للشباب والعاطفة وليس للعقل والفكر.

وحين صدرت الفصول الاول من الجزء الاول في الرسالة بين ١٩٣٣/١/١٥ إلى ١٩٣٣/١٢/١١، أثارت ضجة عنيفة حول هذا العمل شارك فيها هيكل والعقاد وسيد قطب وزكي مبارك وغيرهم، ملخصها أن طه حسين قد تحول من النقد الأدبي إلى الاساطير، كانت هذه الضجة تتفاعل بينما الدراسات الاسلامية في ذروة نشاطها على ايدى عدد كبير من الدارسين، فقد كان علي عبد الرزاق قد خاض معركته حول "الخلافة واصول الحكم"، والعقاد يحلل الشخصيات الاسلامية الرئيسية في عبقرياته، وهيكل يقدم دراسته عن "حياة محمد" باتجاه رومانسي واضح، والحكيم يكتب مسرحيته "محمد رسول البشر"، وبرز طه حسين مساهما في هذا التيار معتمدا الخيال الذى يتخذ منه اداة لتركيب الأحداث، وتطوير الشخصيات والتمثيل وراء النصوص التاريخية، يقدم دراسته هذه وهو يعي أن ردود فعل المشايخ لن تكون معه وهي لم تكن معه حتى بعد وفاته. إذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمّر عدد منهم في مهاجمته واعتباره مجرد معبر عن آراء الاستعمار والمستشرقيـــن(١)، وقد تحدث طه حسين قبل وفاته عن اسلامياته ودورها في ايقاظ المسلمين على تاريخهم الحقيقي . . .(٢)

ونحن هنا لم ندرس اسلاميات طه حسين من حيث هي عمل متكامل يشكل جزءا من تراثه ،بل نقف ــ كما قلنا ــ عند هذين العملين من اسلامياته لنبحث عن موقعهما بين اعماله ذات الطابع الروائي ،وقد تم اختيار هذين العملين من اسلامياته لأن فيهما بذور اعمال روائية وقصص قصيرة .

وهنالك ملاحظة أخرى على توقيت نشر الجزء الأول من على هامش السيرة وتوجيهه للشباب والعامة ،اذ أن هذه الفترة من بداية الثلاثينات شهدت تحوّل طه حسين إلى حزب الوفد ذى الغالبية الكبيرة بين الناس.

ولعل من الاهمية بمكان ونحن ما زلنا نتحدث عن فترة صدور الجزء الأول ،أن نشير إلى رأى هام لمحمد حسين هيكل عام ١٩٣٣ ،حيث يرى أن طه حسين "إنما سلك في "على هامش السيرة" طريق كتاب الغرب ممن يتحدثون عن الأساطير القديمة ينشرونها ويزينونها ،وطه إنما قصد إلى احياء أدب الأساطير حين أملى هذا الكتاب ، أو حين دفع إلى ذلك دفعا وأكره عليه اكراها . . . فهو إلى حين وضع كتابه هـــذا كان من اولئك الذين يكبرون العقل ،ولا يثقون إلاّ به ،فهذا الكتاب تطور عظيم فـــي نفسية طه حسين ،وفي نظرته إلى الحياة ،تطور واضح صارخ يكفي لنتبينه أن نقرأ معا مقدمتين : مقدمة على هامش السيرة ومقدمة في الأدب الجاهلي . . . فقد مرّ طه فـــي فترة ما بين ظهور هذين الكتابين بانتقال من العلم إلى الأدب كان مظهره كتابـــا "الأيام" و "في الصيف" . . . ثم إن بين في الأدب الجاهلي وعلى هامش السيرة موضعا

---

١) لعل أعنف هذه الحملات ما كتبه الشيخ عبد العزيز الربيعان في مجلة الجامعـــة الاسلامية بالمدينة المنورة ،العدد ١ ،السنة الثانية ،يونيو ١٩٧٥ ،بعنوان : "حقيقة طه حسين" ،وفي هذا المقال استشهادات كثيرة منقولة عن كتابات من هاجموا طـــه حسين . انظر من ص١٣١ــ١٣٩ .

٢) غالي شكرى : آخر حوار مع طه حسين ،مجلة الثقافة العربية ــ ليبيا : السنة الاولـــى ، العدد التاسع،تموز ١٩٧٤ ،ص٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمقارنة)فكلاهما يتحدث عن العصر الجاهلي الذى سبق مولد النبي عليه السلام. . . الكتاب الأول يهدم ماجاءت به الأساطير. . والكتاب الأخير يجلو هذه الاساطير، وينمقها ،ويرى في ذلك غذاء لما سوى العقل من ملكات الناس..."(١) إن هذا الرأى الذى يراه الدكتور هيكل رأى هام ودقيق ،غير أنه يرى تناقضا بينما لا نرى ذلك، فقد وضح طه حسين أنه يوجه كتابه "على هامش السيرة" لعواطف الناس وقلوبهم، ولو اراده بحثا تاريخيا خالصا لفعل ،فهو أكاديمي عرفناه في "في الأدب الجاهلي"، ابن خلدون، المعرى ،لكنه هنا يكتب عملا فنيا يعينه الخيال على تصور ابعاده. وإذا كنا سنرفض مثل هذه المحاولة فكيف نفسّر "أهل الكهف" و "محمد رسول البشر" للحكيم ،وجميع القصص المعتد إلى جذور تاريخية.فهو يعالج بطريقة فنية خيالية.

غير أن في رأى هيكل جانبا هاما هو اعتبار تحول طه حسين إلى هذه الكتابات تحولا حتميا للأطوار التي مرّبها في حياته ،"فقد روى لنا أى طه حسين ـ في كتاب "الأيام" الشيء الكثير عن طفولته وبدء صباه ،وكيف كان في تلك الاثناء متأثرا بظروفه وبيئته يخاف الاشباح ويتوهمها. ثم بدأ بعد ذلك يدرس في الأزهر ويقرأ سيرة النبي عليه السلام ،ويقرأ في كثير من الكتب أساطير من الاسرائيليات. . . فلما بدأت ملكات الحكم تنمو وتتجه إلى ناحية التمام العقلي عنده ،وبدأ يستمع إلى الأدب وإلى العلوم الحديثة،بدأت تتكون ذاتيته. . ،وأول مظهر لتكوين الذاتية ظهور ملكة النقد."(٢)

ومن هنا يرى هيكل سبب خلاف طه حسين مع الأزهر ورفضه لما فيه وانتقاله للجامعة ،ولكن في ظل الطريقة العلمية سقطت عن جوانب طه العقلية اكداس مما تعلم من قبل. . . سقطت في طوايا نفسه وفي البعيد العميق من حنايا ذاكرته. . . ، ومن هذه الأكداس بعد المعركة حول الشعر الجاهلي ،كتب "الأيام" وبدأ كتابة "على هامش السيرة". وفي نهاية دراسته، يتهم هيكل طه حسين بأنه استغل الأسرائيليات لإقامة اساطير مثيولوجية إسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب، ولتشكيك

---

١) محمد حسين هيكل ،بطحق السياسة ،ديسمبر ١٩٣٣ ،نقلا عن ،أنور الجندى ، المعارك الأدبية ،ص١٤٨، ١٤٩ .

٢) المرجع نفسه ،ص. ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم.(١)

لا أظن طه حسين كان يقصد ذلك، كما أنني لا أجد في "على هامش السيرة" شيئا يثير الريبة ويبعث على الشك، . . وإن كنت أرى أن في هذه "الأكداس" التي ذكرها هيكل تفسيرا معقولا إلى حد بعيد في تعليل "الأيام" و "على هامش السيرة"، مقدما في الثاني صورة عن ثقافته الدينية الأزهرية، من خلال قصة تاريخية اسلامية، كما يبدو هذا العمل للوهلة الأولى، مستمينا في تقديم ذلك بلغته "المصطوطة الرشيقة المكينة".(٢)

وقد سمى بعض الدارسين هذا العمل أنه نوع من "تأديب التاريخ"(٣)، وأنا لا أرى هناك نوعا ادبيا بهذا الأسم، إلا اذا قصد به الاستعانة بالتاريخ لتحويل بعض جوانبه إلى عمل فني ليس فيه من التاريخ إلا أنه كان المسبب له. فالرواية التاريخية، أو المسرحية التاريخية، أو القصيدة، المعتمدة التاريخ أعمال ادبية تدرس في باب الرواية، والمسرحية أو الشعر وليس ضمن باب اسمه "تأديب التاريخ"، فالناقد ينظر إلى العمل الفني من حيث شكلة ومضمونه على أنه كلّ واحد، ومن هنا لا أتفق مع الدارس على اطلاق هذا التعبير الشائع على "على هامش السيرة"، فطه حسين لم يأخذ التاريخ الصحيح بمقدار ما أخذ اساطير من كتب تاريخية غير دقيقة، ولم يكتب أدبا نثريا في باب المقالة بمقدار ما قدّم من صور فنية خيالية مترابطة.

كما أنني لا أرى في هذا العمل مجرد "قصص تاريخي خالص"(٤) فليس هذا العمل امتدادا للقصص التاريخي عند زيدان، والجارم، وأبي حديد، أو أن فيه المميزات ذاتها الموجودة في هذه الأعمال بل هو عمل "لا يوازيه إلا الأيام".(٥)

---

١) المرجع نفسه، ص١٥٢ .

٢) محمد خليفة التونسي: كتاب الشهر (مرآة الاسلام)، مجلة العربي، العدد ١٨٩، آب ١٩٧٤، ص١١٥ .

٣) أنور الجندي: (القصة العربية المعاصرة، أدب المرأة العربية، تطور الترجمة)، ص٥٠ .

٤) حسين نصار: فن القصة عند طه حسين، مجلة القصة، العدد الاول، السنة الاولى ١٩٦٤، ص٤٣ .

٥) سيد قطب: كتب وشخصيات، على هامش السيرة، الرسالة، العدد ٥٤٧، السنة الحادية عشرة، ٢٧ ديسمبر ١٩٤٣، ص١٠٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن لا نرى في هذا العمل، باجزائه الثلاثة، مجرد تأديب للتاريخ أو قصة تاريخية، كما لا نرى فيه عملا روائيا ذا طابع تاريخي ملحمي كامل، بل هو عمل لا يخلو من مقومات القصة التي تجعله ينتمي إلى فن القصة بما فيه من شخصيات اجاد المؤلف في تصويرها، ومن بذور القصة الذهنية وبعض المؤشرات الفنية، ففي هذا العمل، "القصة القصيرة التي تعنى برسم الشخصيات والنماذج البشرية، والرواية التي تعنى بالأحداث وتسلسلها، والقصة الذهنية التي يقدم لنا الكاتب خلالها صراعا في الأفكار ولقاء في المذاهب والاراء، والقصة الانفعالية القريبة في هدفها وكتابتها من الشعر الخالص المعبر عن شعور الناس ووجدانهم... هذا إذن "على هامش السيرة" قصص أكتملت شروطها الفنية، وتنوعت بين القصة القصيرة والرواية الطويلة، وبين رسم الشخصيات ورسم الأحداث.."(١)

إن هذا الرأى مع ما فيه من اندفاع يظّل قريبا من التصور النقدى السليم لهذا العمل، ففيه شخصيات وأحداث وأسلوب متميز، وفيه إلى ذلك نفس قصصي واضح، لكنه لم يصل (بالترابط) لأن يكون رواية، ولم يصل (بالشخصيات والأحداث) ليكون قصة قصيرة، فهو عمل قصصي من نوع خاص يتميز فيه الحدث الذى يهيمن على المؤلف نفسه، وهو أفضل الأعمال امثاله في ادبنا في باب العمل الملحمي النثرى البسيط.

وإذا كان بعض الدارسين يرى في هذا العمل صورا رائعة من الاساطير العربية.. "بنزعة قصصية فتحت باب الميثولوجيا الاسلامية على مصراعية"(٢)، فإنه في رأى دارس آخر هو العقاد "قصة ممتعة موحية يتابعها القارئ بشوق وينتهي منها إلى فائدة، وهي ممتعة لأنها تنقل الشخوص والاسماء من عالم التاريخ والخبير إلى عالم الحياة والشعور... واحسب أن الدكتور طه قد ملئ إعجابا بالنسق الهومرى في تمثيل وقائع الابطال وانهاء العصور، فأراد أن يخرج لنا إلياذة نثرية عربية يشترك فيها عالم الشعر البليغ وعالم التاريخ الصادق، وتجرى في افاق الزمان الغابر الذى لا حدود له بين الغيب والشهادة واسرار الحقيقة والخيال.."(٣)

---

(١) فاروق خورشيد: "محمد في الأدب المعاصر"، ص٨٥-٩٠، نقلا عن (حسين نصّار: فن القصة عند طه حسين، مجلة القصة، العدد الاول، السنة الاولى، سنة ١٩٦٤)، ص٣٣، ٣٤.

(٢) سامي الكيالي: مع طه حسين، الجزء الاول، ص٨١، ٨٢.

(٣) عباس العقاد: ساعات بين الكتب، الجزء الثاني، ص٣٣، ٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الرأى الهام للعقاد فيه مبالغة في اعتبار "على هامش السيرة" "أليادة"، فنحن لا نرى هنا أبطالا كما في الالياذة، والشخصية الرئيسة، شخصية النبي، ألزم المؤلف نفسه أن يأخذها عنها أصدق الأخبار.

وهذه اللوحات التي يعرضها أسلوب طه حسين، هي صور صادقة لشعوره وهو يقرأ السيرة النبوية في مصادرها القديمة، وهي صور قصصية عرضت بطريقته المتحررة من قواعد الفن، مع محاولة التحرر من قيود التاريخ من حيث الزمان، والمكان، والأحداث فالتاريخ عنده ليس مجرد عمل وصفي لاحداث مبتورة عن العوامل المادية والمعنوية والفكرية في أى عصر من العصور، فنحن في قراءة هذا الكتاب" نعايش شخصياته في حياتهم اليومية.. وتدخل همومهم اليومية في صميم قلوبنا، ... فالتاريخ بالنسبة لطه حسن لحظات حيّة ومواقف موحية، وأحداثه الكبرى ليست وقائع فحسب، وإنما هي حشد من العواطف وفوران من الاحاسيس وبراكين من الفكر ومنجم من ردود الفعل الانسانية".(١)

ولعل أحد الاراء الهامة في هذا الكتاب هو ما أبداه كمال قلته (٢) حول الشبه بين "على هامش السيرة" وبين "عبقرية المسيح" لشاتوبريان، فقد لاحظ الدارس اتفاقا في المنهج، والغاية اللذّين من أجلهما كتب هذان المؤلفان عليهما، وأن كلا منهما لم يتعرض لشخصيات "النبي" مباشرة، بل صوّر العالم قبله مستفيدين من هوامش التاريخ المسيحي والاسلامي، معملين خياليهما وعواطفهما، مقدمين تأملات أكثر من تقديمهما دراسات.

ونحن نتفق معه في إمكانية وجود الشبه ونتحفظ على حتمية التأثر، خاصة وهو يرى في "الفتنة الكبرى" و "مراة الاسلام" مع "على هامش السيرة" و "الوعد الحق" اعمالا بمجموعها تشبه "عبقرية المسيح" لشاتوبريان، و"حياة المسيح" لرينان، ولعل "على هامش السيرة" مع "الوعد الحق" مجال للمؤلف ليقدم من خلاله قصصا: "كي يبلغ ما لا يبلغه المؤرخ من ضمان القارئ على ما يقدم له، ثم ضمانه على ما يراه له من عظة تقر في نفسه.."(٣)

---

١) سهير قلماوى: ذكرى طه حسين، ص١٠٩، ١١٠.

٢) كمال قلته: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١٧٧-١٨٣.

٣) مجموعة من الدارسين: طه حسين كما يعرفه كتاب عصره، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ما يراه "جورجيو ديلافيدا" من أن هذا العمل "سلسلة من الروايات التاريخية الصغيرة استعمل فيها طه حسين معرفته الكاملة بالاساطير والروايات التاريخية العربية وبتاريخ الديانة المسيحية الشرقية والامبراطورية البيزنطية ليطلق العنان لخياله الخصب المبدع." (١) فهذا في تصورى رأى دقيق في تحديد مصادر العمل لكننا لا نتفق على تعبير الروايات التاريخية القصيرة، حيث لا نعرف هل قصد الكاتب هنا إلى القصة القصيرة أم الى القصة العادية الطويلة. ولعلّ انشغال المؤلف بالحدث والهدف عن البناء الفني هو الذى أوقع الدارسين في هذه الحيرة، وهذه الآراء المتشعبة العديدة. والتي يمكن أن ننظر إلى "الوعد الحق" ايضا من خلال دراستنا لها.

ولعلنا إذ ننقل هذا الرأى التالي عن اسلاميات طه حسين، ننهي هذا الحديث به نظرا لدقته، تتمة للعرض السريع لاجزاء الكتاب الثلاثة، ومحاولة التعرف عليها من الداخل في الصفحات السابقة.

يقول د. عبد العزيز كامل عن اسلاميات طه حسين: "إن أعمال طه حسين في هذا المجال يمكن تقسيمها موضوعيا إلى ثلاثة اقسام رئيسية، وإن كان يجمع بينها أنها من طرازنادر من التعبير الأدبي والبلاغة:

القسم الأول: تحلق به الحقيقة التاريخية باجنحة من الخيال، ويدخل تحته كتاب "على هامش السيرة".

القسم الثاني: يغلب عليه الطابع التربوى او التعليمي، ويدخل تحته الوعد الحق ومرآة الأسلام.

القسم الثالث: ويتميز بالتحليل التاريخي النقدى، ويدخل تحته الفتنة الكبرى والشيخان، وقد يكون هذا التقسيم نسبيا وتقريبيا في بعض جوانبه كما يبدو هذا في كتاب الوعد الحق، الذى يقترب منهجه من مجموعة على هامش السيرة بل يكاد يكون جزءا رابعا منها." (٢) ومن هنا نرى هذا العمل الفني محاولة جادة لعرض التراث، بطريقة فنية قريبة من فن القصة.

---

١) مجموعة مؤلفين، الدارسين طه حسين كما يعرفه كتاب عصره، ص٩٩.

٢) عبد العزيز كامل: اسلاميات طه حسين، الهلال، العدد الرابع، السنة ٨٣، أول نيسان ١٩٧٥، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ الوعـــد الحـــق :

وضعت الدراسة هذا الكتاب ضمن إسلاميات طه حسين أولا ،ثم صنفته مـــع "على هامش السيرة" في باب أعمال المؤلف ذات الطابع الذى يتوسط الروايـــة والتاريخ ،غير أن الوعد الحق،الذى يمكن اعتباره الجزء الرابع من على هامش السيرة من حيث الموضوع،يمكن أيضا أن ينظر إليه من خلال هذه اللوحات القصصية ذات الطابع الخاص التي قدمت في الجزء الثالث من "على هامش السيرة" ،حول سيد الشهداء وذى الجناحين،ونزيل حمص،وطريد اليأس.

تترابط لوحات هذا الكتـاب بدقة متناهية ،غير أن الفارق بينه وبين على هامش السيرة هو هذا الارتباط الواضح بالجـوانب الاجتماعية المسحوقة في مجتمع مكـة الذى ظهرت فيه الدعوة أول ما ظهرت،وهذه الميزة تجعلنا نعتبر هذا العمـــل ذا اتجـاه واقعي من حيث التصنيف الفني .

ويرى حسين نصّار أن هذا الكتاب "قصص تاريخي هادف،بينما على هامـــش السيرة قصص تاريخي خالص".(١)

ونحن لا نرى معه هذا الرأى ،ولا نستطيع أن نميز معه هذا الفرق فـــي كلمتي "خالص" و"هادف" إذ أن "على هامش السيرة" عمل هادف بشكل واضح ،وليس قصصا تاريخيا محضا بشكل قاطع.

أما سهير القلماوى فترى في كتابي الوعد الحق وعلى هامش السيرة كتبا "شبـــه تاريخية".(٢) واذا كانت تقصد بأنها اقرب إلى التاريخ وليست من الرواية فـــي شيء ،كما اعتقد ،فهذا تصور غير دقيق ،وحكم نقدى غير معلّل ،ولعل استعراض الكتاب تمهيدا للحكم عليه يبين موقعه بدقة .

شخصيات هذا الكتاب كلها تاريخية ،وجدت فعلا ،لكن الفارق هنا فـــي أن المؤلف لا يعرض لنا هذه الشخصيات من حيث الجانب التاريخي بل هو يكرر مـــا فعله في "على هامش السيرة" فيلجأ إلى عرضها كلوحات قصصية تستند إلى التاريخ ،

---

١) حسين نصار: فن القصة عند طه حسين ،مجلة القصة ،العدد الاول ،السنة الاولى ، ١٩٦٤ ،ص٤٣ .

٢) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ،ص٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الخيال هو الذى يخلق غالبية الاحداث والمؤلف حرّفي ذلك. وهذه الشخصيات، من فقراء مكة، ذات طابع بطولي مأساوى تسعى في سبيل الحرية، حتى نكاد نرى شبها بين قصص البؤساء في العالم، فنذكر سبارتاكوس وكوخ العم توم وكوزيت في البؤساء والمواطن توم بين في قصة هواردفاست.

والوعد الحق، الذى يكمل على هامش السيرة، تسليط للضوء على شريحة صغيرة من المجتمع الاسلامي، هي في هؤلاء البسطاء الذين كانوا لا يملكون النسب ولا الجاه ولا المال، بل يملكون إيمانا عميقا تواجهه قوة شر هائلة تقف ضدهم جميعا ممثلة بشخصية ابي جهل.

وشخصيات الوعد الحق هي:

عمار بن ياسر، وصهيب الرومي، وبلال بن رباح، وخباب بن الأرث، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولي ابن ابي حذيفة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو.

وتجمع بين الشخصيات في هذا العمل وحدة المكان والزمان والهدف والصراع. فقد كتب هذا الكتاب سنة ١٩٤٩، أى بعد سنوات ست من صدور الجزء الثالث من "على هامش السيرة".. وفي الفترة السابقة له شغل طه حسين بقضايا الناس والحرية فكتب الجزئين الثاني والثالث من "على هامش السيرة"، و"أحلام شهرزاد"، و"المعذبون في الأرض". وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٥٠ في مصر للمرة الاولى.

بدأ المؤلف تصويره لهذه الشخصيات بظهور ثلاثة اخوة قادمين من اليمن الى مكة بحثا عن أخ لهم مفقود، ينزلون في ضيافة أبي حذيفة بن المغيرة، ثم يرحل اثنان ويبقى الثالث، يرحل مالك والحارث ابنا عامر ويبقى أخوهم ياسر بن عامر لأنه احب سمية جارية مضيفه، فيعقد معه حلفا ويتزوجها.

هذا الجانب من خيال المؤلف يتبعه بتصوير ياسر هذا في حيرة دينية وهذا يشبه ما فعله لشخصيات كثيرة في "على هامش السيرة".

وفي هذا الفصل ينتقل المؤلف بسرعة، أو يقرر في مواقف أخرى، وهو بذلك يفصّل فيما يخدم غرضه، فينقلنا بسرعة لنرى ياسرا قد تقدمت به السن، في مكانه الجديد، ورزق ثلاثة ابناء مات واحد وبقي اثنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومواصلناهذا الأنتقال إلى بداية البعثة،لنرى عمار بن ياسر يسلم بدعوة محمد ، مما يجلب عليه وعلى أهله غضب أبي جهل ،وكفار قريش، أسلم بعد تردد بسيط لتبدأ رحلته مع العذاب اليومي ،ليس هو فقط بل إنها معركة قريش الكافرة مع رقيقها المسلم . معركة تحرق فيها الدور ،وتشوى الاجساد على الجمر ،يتولى التعذيب فيها رجال مشركون أمثال أمية بن خلف ،وأبو جهل ،وأبو سفيان ،وعتبة بن ربيعة .ولا يبرز من سادة قريش من يرحم هذه الفئة إلا الوليد بن المغيرة الذى وقف ،رغم كفره ،شبه متردد في تأييد هذا الموقف القاسي ضد جماعة محمد .

ويبلغ المؤلف ذروة تصوير المأساة في وصفه ، عذاب آل ياسر (١) لنجد انفسنا فجأة مع مشهد آخر لشخصية جديدة هي صهيب الرومي " ،عبد عبد الله بن جدعان أحد سادة قريش،نجح صهيب في تجارة سيده،لكن في شخصيته حيرة ياسر والد عمار ولا يلبث يتخذ موقفا رائعا يقول لسيده :"فانتم تروننى عبدا وقنا ،وأنا أراني رجلا حرا ،وانتم تتسلطون على جسمي بما تملكون من قوة ومال وسلطان ،ولكنكم لا تجدون لأنفسكم على نفسي سبيلا"(٢) . وهذا الموقف يلخص البعد الحقيقي لجميع شخصيات الوعد الحق . ثم نكتشف أن صهيبا ليس إلا واحدا من الحائرين مثل "الفيلسوف الحائر" ، يبحث عن شيء سيظهر في الجزيرة .وينجح صهيب ويعتقه سيده ،وعندما تأتي البعثة يسلم مع عمار ويعذب معه .

أما الشخصية الثالثة فهي "بلال بن رباح" ويقدمه المؤلف من خلال أسطورة يعود فيها مرة ثانية إلى هزيمة إبرهة وجيشه،حيث تأسر خثعم أميرة حبشية يهديها آسرها الى خلف بن وهب الجمحي ،والد أمية ،حيث أراد إذلالها انتقاما من الأحباش فزوجها لعبده رباح الذى أحبها وأعزها ،فبينهما روابط قومية ثم تزوجها فولدت له بلالا وأخا له نسيه التاريخ ،كانوا قد اسموها حمامة . وكان رباح وحمامة وفيين لبعضهما مع أن رباح كان مشغولا بأن "صبح جديد سيسفر".(٣)

يموت خلف ورباح وحمامة ونرى الجيل الثاني : أمية وبلال ،يكفر أمية ،ويؤمن بلال ليضم الى قائمة أبي جهل وأمية في العذاب مع عمار وصهيب.

---

١) طه حسين : الوعد الحق ،ص٣٧ ، ٣٨ .

٢) المصدر نفسه ،ص٤١ ، ٤٢ .

٣) المصدر نفسه ،ص٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الرابعة "لخباب بن الأرث" الذى اشترته امرأة عربية من بني عامر اسمها "أم انمار" وهي خزاعية تعيش بمكة ومتزوجة من بعض أحلاف زهرة فيها . ربّته شفقة مع ابنها وعرفت أن بني عامر قتلوا عائلته وباعوا اخته في حي آخر ، ونشأ خباب بين الرق والحرية يصنع الحديد والسلاح ويختم المشهد على صوت أبي جهل يعلن "أن ابن الخاتنة قد صبأ ، وإنآ محرقوه بالنار قبل أن ينتصف النهار" (١)

الصورة الخامسة لفتى من هذيل ، فقد أباه فهجر نجدا إلى مكة عند اخوال له من بني زهرة ، وسط بين الفقر والغنى . وكان عمله أن يرعى غنم عقبة بن أبي معيط ، ويحدث للفتى حادث هام : يقدم عليه رجلان وهو يرعى إبله ، يجعل أحدهما ضرع الناقة الجاف يحفل باللبن ، فيلحق بالرجلين وهما النبي وأحد صحبه ، ويسلم . ولعله الوحيد بين المستضعفين الذى لم يتعرض إلا لبعض الأذى من أبي جهل وكفار قريش ، إذ لم تسلمه زهرة . وهو الذى لطم أبا جهل . وفرقت بينهما مواقفهما ليلتقيا يوم بدر ، نراه يضع قدمه فوق صدر أبي جهل . لم يكن هذا الفتى إلا "عبد الله بن مسعود" .

الصورة السادسة لسالم مولى أبي حذيفة ، فقد بيع وهو غلام إلى امرأة من أوس ، تزوجت في المدينة من أبي حذيفة هذا ورحلت الى مكة . ويسلم أبو حذيفة وأهله ومولاه . ويصبح سالم ابنا له . وفي هذه الصورة ذاتها نلتقي بعبد الله بن سهيل بن عمرو واخته سهلة زوج أبي حذيفة ، أسلم عبد الله مع اخته وزوجها وهاجر أبو حذيفة وامرأته وابنه سالم ، وهاجر بعدهم عبد الله بن سهيل الذى يعود ليجد عذاب أبيه سهيل بن عمرو في انتظاره .

إلى هنا ينتهي المؤلف من تقديم شخصياته في مشاهد ستة ليبدأ من جديد وصف معاناة كل منهم . هذا الوصف لهذه المعاناة هو أقوى ما كتب من وصف في هذا الكتاب ذى الطابع المأساوى لابطال شعبيين .

---

(١) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعود المؤلف إلى ياسر وابنه عمار وأمه سمية ، إلى صهيب وخباب وبلال . وهذا الوصف لعذابهم يمتد بشكل تقريري فيه روعة أسلوبه ، وبالذات عذاب آل ياسر وموقف النبي منهم "ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة".(١) .

وفي ذروة العذاب يستشهد ياسر وسمية لتكون سمية أول شهيدة في الأسلام . وظل عمار يعذب حتى هاجر إلى الحبشة ثم المدينة . أما بلال فاشتراه أبو بكر .

المرحلة الثالثة في هذا العمل انتقال إلى المدينة . فقد كانت الاولى تقديم الشخصيات والثانية وصف العذاب والخلاص.

وفي المدينة حيث هاجر النبي وصحبه ، نرى أهل المدينة ينتظرون قدوم النبي ، يقيمون الصلاة ، يؤمهم سالم ابن ابي حذيفة ويجهدون في تذكر قصة الصبي الذى اشترته امرأة أوسية .

أما صهيب ، فيصل المدينة وقد اشترى حريته بما جناه كل العمر من تجارته .

أما ابن مسعود فنراه ملتزما قرب النبي حبا وطاعة اخذا للعلم . وينقلنا المؤلف مرة ثانية إلى مرحلة جديدة من حياة هذه الشخصيات حيث يقدم لنا نقلة تساريخية سريعة إلى ما حدث لهم .

في بدر ينتقل عبد الله بن سهيل إلى صفوف المسلمين وأبو حذيفة يدعو أباه عتبة بن ربيعة المشيرك للمبارزة وعبد الله بن مسعود يرى أبا جهل في الرمق الاخير .

ثم إلى مكة نرى بلالا على ظهر الكعبة يوم الفتح . أما عمار بن ياسر فنراه في الرّدة محاربا ضد المرتدين ثم في الفتوحات .

لقد غير الايمان فقراء مكة فالايمان والتضحية أصبحوا قادة وائمة . قال عمر بن الخطاب إنه كان سيولي سالم مولى أبي حذيفه لو كان حيا . وصهيب يصلي في الناس حين اغتيل عمر . وعمّار يولي الكوفة ، وابن مسعود معلمه ووزيره .

هذه الصفحات الاخيرة فيها سرعة في الاحداث والانتقال ، كأن المؤلف قد اطمأن إلى انتصار شخصياته ، وإلى أن التاريخ قد أنصفهم حين قدم عنهم كل

---

(١) المصدر نفسه ، ص١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعلومات بعد اسلامهم فدوره أن يجمع بينهم، وأن يقدمهم بطريقته الخاصة ، مبينا الجوانب الانسانية في الاسلام فهو ليس دين طبقة من الحكام والاغنياء . فالفقراء هم الذين ينشرون الدين ويحمونه. فالاحداث والشخصيات هنا تخدم الفكرة التي أرادها المؤلف، والمتمثلة في أنه بدأ الكتابة بالآية الكريمة (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) . وانهاه بالآية الكريمة (ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) .

المعذبون في مكة هم الذين انتصروا لأنهم مؤمنون . أما معذبو مصر فقد كتب المؤلف عنهم ايضا "المعذبون في الأرض" لكن الحلول التي طرحها في الوعد الحق كانت موجودة لا غنى عنها .

الوعد الحق "نوع من القصة أو المسامرة شبه التاريخية التي تحمل طابع صاحبها . . . الوعد الحق قريب من كتاب "على هامش السيرة" فهو مثله في اسلوب العرض، وإن كان أدخل منه في التاريخ ومخالفا له في الموضوع.

على هامش السيرة يدور حول السيرة أو مقدماتها . . وموضوع الوعد الحق توضيح لصدى الاسلام في نفوس اوائل الصحابة" (١) .

نتفق مع هذا الرأى في أن الوعد الحق نوع من القصة لكننا لا نرى في تعبير المسامرة شبه التاريخية شيئا ذا معنى . فالوضع هنا مختلف عن سيرة عنترة أسلوبا ومضمونا .

كما أن موضوع الوعد الحق وعلى هامش السيرة واحد ، فالجزء الثالث من على هامش السيرة يلتقي تماما مع الوعد الحق في شخصياته وان كانت شخصيات الوعد الحق كلها مؤمنة وشخصيات الجزء الثالث من على هامش السيرة خيّرة أو شريرة .

---

(١) محمد خليفة التونسي ، كتاب الشهر، مجلة العربي ، العدد ١٨٩ ، آب ١٩٧٤ ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ ــ في التيار الرومانســي :

الحب الضائع . . . قصة رومانسيــة :

نشرت هذه القصة مسلسلة في مجلة الراديو المصرى من ١٦/١٠/١٩٣٧ إلى ٢٥/١٢/١٩٣٧ ، ومن ٥/٢/١٩٣٨ إلى ٢٦/٣/١٩٣٨ اسبوعيا ، ثم صدرت في كتاب سنة ١٩٤٢ وقد ظهرت معها في الكتاب ذاته ستة فصول قصيرة نشرت جميعها قبل الحب الضائع وهي :

"الخيال الطارق" ؛ وقد نشرت في "الرسالة" في ١٤/٥/١٩٣٤ ؛ و"بين الحب والأثم" ، و"الحب المكروه" ، و"طيف" ، و"الحب اليائس" ، و"نفس معلقة" ، و"ثأر بيرينيس" ، وقد نشرت في مجلة "مجلتي" في التواريخ التالية وعلى التوالي : ١/٦/١٩٣٥ ، ١٥/١/١٩٣٥ ، ١٥/١/١٩٣٦ ، ١/٣/١٩٣٦ ، ١٥/٤/١٩٣٦ ، ١٥/١٢/١٩٣٦ .

والحب الضائع عمل مميز بين أعماله من حيث شخصياتها الفرنسية ، واختيــار مكانها وأحداثها اثناء الحرب الأولى في فرنسا ، لكننا نعرف أنه كان خلال هذه الفترة في فرنسا ، مما يبرر تأثره . بمجتمع عاش فيه وتعامل مع أشخاصه . وهي مميزة أيضا فــي هذا التصوير للعاطفة المثالية الحزينة ، التي وجدنا مثلها في شخصيات "العبــرات" و"النظرات" للمنفلوطي ، وفي الأدب الرومانسي في فرنسا . (١)

وهذه القصة كلاسيكية من حيث بناؤها الفني ، تعتمد أسلوب المذكرات الــتي تكتبها هنا فتاة فرنسية ، هذا الاسلوب الذى يرى فيه العقاد أدبا شاع بين القــرن السابع عشر والقرن الثامن عشر في طائفة المثقفين والمثقفات من أهل فرنسا . . . وشاعت كذلك بين الانكليز وبدأت عندهم على الارجح قبل ابتدائها عند الفرنسيين ، والأغلب في اعتقادنا أن كتابة المذكرات عادة سرت إلى ابناء فرنسا وانجلترا معا من عــادة الاعتراف التي دان بها التابعون للكنيسة الكاثوليكية زمنا في كلتا الأمتين" (٢).

---

(١) أشار زكي مبارك إلى أن الفرنسيين حين يترجم هذا الكتاب إلى لغتهم لن يقولــوا هذه بضاعتنا ردت الينا ، لأن طه حسين حين يقتبس يضفي ثوب الابتكار علــى الاقتباس ، وأهميتها في أنها تجسم العقد النفسية وصاحبتها دكارتيــة العقل . انظر : الرسالة ، عدد ٤٦٦ ، السنة العاشرة ، ٨ يونيو ١٩٤٢ ، ص٥٩٦-٥٩٨ فــي فصل لزكي مبارك بعنوان : الدكتور طه حسين يتحدث عن الحب الضائع.

(٢) عباس محمود العقاد : ردود وحدود ، ص٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه المذكرات تروى قصة فتاة فرنسية ،تختار دفترا تكتب فيه مذكراتها وتودعه اسرارها ،تختار الورق الذى تكتب عليه بعد حيرة ،ومن خلال أحاديثها له نتعرف عليها ،فهي فتاة فرنسية اسمها عند اسرتها "لين" واسمها الحقيقي "مدلين مورل" ،في العشرين من عمرها ،تنتمي إلى عائلة من طبقة متوسطة ،نراها في المذكرات وهي بعد في الرابعة عشرة تلميذة في الثانوية وأصغر اخوتها . تخرج أخوها الأكبر في كلية الطب ليعمل مع أبيه في مهنته ،وهو في الرابعة والعشرين ،وأخوها الثاني في الحادية والعشرين ،حاصل على اجازة الحقوق ،ويعد للحصول على الدكتوراه ،أما الأصغر فهو في السابعة عشرة ،حاصل على الثانوية ويود دخول مدرسة المعلمين في باريس.

بدأت الحرب وأخواها يفكر أولهما بالسفر إلى ايطاليا ،والثاني إلى تركيا واليونان ،أما الأصغر فيود السفر إلى جبال الفوج ،أما هي فقررت الرحيل مع ابويها إلى ساحل المحيط. لكن الحرب تفشل مخططاتهم فيتطوع أبوها طبيبا في الجيش ، ويصرع اخوها الأكبر في الحرب ،ويجرح الثاني ،ثم يتطوع الأصغر فلا يعود ابدا .

وهنا يتسرب الحزن للعائلة المحافظة ،وإن كانت الفتاة تبدو من مذكراتها تحاول التمرد على قوانين هذه الاسرة الريفية ،لكنها تظل بين الحزن العميق ورومانسية التفكير في شخص "ما" سيتقدم للزواج منها . وهنا نرى لمحات من المؤلف في وصف الريف والطبيعة ،من خلال المذكرات ذاتها .

وتظل مادلين ،وهي شخصية القصة الرئيسية محكومة لهذا الحلم برجل سيأتي ولهذه العلاقة الحذرة بأمها منذ أن عرفتا الحزن على الراحلين ،وهي تحاول القراءة المتواصلة حلا لهذه الاشكالات مع اشفاق ابيها الذى يقول: "وما أشفق على الشباب من شيء كما اشفق عليه من هذا العكوف المتصل على الكتب. ."(١)

وتسافر مادلين من قريتها الى المدينة عند عمتها ،لتجد حياة جديدة ،هذه الحياة ،كبقية احداث القصة ،مصورة باسلوب المؤلف الذى يرتفع عادة عن طبيعة الشخصيات. فمادلين ترى حياتها الجديدة حياة عند "الشواطىء" الباسمة الحزينة التي تبعث في النفس حزنا وابتساما ،والتي تدفع إلى كثير من التفكير الغريب المؤثر الذى لا يستبد به العقل ،وإنما يشترك فيه العقل والحسّ والشعور. ."(٢)

---

١) طه حسين ، الحب الضائع ،ص٤٧ .

٢) المصدر نفسه ،ص٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتدخل المؤلف باسلوبه ليعظ في مواقف كثيرة من القصة (١) . وتتعرف في زيارتها هذه إلى زوجها "مكسيم جورو" ، ويتزوجان ، وهنا تقف المذكرات لتنتقل إلى صفحاتها من جديد ولكن بعد ثلاث سنوات، فقد ازدادت مادلين شقاء ومعرفة بالحياة ، وانصرافا إلى نفسها ، وبعدا عن أهلها ومذكراتها . مع أنها تحب هؤلاء الأهل ، لكنها في هذه المرحلة انسانة : "ضعيفة عاجزة بائسة شقية" (٢) فقد عادت إلى بيت أهلها وغرفتها ، أضاع زوجها الثقة ، وخانها مع صديقتها "لورنس" سيدة عاد زوجها جريحا من الحرب وما لبث أن مات ، وتوثقت علاقتها بمادلين وزوجها ، وهي في رأى مادلين "قد وفت لنفسها ، ووفت لزوجها الشهيد ، ووفت لحزنها المتصل لصديقتها الوفية ، فلم تشارك في إثم ولم تغرنه ولم تدع إليه . . ." (٣)

كان زوجها محكوما لغرائزه لا لعقله ، وقد اكتشفت مادلين علاقته بصديقتها صدفة ، ذلك حين عبث ابنهما بأوراق أبيه . لكنها تصمت ، وهي هنا امرأة مثالية تكاد لا تعرف الغيرة ، ومن هنا يؤخذ على المؤلف أنه يقدم نموذجا مثاليا لا وجود واقعيا له .

كما أن مادلين هنا ، من خلال مواقفها وأحاديثها ، امرأة تكاد أن تكون ذات فلسفة واضحة في الحياة ، فلسفة الطيبة والخير والمحبة ، أما صديقتها لورنس التي تقور السفر ـ كما يبدو ـ لأنها تعيش صراعا بين الصداقة والحب ، فهي أكثر حيوية ونموا من مادلين ، إنها ليست أكثر من امرأة .

وتعود مادلين من بيت أهلها إلى زوجها "مستسلمة لحبه ، مذعنة لسلطانه ، عائدة إلى طاعته متجافية عن خيانته" (٤) تعود إليه لمدة ستة شهور ، وبعدها ، ترتد إلى شخصية المرأة الزوجة كما يجب أن تكون ، فنراها غيورة على زوجها ، حتى أنها ترفض ان تنجب طفلا آخر حتى لا يشغلها عن زوجها ، ونكتشف أن لورنس عادت إلى مدينة ثانية وتلتقي بمكسيم ، وعرف الناس الحكاية ، فبدأو يطعنون بها .

---

١) المصدر نفسه ، ص٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ .

٢) المصدر نفسه ، ص٦١ .

٣) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

٤) المصدر نفسه ، ص٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغريب هنا أن نجد في مادلين،حتى هذه اللحظة،هذا الوفاء للورنس،فهي تكتب إليها : "ما أشد شوقي أيتها الصديقة العزيزة لورنس، وددت لو استطعت أن أطير اليك لأضحك بين ذراعي . . ." (١) ،وإن كانت لا تعرف علاقة زوجها الجديدة بصديقتها ،فكيف نسيت ما مضى . وهي تبرر للورنس هذه المواقف بأن الانسان مستقر التناقضات،وأن الشهوة أقوى من العقل ،وأن الشر أعظم على نفوس الناس سلطانا من الخير. وهذه كما أعتقد آراء المؤلف نفسه .

وتبرز شخصية فيليب صديق زوجها ،ليخبرها بعلاقة زوجها مع لورنس في المدينة الثانية ،محاولا أن يستغل وضعها . ثم نراها مع رسائل لورنس إلى زوجها .

وتنتهي القصة بانتحار مادلين ولورنس؛ "وأصبح الناس ذات يوم وقد قرأوا في صحف الأقليم نعي سيدتين أهدت كل واحدة منهما نفسها إلى الموت" . (٢)

وتنتهي الاحداث هذه النهاية المأساوية ،لقصة كان موضوعها الحب الضائع والخيانة الزوجية . ورأينا الشخصيات تتكلم بلغة واحدة ،وتوصف من خلال المذكرات،وما تخللها من وعظ تقريري مباشر ،وباسلوب في كتابة القصة عادي بسيط .

أما القصص الأخرى الملحقة بهذا الكتاب والتي صدرت في السنوات الثلاث السابقة لنشره فأعرضها فيما يلي :

الحب اليائس:

وهي قصة كسابقتها ،وإن كانت ذات أهمية خاصة للدراسة في أن المؤلف قدم فيها بعض آرائه في فن القصة.(٣)

وهذه القصة عن راهبة فرنسية من بيت رفيع النسب والمكانة ،في الخمسين من عمرها ،ولها في الدير ما يقرب من ربع قرن . قتل أخوها في الحرب الكبرى . وتنقلت - راهبة - في العالم الواسع وعادت إلى وطنها ،حيث نراها مع مريض بالسل ،ونفاجأ بأن القسيس الذي يقبل ليهيئه للقاء ربه ،هو حبيب الراهبة القديم . . فتطلب أن

---

١) المصدر نفسه ،ص١٠٤ .

٢) المصدر نفسه ،ص١١١ .

٣) المصدر نفسه ،ص١١٣-١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنقل إلى مكان آخر، حيث تعترف لقسيس شيخ، وتندم لأن الاعنوام الطوال لـــم تنسها حبّها، ويطمئنها القسيس الشيخ بأنها امرأة وابنة الانسان، وأن الندم الطويل على الخطيئة شر من الخطيئة نفسها . . . وتعود إلى جزيرة نائية.

وهذه القصة لا جديد فيها، بل هي حكاية مألوفة ساذجة، ليس فيها هـــذا الصراع الذى يمكن أن يقدم حقيقة في مثل هذا الموقف.

الحب المكـــره :

وهذه ايضا قصة عادية من الجانب الفني كسابقتها، تروى حكاية امرأة فرنسيـــة تعمل خادمة واسمها "ليونتيسن"، وهي خادمة ماهرة وجميلة، ومغنية بارعـــــة و"فيلسوفة" (١)، تحب زوجها وتخافه. يصف المؤلف حياتها السابقة في قرية ساحلية من قرى المحيط، تتزوج شابا قويا يحد حريتها، ولا تستطيع معارضته. حياتهما منظمة، كذلك ابناؤهما، والقصة ذات هدف في سطورها الأخيرة حين تقـول إنها في وضـــع جيد لا فساد فيه. مثلها مثل "ايطاليا موسوليني"، و"المانيا هتلر"، أمورهم منظمـــة صالحة رغم بعدهم عن الحرية، ولكن المؤلف يرى أنه يريد الحرية، حرية الفرنسيات، ولعله يقصد حرية كل الناس.

فهذه القصة صريحة من الحياة أكثر واقعية من سابقتها، ولعلّه صوّر فيها وضـــع فرنسا بين الحربين، فرنسا الحرية بلا نظام، وايطاليا والمانيا النظام بلا حرية.

بين الحب والأثـــم :

هذه قصـــة امرأة تخون زوجها، مع أنها أمّ لابناء، فحياتها نعيم، وشقاء، ويأس ورجاء. تفاجأ ذات يوم بنعي عشيقها في الصحف، لكن النعي لا يعني لها غيـــر تغيير في مكان اللقاء، فتذهب إلى قبره، لكن منظرها عند القبر يمثل صراعها فهـي ثابتة في مكانها لا تستطيع التقدم ولا التأخر. لقد حيل بينها وبين صاحبها حيّـــا بالموت وميتا بالأثم. وتعود إلى بيتها . . . رفيقاها، احدهما صورة الزوج والابنـــاء، والثاني صورة القبر وصاحبه.

والقصة صراع عادى سطحي بين الواجب والحب، وهي ذات مضمون اخلاقـــي يتدخل فيها الكاتب واعظا قراءه بشكل مباشر.

---

(١) المصدر نفســه، ص١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفس معلقـــة :

هذه القصة خيالية ،فيها قدرة المؤلف على التصور والوصف ،من خلال وصـــف يسمع فيها صوت نفس انسانية متألمةتعرب عن ألمها ،معذبة مستغيثة مستنجدة .

والقصة أقرب إلى احلام اليقظة والخواطر الخيالية ،لأنه ظن الصوت لشخـــص من ذوى معرفته . يغادر المدينة إلى أخرى عند المحيط ،ليكتشف المؤلف أن صديقا له قد سمع الصوت ذاته ،وحمل منه رسالة إلى صديق لهما ،والصوت صوت صديقـــة يعرفـــانها .تحملهمارسالة إلى خليل لها ،وهذه الصديقة قـــد ماتت قبل شهرين . وعندما عادا إلى أرض الوطن وجدا صديقهما على فراش الموت. وتنتهي هذه الحكاية والمؤلف حائر في تفسير أحداثها .

ثأر بيرنيـــس:

باسلوب العرض المعروف عنه ،بالتداخل والدقة ،يقدّم هنا تحليلا لـ بيـــا لـــــلرواية "راسين" عن بيرنيس" ،ويربطها بحكاية زواج ادوار الثامن .

فالقصة الأولى "ثأر بيرنيس" رومانية قديمة وقصة الملك ادوار انجليزية حديثة . فادوار تنازل عن العرش لاخيه ،وهذا شبيه في مسبباته بما حدث لتيتوس الامبراطور وصاحبته بيرنيـــس ملكة فلسطين . ويعرض المؤلف رواية راسين ،حيث آثرت بيرينيـــس الحب على الوطن ،مع أن القيصر كان يحارب أهلها ، فصور راسين صراع الحب والواجب فقد ضحت هي بالوطن لكن القيصر لم يتزوجها وفاء لقوانين روما .

فهذا الفصل "مقال" ذو طابع وصفي في العرض.

الخيال الطـــارق :

مكان هذه للحكايةفي مصر ،وهي عن صاحب له يضيق بحياته ،يقرأ رسالـــــة الغفران ،يناقش صاحبه فيها ،يمرّ به طيف صديقله (كما في نفس معلقة) ،تحدثـــه عن سبب موتها ،فهي لم تمت بالمرض فقط ،بل بالحب ،فقد تركها زوجها حين مـــلّ الحياة معها وهي مريضة ،لكنها ظلت تحبه . ويملّل المؤلف لصاحبه بأن هذا الذى سمعه مجرد أشباح وخيالات.

وهذه الحكاية ايضا "مقال" ذو طابع وصفي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طيـــــــــف:

قصة أم تعيش حزينة مع أطياف ابنة لها ماتت، يطيل في محاولة التعرف علـــى نفسيتها وما فيها من صراع . وهي محاولة لنصح الأم بالابتعاد عن التشاؤم والحزن .

وهكذا نرى في الحب الضائع القصة ، والفصول الملحقة بها، هذه الرومانسيـــة المتمثلة في الجوانـــب المثالية ، ووصف الطبيعة ، والاغراق في التضحية ، ووصف الاشباح والأوهام والخيالات. فهناك خيط يربط بين جميع الفصول هنا ، خيط يمثله الاسلـــوب وتمثله النزعة الرومانسية الغالبة على الكتاب.

فالحب الضائع بقصصه وفصوله كتاب ذو طابع مميّز ، فيه تصوير للريف الفرنســي، بطبيعته وأناسه ، وهذا الكتاب لا جديد فيه، فمثله أعداد من الكتب ذات الموضـــوع نفسه ، وفيه انشغال بالهدف وجعل الاسلوب واحدا ، مع أن هذا الاسلوب طلـــي يناسب هذه القصص الحالمة ، والشخصيات الحائرة بين ضعفها وقوتها ، وحزنهـــا وسعادتها ، وتمردها وخضوعها .

ولعلنا نلمح هذا التركيز على شخصية المرأة عنده ، ونساء هذا العمل مثاليات إلى حد بعيد ، ومن خلالهن يقدم آراءه في الزواج والخيانة الزوجية والأمومة والحب والوفـــاء .

ولعل دراسة العقاد لهذا العمل خير ما يبين جوانبه ويعطي حكما دقيقـــا عليـــه .

يقول العقاد إنه يرى شبها بين هذه الرواية ورواية فرتر: تتشابه في جـــو الطيبة والوداعة الذى يغمر القارئ ، وهو يتقدم في قراءة الروايتين . . . طيبـــة جادة تعرف كيف تستسلم وكيف تجمع. . . هي طيبة الجو كلّه ، وإن برزت فيها الخيانة كما تبرز الشياطين في حظيرة الملائكة المطويين ، . . . . والسؤال الذى يخيل إلـــى أنني سامعة من كل لسان في هذا الموقف هو: أفي العالم اليوم مثل هذا الحـــب؟ وإن كان في العالم أفي اوروبا ؟ وإن كان في اوروبا ، أفي الديار الفرنسية ؟"(١)

أما الفصول الملحقة ، فإذا كان العقاد يرى في قصة الحب الضائع طابع الصدق الفنـــي والصدق الواقعي وأنها تستحق أن تقرأ وتحفظ، فإنه يرى في الفصول الملحقة بهـــا

---

١) عباس محمود العقاد : رود وحدود ، ص٨٢ ، ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصصا : "تنتهي الواحدة منها في بضع صفحات، تختلف في نمط التأليف، وفي سرد الحادث وصور الأبطال، ولكنها تتفق في مزية واحدة تحمد للمؤلف الكبير، وهي مزية الجد في تصوير العاطفة التي هانت على ألسن الناس . . . فليس الحب الذى تحكيه هذه القصص الصغار نزوة جسد ولا مشغلة فراغ . . . ولكنه كما يجمل بالانسان : كأس تصلح أن يملأها الموت، كما تصلح أن تملأها الحياة".(١) .

---

(١) المرجع نفسه، ص٨٤ .

ملاحظة : أشار مؤلف كتاب "أعلام المعاصر في مصر" ١ . طه حسين إلى "الحب الضائع" وقالا : إن طه حسين قال في مقدمته لها إنها ترجمة لكتاب فرنسي غير مطبوع أنظر ص٧٩ . وقد تتبع الباحث طبعات هذه القصة فلم يعثر على هذه المقدمة، كما أن هذه القصة والقصص المنشور معها هي من مؤلفات طه حسين، ولم يشر أى دارس من معاصريه، الذين كتبوا نقدا لها حين صدورها، إلى شيء من ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- على هامش الرواية والقصة القصيرة :

ضمن الحديث عن فن الرواية عند طه حسين ، يجد الباحث فصولا متناثرة في بعض المجلات ، وفي كتبه التي هي عبارة عن فصول سبق نشرها في فترات مختلفة . وقد أدرج الباحث هذه الفصول تحت هذه العنوان لأنها تتراوح بين عمل يختلف الدارسون هل انتهى أم لا مثل "ما وراء النهر" . وبين أعمال يمكن أن يصنف بعضها قصة قصيرة وبعضها الآخر مقالا قصصيا أو صورة قصصية .(١)

وهذه المجموعة هي :

أ- ما وراء النهر : وقد نشرت فصولا في "الكاتب المصرى" عامي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ثم نشرت في كتاب بعنوان "ما وراء النهر - قصة لم تتم" ، وذلك في الذكرى الثانية لوفاة طه حسين سنة ١٩٧٥ .

ب- ثلاثة فصول في مجلة القصة سنة ١٩٤٩ وهي : "نذير" ، و"عيشا سعيدين" ، و"الشهب الحمر" ،

جـ- في الصيف ، كتبه ١٩٢٨ ، ثم نشر سنة ١٩٣٣ .

د- جنة الشوك : ١٩٤٥ .

هـ- رحلة الربيع : ١٩٤٨ .

و- مراة الضمير الحديث : ١٩٤٨ ، وطبع سنة ١٩٥٣ بعنوان : نفوس للبيع ، وكان قد نشر بعضه في "الهلال" عامي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ونشر فصل منه في "المصور" سنة ١٩٤٧ .

ز- هنا الحيوان : ١٩٥٠ .

ح- أحاديث : ١٩٥٧ ، ظهرت بعض فصوله في "الرسالة ١٩٣٤" ، وفي "مجلتي" ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ .

ط- بين بين : ١٩٥٢ ، وكانت بعض فصوله قد نشرت في "السياسة" سنة ١٩٢٣ ، وفي "المصور" سنة ١٩٤٧ .

ى- من لغو الصيف : ١٩٥٩ .(٢)

---

١) وضع الدارس "المعذبون في الأرض" ضمن كتب طه حسين ذات الاتجاه الواقعي ، مع الاشارة إلى أنها قصص قصيرة .

٢) لطه حسين كتاب بعنوان "من لغو الصيف إلى جد الشتاء" ، وهو مقالات وأحاديث سبق ونشرت في "الرسالة" و"الهلال" ، والثقافة "بين عامي ١٩٣٣ ، ١٩٤٠ ، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الكثير مما تقدم ذكره من فصول تميل إلى أسلوب المقالة القصصية ، وبعضها إلى أسلوب الرسائل أو الخواطر ، بينما يأخذ بعض منها طريقة السرد التقريـــــرى المباشر مما أفقدها مزايا القصة القصيرة ، وجعلها تعاني من ضعف التركيب الفنـــي ، وتنوع الأساليب وفي بعضها بذور قصص قصيرة ، وسوف نتحدث عنها في الصفحـــات التاليـــة .

أ ـ ما وراء النهـــر :

ـ رواية لم تتـــــم ـ

هذه الرواية غير كاملة ، فقد نشرت منهـا فصول أربعة في مجلة "الكاتب المصرى" ، التي كان طه حسين يرأس تحريرها وفيها نشر أيضا فصول "المعذبون في الأرض" وبعض الدراسات الأدبية .

وهذه الفصول من "ما وراء النهر" منشورة في الاعداد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، في الفترة من نوفمبر ١٩٤٦ إلى فبراير ١٩٤٧ ، ومجموعها يكاد يكون في خمسين صفحـة من الحجم المتوسط (١) .

ونحن لا نعرف السبب الذى جعل كاتبها لم يكملها ، وليس هناك من اشارة دقيقة تبرر هذا الانقطاع ، فقد استمر بعد توقفه عن نشرها ، في نشر فصول أخرى في المجلـة ذاتها ، واذا كانت ظروف خاصة شغلته في هذه الفترة عن إتمامها ، فقد عاش بعـــد ذلك ما يقرب من ثلاثة عقود ، كانت تسمح له ، لو أراد ، أن يكملها .

وقد سئل طه حسين في مقابلة تلفزيونية في أواسط الستينات وأذيعت أكثر من مرة بعد وفاته ، عن سبب عدم إتمامه عمله هذا فقال : "إن الظروف حالت دون ذلك" (٢)

وقد سبق أن قلنا عند حديثنا عن آرائه في فن الرواية إنه قدم في هذه الفصول إلى جانب الأحداث والشخصيات أهم آرائه في فن القصة ، من خلال حديثه عن زمـــان هذه القصة ، ومكانها ، وهدفها .

---

(١) صدرت ما وراء النهر سنة ١٩٧٥ في كتاب عنوانه : "ما وراء النهر ـ قصة لم تتم" ، وقد كتب المقدمة محمد حسن الزيات ، وكان قد نشرها في الطليعة . وتقع هذه الطبعة الاولى الصادرة عن دار المعارف بمصر في ١٠٣ صفحات تشمل المقدمة والقصة ، وكان صدورها في الذكرى الثانية لوفاته . وقد اعتمد الدارس القصة كما هي في "الكاتب المصرى".

(٢) اذيعت هذه المقابلة من التلفزيون الأردني ثلاث مرات ، كان اخرها بتاريخ ١٩/١١/١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدأ طه حسين هذه الفصول بوصف ربوة يقوم عليها قصر فخم، حوله شجر وزهر، جازما أن هذا المكان لا يمكن أن يكون في القاهرة، مركزا على أهمية المكان في العمل الفني، ويتحدث عن البيئة وأثرها في أقوال الناس وأعمالهم، مبررا سبب كتابته لهذه القصة بقوله للقارئ: " فأنت محتاج اليها لتنفق الوقت في القراءة، وأنا محتاج اليها لانفق الوقت في الاملاء، والمجلة محتاجة اليها لتملأ عددا من الصفحات . . . . " (١)

ويلفت النظر أنه يسعى إلى الحديث عن مصر وظروفها من خلال ابتعاده في مكان القصة عنها، مبررا ذلك بأن ما في القصة من أحداث ظالمة لا تتفق وطبيعة شعب مصر الذين " لا يحبون كما يحبون العدل، ولا يبغضون شيئا كما يبغضون الجور . . . . . ولا يرفعون أنفسهم عن شيء كما يرفعونها عن مقارفة الاثم ومصاحبة الفساد" (٢). ونحن نعرف أنه في الاربعينات اهتم بواقع الناس في مصر من خلال " أحلام شهرزاد "، و "شجرة البؤس"، "المعذبون في الارض"، ويكرر هنا هذا الحديث عن صفاء شعب مصر ونقائه حتى كاد وا الوصول الى مستوى الملائكة!! وهو يقصد عكس ذلك.

يستمر في هذا الحشد مقترحا أن تكون الربوة في اسبانيا. وهنا تتحدد أبعاد القصة الاجتماعية بظهور قصر للسادة وقرية للفقراء، أولها في منتهى الجمال، والثاني في منتهى القبح، مقترحا على القارئ أن يشترك معه في الوصف. فقصته هذه تحتاج مشاركة ايجابية من القارئ. ولعلنا نلمس في الفقرة التالية سببا لعدم إكمال القصة. لكنه سبب ضعيف، اذ يقترح على القارئ" هذه القصة لا تحتمل القراءة السلبية، بل هي لا تقوم إلا على المشاركة الايجابية بين الكاتب حين يرسم الخطوط، وبين القارئ حين يتم الرسم ويملأ ما بين الخطوط من فراغ" (٣)

كل هذه المقدمة ولم تظهر الشخصيات بعد، وهو يتنبه إلى هذه الاطالة، لكنه لا يريد أن يكون خادما للقراء أو أن تكون آذانهم أفواها وعقولهم بطونا، بل يريد علاقة الزمالة بينهم ومعهم.

---

١) طه حسين: ما وراء النهر، مجلة الكاتب المصري المجلد ٤، العدد ١٤، سنة ٢، نوفمبر ١٩٤٦ صفحة ٢١٤.

٢) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

٣) المصدر نفسه ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يرى ضرورة في هذه المقدمات. لينقلنا فجأة الى الحديث عن قصر وقرية في قصة " فرانس كافكا " : " القصر"، بادئا بتحديد العلاقة بين القرية الملقاة على السهل، والربوة المشرفة على النهر. والفرق بينه وبين كافكا في رأيه أن ربوته وقصره واقعيان بينما هما عند كافكا رموز. ثم تبين معه علاقة أهل القصر بأهل القرية وهي علاقة سادة مستغلين بفقراء مستغلين. ثم يبدأ في عرض شخصيات القصة بظهور شاعر في الستين " راهب "، و البستاني " عثمان "، والخادم "ابراهيم". وهنا ينتهي الفصل الاول لنراه في الفصل الثاني يتحدث عن النهر المار من أمام الربوة وعجز الناس عن معرفة ما على ضفته الاخرى، وخوفهم العبور اليه، ولعله بذلك يرمز بالنهر الى الحاجز الذى عرفه في مصر بين الاغنياء والفقراء. فلم نسر إلا الشاعر يحاول أن يكشف أسرار النهر.

الشخصيات الجديدة والرئيسية هي : صاحب القصر "رؤوف"، ابنه في العشرين "نعيم"، وهنا نجد أنفسنا أمام الصورة المقابلة من خلال شخصيات تمثل الفقراء وهي العائلة الفقيرة في القرية وابنتهم "خديجة" التي يعمل والدها حدّاء، وتأثم كما فعلت هنادى في " دعاء الكروان"، تأثم مع ابن سيد القصر الذى نلمح في شخصيته عطفا على وضع الفلاحين. لعل مبرر هذا العطف عشقه لابنة الحدّاء. وما إن يعرف أبوه قصته حتى يأمر بطرده. والمؤلف بين كل هذه الاحداث يلجأ الى التقرير المباشر وعلى السنة شخصياته مثل : الحديث على لسان نعيم في حواره مع الشاعر (١).

ويقطع هذا التداخل حركة القصة، تضيع أحداثها على بساطة هذه الاحداث. فهو يعود إلى وصف قرية خديجة وأهلها ووالدها محمود وامرأته محبوبه وأبنائهما أحمد وعلي. وقد عرف أهلها قصتها مع نعيم الذى ما يلبث أن يخطفها - بموافقتها - ويسافران إلى العاصمة. فيغضب احمد ويلحق بهما ويقتلها، يحدث هذا المشهد في الفصل الثالث المنشور في الكاتب المصرى. وهو تماما ما حدث لهنادى من خالها ناصر.

هذا التصور للصراع لا جديد فيه، لكن هذه الطريقة في العرض غير واضحة الأهداف. فنحن نجد في هذه الفصول، ما يقرب أن يكون نصفها، حديثا في الفن

---

(١) الكاتب المصرى، العدد ١٥، ص ٤١٠، ٤١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقصة والآراء الاجتماعية ، مما ينعكس على الشخصيات ويجعلها مسطحة كهذه الإطالة بعد ذلك في وصف صاحب القصر وحياته ، وهذا الشاعر السلبي الذى لا يتفق في تصرفاته مع موقف الكاتب نفسه من الفن . ولا يلفت النظر سوى فقرة على لسان هذا السيد حين علم بمصرع خديجة فهو يقول : " ماتت خديجة ، قتلها أخوها انتقاما لشرفه في ما يظهر ، كأن لأمثال هؤلاء الناس شرفا تراق في سبيله دماء . " (١) .

لكننا نلمح بشكل غير واضح أن روح الثورة بدأت تدب في البائسين من أهل القرية ، لعل بداية هذه الثورة غير معروفة . وأبرز مبرراتها مصرع خديجة . وسيد القصر يحس بذلك ويخافه ، فقد كان هؤلاء الناس سعداء بالعطف والخدمة ، فيجب أن تكون للسادة معهم سيرة جديدة .

نرى حاكم الاقليم زائرا عند رؤوف حيث يخطط لسفر نعيم الى إيطاليا ، ليهدأ قلبه ، ويجرب الحياة ، وترتاح نفوس أهل القرية ، أما الشاعر فسوف يصحبه . ونرى في النهاية شخصية خليل كاتب القصر يرسله سيده ليواسي الحدّاء في ابنيه القتيل والسجين ، فهذا أقصى ما يمكن أن يتوقع منه ، لكن سيد القصر يطلب أيضا ترحيل الحدّاء وعائلته من القرية .

ويوجز المؤلف في تفصيل الأحداث . فالفتى قد ارتحل ، والشاعر عاد من رحلته . ويترك للقارىء أن يتصور ما يحدث لهؤلاء الناس.

لكن أبرز ما في القصة هذا المشهد الذى نرى فيه الشاعر وصاحبه رؤوف يتحدثان ، يشير رؤوف إلى الشاعر أن يرى ماذا وراء النهر ، فيرى نارا تتألق على القمة ، عهدهم بها منذ أشهر ، أى منذ أن بدأت تلك الأحداث . ورؤوف قد رآها منذ تلك الليلة حيث ربط بين ظهور هذا اللهيب وبين مصرع تلك الفتاة التي أغواها ابنه وقتلها أخوها . فبين الفتاة وداره هذه أسباب . فهي تشير بهذا اللهب الى ما بينها وبينا من هذه الاسباب كما يقول رؤوف .

لقد صرعت الفتاة فبدأ عذاب رؤوف ، فنفسه تنازعه إلى عبور النهر ، وشاعره يخشى على عقله الاختلاط وينصحه بالرحيل . وينتهي هذا الفصل وقد كتب في آخره (يتبع) . وآخر سطور فيه قول الشاعر " وفي القصة اذا شيء غير ما علمت ، قال رؤوف نعم في القصة أن هذه الفتاة كانت قد وقعت من نفسي موقعا غريبا قبل أن يفتن بها نعيم . " (٢) . وينتهي ما نشر من " ما وراء النهر عند هذه الفقرة .

---

١) الكاتب المصرى ، المدد ١٧ ، ص ١٧ .

٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي ما وراء النهر كما نشرت . صراع بين طبقتين : غنية فاسدة ، وفقيرة بائسة ، بينهما حاجز عميق يجتازه الحب فينتهي إلى جريمة ، لكن السلطة مع الاغنياء . فنعيم يسافر ولا يسأل ، والفن ممثلا بالشاعر مرقّه عن الأغنياء . لكن هذا الفساد ، ما إن يبلغ ذروته ، حتى يؤدي إلى جنون صاحبه . ولعل النار رمز للدعوة إلى الإنتقام مثل تلك الاشباح والاوهام الحمراء التي لاحقت آمنة في "دعاء الكروان" .

لعلنا نضيف أيضا أن أهمية هذه القصة تأتي من حيث أنها تبرز آراءه في هذا الفن ، وأنها كتبت في النصف الثاني من الاربعينات ، مما يجعلها من آواخر ما كتب في هذا الفن ، كما أنها ايضا غير معروفة لدى قطاع واسع من قراء طه حسين . وأن فيها مضمونا اجتماعيا بارزا .

ولم تكتب عنها اية دراسة سوى ما كتبه الدكتور محمد حسن الزيات كمقدمة لـ"ما وراء النهر" حيث قررّت أسرته ان تنشرها في ذكرى وفاته الثانية . ومع أن الدكتور الزيات من أقرب الناس إلى طه حسين ، فهو زوج ابنته ، فانه يطرح السؤال على الدارسين حول السبب في عدم إكمالها ، وما علاقتها بشجرة البؤس والمعذبون في الارض ، وما هي التطورات المحتملة لشخصيات العمل الفني هذا .

يشير الدكتور الزيات ايضا إلى هذه الفترة من حياة طه حسين ، ودعوته إلى تكافؤ الفرص ، مما نشر في مجلة الكاتب المصرى فقد كتب "المعذبون في الأرض" وكتب فصلا هاما بعنوان "ثورتان" ، عن ثورتين هدفتا إلى الاصلاح الاجتماعي هما "ثورة سبارتا كوس" ، و"ثورة الزنج" . والعمل الثالث المنشور في هذه المجلة هو الذى بين أيدينا .

ويقول الدكتور الزيات عن السبب في عدم اكمالها : "لقد كان يرسم خطوط القصة كما قال ، وترك للقارىء أن يتم الرسم ويملأما بين الخطوط من فراغ . لعله ترك للقارىء أيضا أن يختتم القصة كما يريد ، هل ترك القصة بغير نهاية عن ارادة وعمد ."(١)

ثم يرجح الدكتور الزيات أن طه حسين شغل لسبب من الأسباب . لعل هموم الأدب والتعليم وتولي الوزارة وتحقيق تكافؤ الفرص بعد ذلك في عهد ثورة ٢٣ يوليو . لكن الاسئلة تظل مطروحة . فالقصة كما هي تعطي تصورا واضحا لفكر طه حسين . وهي عمل يبدو تقليديا واضح المضمون محدد الشخصيات والاحداث .

---

١) محمد حسن الزيات ، طه حسين وروايته التي لم تتم ، الطليعة ، العدد ١٢ ، السنة ١١ ، ديسمبر ١٩٧٥ ، ص١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أتوقع اية مفاجأة فنية فيما لو أن مؤلفه قد اكمل كتابته في تلك الفترة أو بعدها . ولعل أبرز ما فيها هذه الرموز التي بقيت معماة مثل خوف الناس من عبور النهر، وسر الجبال الشاهقة التي ترتفع خلفها والذين يعبرون ولا يعودون . وسر النار التي اشتعلت فوق القمة، وصلتها بالفتاة وبالقصة .

تبقى كل هذه الاسئلة، وتبقى "ما وراء النهر" عملا يحتاج إلى جلاء خدمة للتاريخ الأدبي لطه حسين . ويبقى رأي نتفق فيه مع الدكتور الزيات وهو أن يكون طه حسين قد أنهى ما وراء النهر كما هي، وترك للقارئ أن يشغل بها، إذ أنها تحوي احداثا رئيسية واضحة لا تحتاج إلى مزيد من التفصيل .

وإذا كان الدكتور الزيات لم يقرر أن القصة قد انتهت، فإن المستشرق جاك بيرك يرى أن القصة قد انتهت، فعلا، ففي محاضرة القاها في دمشق في آب - ١٩٧٦ بعنوان "نحن وطه حسين" يقول عن "ما وراء النهر": "وهو رواية نشرت بمناسبة مرور سنتين على وفاة طه حسين بعنوان (رواية غير مستكملة)؟ بيد أنها ليست كذلك، فقد أنهاها طه حسين فعلا، وانتهى معها وهو يكتبها". (١)

وبعد أن يشير إلى أحداث القصة يعلق بقوله : "هذه نهاية القصة . فهؤلاء الذين يجدون الرواية غير مكتملة عليهم أن يبقوا على فكرتهم الناقصة". (٢)

إلى هنا كان الباحث قد وصل في متابعته لقضية هذه القصة التي لم تتم، وأبدى اهتمام قراء دارسيها مثل : محمد حسن الزيات وجاك بيرك كما هو واضح في الأسطر السابقة . وكان في ذهنه أيضا أن القصة تكاد تكون من جانبها الفني غير قابلة لمزيد من الأحداث، وليست هي القصة الأولى التي لم تكتمل في أدبنا، فقد كتب محمد السباعي قصة الفيلسوف ولم يكملها وقام بمهمة إتمامها ابنه يوسف السباعي، ولم يرحب طه حسين في مقدمته لها بما فعله الأبن، وقال في ذلك: "وليست أخفي على الأستاذ يوسف السباعي أني كنت اوثر أن تنشر قصة أبيه منقوصة." (٣) كما أن محمد عبد الحليم عبد الله ترك قصة لم تكتمل (٤) .

---

١) جاك بيرك: نحن وطه حسين (ترجمة سهاة فرح الخوري) مجلة المعرفة، العدد ١٧٤ آب ١٩٧٦، ص٥٠ .

٢) المرجع نفسه، ص٥١ .

٣) محمد السباعي : الفيلسوف، ص١٢ .

٤) يوسف الشاروني : الرواية المصرية المعاصرة، ص١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفوجىء الباحث وهو يعد رسالته للطباعة بفصل جديد من قصة "ما وراء النهر"، فقد صدر في مصر بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٧٦ العدد الأول من مجلة جديدة تحمل إسم "أكتوبر"، تضم فصلا بعنوان "الشاعر"، قدّم له محمد حسن الزيات ناشر "ما وراء النهر" سنة ١٩٧٥، ويقول في هذه المقدمة إنه بعد أن نشر الفصول الأربعة التي سبق نشرها في "الكاتب المصرى" عامي ١٩٤٦، ١٩٤٧ تبين له أن طه حسين قد أضاف إليها فصلا "لا يعد خاتمة لها، وهو الفصل الذى تنشره الآن لأول مرة مجلة أكتوبر". (١)

لم يشر الدكتور الزيات كيف وأين تم له العثور على هذا الفصل، كما لم يشر إن كان هناك غيره. وإذا كان يرى هنا أن القصة لا تنتهي بهذا الفصل فهو مختلف في ذلك مع أبيرك الذى سبق وذكرناه، كما أن الفصل لا يجيب على التساؤلات التي طرحها الزيات نفسه في مقدمته للطبعة الأولى من قصة "ماوراء النهر". (٢)

في الفصل المنشور لا يجد الباحث صعوبة في أن أسلوب طه حسين واضح فيه، كما لا يستطيع أن يشك بأمانة الزيات العلمية. فهذا الفصل تركيز على شخصية الشاعر، إحدى الشخصيات الرئيسة في "ما وراء النهر"، ويكشف لنا هذا الفصل عن نقطة هامة في الفصول التي سبق نشرها وهي سر هذا اللهب المضطرب على تلك القمة من وراء النهر، إذ كان رؤوف سيد القصر يراها بينما الشاعر لا يرى شيئا، بل كان يوافق سيده تملقا له.

كان الشاعر يدون ملاحظاته، وكان حريصا على علاقته بسيده، كانت هذه العلاقة قد بدأت بطريقة غريبة، فقد كان الشاعر بائسا شقيا فقيرا يلتمس عطف الناس، وحين التقى بهذا السيد ذات يوم في جمع من أصدقائه إتصلت أسبابه به، ولم يعد يفترق عنه، فتحول من مشرد إلى نديم وأصبح الأثير عند رؤوف يسليه ويداريه، ويقيم معه في قصره، ويتنقل معه حيثما ذهب، ليتجنب غضبه ويتحول إلى "خادم من خدمه أو موظف من موظفي قصره". (٣) وكان إلى ذلك كله يرضي غرور سيده بأن يكتب له بعض المقالات لتنشر باسمه، فيزداد بذلك سرورا.

---

١. محمد حسن الزيات: فصل لم ينشر من قصة ما وراء النهر، مجلة اكتوبر، العدد الأول، ١٩٧٦، ص٦١.

٢. طه حسين: ما وراء النهر، مقدمة محمد حسن الزيات، ص١٦، ١٧.

٣. طه حسين: شاعر القصر، مجلة اكتوبر، العدد الأول ١٩٧٦، ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن شخصية الشاعر هنا نموذج لفنان ضعيف الشخصية، بعيد عن الانتماء الحقيقي وعن تقدير قيمة فنه. لقد اتصل بسيد القصر فنشر لشعره، لكنه خسر باتصاله به شخصيته وفنه، لأن فلسفته في الحياة كانت تقوم على قوله: " وما دامت الحياة ميسرة لي كأحسن ما يكون اليسر فلا عليّ أن أكون سيدا أو عبدا ولا عليّ أن أكون عزيزا أو ذليلا." (١)

هذه لمحة عن الفصل الذي أضيف إلى هذه القصة، وهو بدون شك ليس نهايتها، ولا ندري أيضا هل مكان هذا الفصل يأتي بعد الفصول التي نشرت أم بينها، ويترك الباحث الاجابة عن هذه الاسئلة لعل شيئا آخر ينشر، كما أنه يود أن يشير هنا إلى أن طه حسين لم ينشر هذا الفصل في أي من كتبه أو في الصحف التي تعامل معها حتى وفاته.

ب - ثلاثة فصول في مجلة القصة سنة ١٩٤٩:

١. نذير: نشر طه حسين فصلا بهذا العنوان في مجلة القصة بتاريخ ٥/١٠/١٩٤٩. وقد أشار مؤلفا كتاب "أعلام الأدب المعاصر في مصر ١. طه حسين" (٢) إلى أن هذا الفصل مع فصليه "عيشا سعيدين"، و"الشهب الحمر" المنشورين في المجلة ذاتها، تصنف في باب القصص القصيرة. غير أن الدارس يرى في هذا نقصا في الدقة، فقد صنف المؤلفان أيضا فصلا بعنوان "الساحرة المسحورة" (٣) نشر في الكاتب المصري على أنه قصة قصيرة وهو مقالة، وقد نشرت في كتاب "ألوان" للمؤلف. (٤)

---

١. المرجع نفسه، ص٦٣.
٢. أنظر: حمدي السكوت ومارسدن جونز: أعلام الأدب المعاصر في مصر ١. طه حسين، ص٨٠.
٣. المرجع نفسه، ص٨٠.
٤. طه حسين: ألوان، ص١١٩-١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الفصل "نذير" عن معركة بدر، يبدأه بوصف حال مكة حين بدأت النبوة تغير واقع الناس، ومن خلال رؤيا للعباس بن عبد المطلب يصف رجالات قريش وردود فعلهم نحو النبي، ثم ما حدث لقريش في معركة بدر، ولا يفوته أن ينتقل في النهاية إلى ربط حديثه بواقع الناس في عصره فهو يرى أن على المحبين لأوطانهم أن يروا كما رأت عاتكة "رجلا قد أقبل على جملة من أدنى الأرض . . . يصيح : وا صباحاه! واصباحاه! هلموا فانظروا إلى مصارعكم بعد ثلاث".(١)

٢. عيشا سعيدين : نشر المؤلف هذا الفصل بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٤٩، وهو عن دنيازاد شقيقة شهرزاد، بطلة ألف ليلة وليلة، واسلوبه في هذا الفصل قريب من اهتمامه بشهرزاد في "القصر المسحور" و"أحلام شهرزاد".

ويبدأ حديثه غداة الليلة الأولى بعد الألف، تحاور دنيازاد شقيقتها، إذ نرى الحب ينمو في قلب هذه الفتاة التي ظلت على هامش الأحداث مع شقيقتها، وفية للحب الذي رأته بين شهريار وشهرزاد، وهي هنا غاضبة لأن النعيم الذي تعيش فيه شهرزاد قد حجب عن عقلها نور المعرفة وأنساها كل شيء إلا نفسها. ثم يصف المؤلف لقاء شهريار بشهرزاد، ومعه كتاب من دنيازاد تصرّ على أن لا يقرأه الملك إلا بحضرة زوجه، وفيه رجاء لهما أن يعيشا سعيدين فقد كتب الشقاء على غيرهما، فقد نعمت هي بحبهما، ولكن هذا الحب نما في قلبها، ولم تعد تستطيع أن تظل محافظة على نقاء هذا الحبّ، فليس أمامها إلا الرحيل. وقد فعلت ذلك. وينتهي الفصل وشهرزاد منفضة على غيبة اختها وشهريار يقول : "ما أكثر ما عرضت عليها أعاجيب السحر والجنّ، فمن يدري لعلها أصبحت إحدى هذه الأعاجيب؟"(٢)

٣. الشهب الحمر : نشر هذا الفصل بتاريخ ٥/١١/١٩٤٩، وهو عن "بسر بن ارطاه" أحد قادة الأمويين زمن معاوية، قائد يعشق الدماء، وقد نفذ أوامر سادته بشكل دقيق، وروّع الناس في الجزيرة وأذاقهم العذاب انتقاما

---

(١) طه حسين : نذير، مجلة القصة، عدد ٥/١٠/١٩٤٩، ص ٥، ٦.

(٢) طه حسين : عيشا سعيدين، مجلة القصة، عدد ٢٠/١٠/١٩٤٩، ص ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لثوراتهم على الحكم ،ولمقتل عثمان ،ووصل به الأمر إلى اغتيال طفلين لعبيد الله بن عباس والي علي على اليمن ،وتصاب والدة الطفلين بالصرع،وتجوب الاحياء باحثة عنهما حتى يراها راجل من اليمن ومن شيعة علي فيقرر الانتقام لولديها ،ويصل الشام متنكرا ويغتال ابنين لبسربن أرطاه ،ليذيقه مرارة حزن الام على طفليها اللذين قتلهما . ويرى الناس بعد ذلك بسرا وقد تقدمت به السن شيخا مضطرب العقل بيده سيف من خشب وأمامه زق منفوخ، يدعو للقتال وينذر ويتوعد .

من خلال هذا التعريف الموجز بالفصول الثلاثة ،ومن دراستها كاملة لا يرى الدارس أنها قصص قصيرة ،بل هي لوحات،صوّرت الاولى أجواء معركة بدر بطريقة عرض قريبة من الخاطرة ،وصوّرت الثانية إحدى شخصيات ألف ليله وليله بلوحة فنية جميلة ،أما الثالثة فصورة لما كان عليه عنف انتقام بني امية من شيعة علي من خلال عرض لنفسية أحد القادة الذين شاركوا بهذا الانتقام. وقد وفق المؤلف في عرض هذه الصور بطريقة بعيدة عن التقرير التاريخي أو المباشرة في الوعظ.

جـ - في الصيف:

ألّف هذا الكتاب عام ١٩٢٨ ،لكنه لم يصدر إلا عام ١٩٣٣ ،أي أنه يصور رحلة المؤلف الى اوروبا في فترة قريبة من أزمة الشعر الجاهلي ،وصدور الجزء الاول من " الأيام". وهذا الكتاب يشبه رحلة " الربيع" الذي كتب عام ١٩٤٨ ،من حيث قربهما من اسلوب اليوميات ووصف الرحلة والانطباعات الشخصية .

وهذا الكتاب فيه ملامح من اسلوب الوصف في الأيام ،حتى أن المازني أبدى فيه رأيا إذ اقال : " إن الدكتور طه حسين قصصي بارع،وأديب روائي من الطبقة الرفيعة. وأنه خير للأدب المصري أن ينضو عنه بردة العلم، ويتناول قلم القصاص. . . " (١)

---

(١) ابراهيم المازني : نقلا عن سامي الكيالي ،مع طه حسين ،ج ١ ،ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الكتاب حكاية رحلة ، وفيه أسلوب في القص ممتع، لكنه ليس أسلوب أو فن كتابة القصة الحديثة . ويبدو أنه كتبه وهو في حالة نفسية غير مستقرة ، وبالذات موقفه في مصر . وقد اهدى هذا الكتاب إلى ابنه . وفيه من مصر واضح في صفحات كثيرة .

وهذه المجموعة من الفصول المتلاحقة فيها حديث عن الأدب ، والتجديد والأزهر ، عن المرض والعلاج ، والجزن والفرح ، والبحر والسفر ، في اوروبا ، وفيه تطواف في التاريخ والفكر والدين وحرية الرأى . فهو إلى الخواطر أقرب في أسلوبه . ولعل قيمته التاريخية والأسلوبية هي أهم ما فيه . فنحن نرى هذه الخواطر ذات الإطار الخاص عن صور الحياة المتعددة وعن باريس، نراها صورة لطه حسين الأديب المنشيء بعد أن قدم قبل صدور هذا الكتاب وصدور الايام صورة طه حسين المؤرخ والباحث .

إن هذه النبذة عن هذا الكتاب لا تعني أننا نضمه ضمن فن الرواية ، أو فن القصة القصيرة ، لكننا نرى فيه بذورا غير واضحة لطريقته في الوصف والكتابة تجملها ، بما فيه من فكر واسلوب ، مقدمة لما كتبه طه حسين بعد ذلك من روايات وتتمة لبعض الصور عن حياته وفكره . وبخاصة هذا الحديث عن الأزهر ، والذى يكمل صورا في الأيام بجزئه الثاني ، هذه الصور التي قدمت قبل عشر سنوات من تاريخ صدور هذا الجزء . ولعل فيها من الصراحة أكثر مما في الايام . كما أنها تكمل جانبا آخر من حياته في فرنسا من خلال وصفه لكل ما دار في هذه الرحلة ، والتي نجد مثيلا لها في أدبه في كتاب آخر بينه وبين هذا الكتاب عشرين عاما الا وهو رحلة الربيع(١) . فدارس الأيام كعمل مستقل يجد في "في الصيف" ، وفي "رحلة الربيع" مادة هامة توضح كثيرا مما ورد في الأيام ، وتساعد في فهم وثائق حياته وشخصيته ، وبخاصة فترة إقامته في أوروبا .

د ـ جنة الشوك :

صور هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٤٥ ، وهو عمل مميز بين أعمال طه حسين إذ يمكن اعتباره ، من حيث المضمون ، نوعا من النقد الاجتماعي . وقد بين في مقدمته له علاقته بأدبنا القديم وبفن "الابيغراما" اليوناني ، الذى كان مقاطع من الشعر القصير

---

(١) طبع في الصيف ورحلة الربيع في كتاب واحد بعنوان "رحلة الربيع والصيف" وذلك في بيروت سنة ١٩٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصور الحب أو المدح أو الهجاء الذى غلب عليه فيما بعد . ويحدد خصائص هذا الفن بأن يكون قصيرا ،وأن يكون المعنى أثرا من آثار العقل والارادة والقلب وكل مقطوعة فيه شبيهة بالنص المرهف الرقيق ،ينفذ بخفة وسرعة ورشاقة . وهو يهدف من هذه المقطوعات إلى النقد ،معترفا أن ادبنا عرف هذا الفرع من الهجاء في القرن الثاني .

وقد قدم في هذا الكتاب مئة وخمسين مقطوعة ،متمنيا أن يسير الشباب على طريقته . وهي ذات عناوين قصيرة أى أن العنوان فيها كلمة واحدة مثل "ذوق" ، "رفق" "كيد" ، "ثعالب" ، "أعجوبة" ، "مصانعة" ، "هجاء" ، "تعفف" ، "كفر" ، "إصلاح" ، "عقل" ، جحود" ، "غرور" ، "رقي" ، "فن" ، "خصام" . وهي حديث أو حوار بين الطالب الفتي ،وأستاذه الشيخ فيه سخرية لاذعة وحكمة وأقوال وشعر قديم . تقصر حتى لا تتجاوز السطرين وتطول حتى لا تزيد عن صفحة . وهي ذات مضامين اجتماعية واضحة . وأكثر ما فيها يدور حول مصر وتوحيد كلمة ابنائها وتحقيق العدالة لهم ،واجلاء المستعمرين عن أرضها .

والذى يقرأ هذا الكتاب يحس أن مؤلفه كان يعاني من ازمة نفسية ،أو أن مصر ـ وقد كانت كذلك ـ تعاني من وضع سيء .

إنني أرى أن هذا الفن الذى قدمه في هذا الكتاب ،إذا نظرنا اليه من خلال الفن القصصي الحديث في العالم العربي ،يعتبر تجديدا يمكن أن نقارنه بما نجده اليوم عند بعض كتابنا الذين يكتبون قصة قصيرة بمثل هذا الايجاز والدقة . ومثال ذلك الكاتب القاص السورى "زكريا تامر" . فالنثر العربي عنده يسرع في الايقاع ، ويقدم شكلا قصصيا يقترب من الشعر . ويقدم واقعا يتألف من الشيء أو الحادثة أو الفرد ،من خلال تسليط الضوء على لحظة معينة . وهذا النوع يمكن أن يسمى بالقصة ،ولكن اذا كان هناك ترابط بين هذه المقاطع القصيرة فانها تقترب من القصة الايقاعية والتي تعتمد على تشكيل من الايقاعات المتكررة لتشكل بالتالي كلا واحدا وتتحقق الوحدة الموضوعية ،وتبرز فكرة رئيسة هادفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ ـ رحلة الربيـــع:

الحديث عن هذا الكتاب موجز حتى لا تتكرر ما قلناه عن كتاب "في الصيف". فهو يكتب من اوروبا ملاحظاته عن رحلة سياحية للحضارات المختلفة، والتي ازدهرت قبل الميلاد. وهي اليونانية والرومانية. ثم ينتقل إلى الحضارة الفرنسية. وهذا الكتاب على ما فيه من روعة الاسلوب، يظل مجموعة صور وخطوط يقترب من أدب الرحلات ويركز على ابراز آراء المؤلف في الفكر والأدب والحضارة مما يجعلنا نرى فيه محاولة لتبسيط التاريخ وتقديمه باسلوب جديد. فهو لا يصف الرحلة من حيث المكان والزمان، بل يذهب إلى أعماق الحضارات معرفا بها. وإن كنا نجد في هذا الكتاب ايضا حديثا عن باريس، يكمل بعض الصور والمواقف في ايامه. ويكمل ايضا الصورة العامة لاسلوب طه حسين الذى سنتحدث عنه في فصل لاحق.

و ـ أما مرآة الضمير الحديث الذى صدر في القاهرة عام ١٩٤٨، بعد أن نشر مسلسلا، فيمكن أن نقف عند بعض الفصول فيه مع الاقرار أنه حديث عن الحياة العقلية والعملية، وتصوير لمعالم فكر مؤلفه. وهذه الفصول التي نقصدها هي الرسائل الاربعة الاولى التي قلد فيها الجاحظ. فمع أنها مقالات الى حد ما، فيمكن اعتبارها نوعا من اللوحات القصصية البسيطة الهادفة.

ز ـ جنة الحيـــوان:

يمكن اعتبار هذا الكتاب، الصادر في القاهرة عام ١٩٥٠، من أهم ما ندرس في هذا الباب. فهو ينفرد بهذا العنوان، وإن سبقه كتاب "جنة الشوك". وهو ذو موضوعات متفرقة يعرض من خلالها نماذج بشرية مصوّرة بصور تأخذ من بعض الحيوانات عناوين مثل "الثعبان"، و"ثعلب". ويندرج الكتاب في مضمونه تحت باب النقد الاجتماعي. أما من حيث الفن ففيه صور قصصية في معظم فصوله. بينما تتبنى فصول أخرى الى المقال الوصفي. فهذه الفصول التي أمامنا تعبير موضوعي ورسم للشخصيات وتوضيح لحدث بطريقة وصفية غير درامية مع اللجوء إلى السرمز. والفصول التي تقترب من المقال الوصفي العادى أكثر من اقترابها من الصورة القصصية هي ذات العناوين: "الثعبان"، و"حديث الأوز"، و"القسوة"، و"الطفل"، و"الظلمة"،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و"الشجاع"، و"أم خفيف"، و"حديث القلوب"، و"مدرسة الذباب"، وإن كانت تتميز عن أي مقال عادي بأسلوب طه حسين الخاص بكتابة المقال، وتبقى فيها بعض البذور الفائمة لفن القصة القصيرة.

غير أن بقية الفصول تعتبر صورا قصصية وهي: "ثعلب"(١)، وفيه صورة سطحية لشخص منافق رغم علمه، وهزء بهذا الشخص من خلال حديث عنه موجه إلى سيدة، لكن هذا الفصل يبتعد عن القصة القصيرة ويفتقد مقوماتها إلى حد كبير. أما "شياطين البيان"(٢) ففيها تأثر بـ"التوابع والزوابع" لابن شهيد. إذ تقوم على شخصية "زهير بن نمير" بطل تلك القصة. وتركيز على نقل آراء الكاتب في أدباء مصر ويقول عن هذا الفصل إنه يروى قصة ليست مخترعة ولا مصطنعة، وليس للخيال فيها أثر. ولعله يقصد الاشخاص الذين انتقدهم.

أما فصل "الظلال الهائمة"(٣)، فهو مقال كان من الممكن أن يكون صورة قصصية جيدة لولا أنه تحول إلى الحديث المباشر عن القراءة والثقافة والمعرّى.

أما "سمير الليل"(٤) فتفتقد البناء الدرامي، وتمزج التعبير عن الخواطر والمشاعر بالسرد والوصف ويرتكز على التعبير البياني. أكثر من الحدث والشخصية.

أما الفصل الذي يحمل عنوان "طيف"(٥) ففيه تصوير وخيال من خلال اصحاب ثلاثة، يحلمون بشيء واحد، وهو كسابقه لا يرتقي إلى مستوى الفن القصصي من حيث خصائصه.

أما "الفانيات"(٦) فلعله من أجمل فصول الكتاب، من حيث اسلوب الكاتب، خاصة هذه البداية بمقطع قريب من الشعر. وهن فتيات يظهرن لأهل القرية والشيخ والباشا، وتضطرب حياتهم. لكنه يفسد بناء هذا الفصل حين يكشف الرمز فإذا به يريد أن يكتب مقالا عن العدالة الاجتماعية التي رمز لها بالفتيات.

---

١) طه حسين: جنة الحيوان، ص٢٩.
٢) المصدر نفسه، ص٣٦.
٣) المصدر نفسه، ص٥٣.
٤) المصدر نفسه، ص٧٥.
٥) المصدر نفسه، ص٨٣.
٦) المصدر نفسه، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الذى يليه وهو "البرق الخاطف"(١) ،فيبدأه بالحديث عن عمر بن أبي ربيعة ،ثم يقدم قصة جديدة لرحلة نحو الصحراء يقوم بها صاحب له . لكن الفصل ينتهي بالسرد التقريرى المباشر .

وكما تقدم،نراه في فصل تال هو "حديث القلوب"(٢) حيث يحول الحديث الى تصوير لأحد اصدقائه .

والفصل الذى يليه " أضغاث احلام"(٣) ،حديث عن الثروة في صورة تاريخية خيالية إلى حد ما .

أما الفصل الذى يحمل عنوان "ضمير حائر"(٤) فهو صورة وصفيه منشورة ايضا في كتابة "بين بين" . كذلك تجدر الإشارة إلى أن الفصل المنشور بعنوان "طيف" والذى أشرنا اليه منشور ايضا في الكتاب المذكور للمؤلف نفسه . لكن كتاب "بين بين"، لاحق على جنة الحيوان ،وهو صادر عن دار العلم للملايين في بيروت مما يدل على أن الناشر لم يدقّق وهو يجمع مقالات طه حسين المختلفة .

هذا الفصل "ضمير حائر" صورة قصصية يصف فيها صاحبا له ،امتد خلا في الوصف ليتحدث عن قصة أوسكار وايلد "صورة دوريان غراى" فيصبح الفصل مقالا قصصيا يميل إلى الذاتية ويرتكز على التعبير بأسلوب مميّز .

إن جنة الحيوان كتاب ذو مضمون اجتماعي ،ففيه تصوير رمزى للنفاق والشجاعة ، ولنماذج بشرية ومشاهد من الحياة،ويمكن اعتبار فصوله التي ذكرنا صورا قصصية اهتم مؤلفها بالمضمون أكثر من اهتمامه بالشكل ،فأضاع فرصة تقديم عمل فني متكامل .

ح ـ أحاديث :

في هذا الكتاب مجموعة مقالات ،لكننا نشير اليه هذه الاشارة لما فيه من ذاتية الوصف ،والاقتراب من أسلوب الحكاية في فصول هي : "من عمل الشيطان"(٥) و"الفأل"(٦)

---

١) المصدر نفسه ،ص١٠٥ .

٢) المصدر نفسه ،ص١١٣ .

٣) المصدر نفسه ،ص١٢٠ .

٤) المصدر نفسه ،ص١٢٩ .

٥) طه حسين :أحاديث ص١٥ .

٦) المصدر نفسه ،ص٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of London

"فجاءة فاجعة" (١) ، و"يـأس" (٢) ، لكن الباحث لا يرى قيمة فنية في أى من هـذه الفصول تبرر اعتبارها في باب الفن القصصي ـ القصة القصيرة .

ط ـ بيـن بيـن :

في هذا الكتاب مقالات ذات طابع فكرى ،غير أنني أشير اليه للتنبيه على فصل فيه بعنوان "ضمير حائر" وفصل ثان بعنوان "طيف" ،قريبين من القصة القصيرة أو الصـورة القصصية ،غير أن ناشرى الكتاب لم ينتبهوا إلى أن هذين الفصلين منشوران فـي "جنة الحيوان" ،وهما في الأصل منه ،لأنه أسبق من "بين بين".

ى ـ من لغو الصيف :

في هذا الكتاب بعض بدايات توحي بالقصة والحوار القصصي ،وبخاصة في الفصل الأول بعنوان "لغو الصيف" ، وفصل بعنوان "من اعماق الصحراء" . غير أن هذين الفصلين يبقيان في باب المقال الوصفي .

بهذا نرى أن طه حسين قدم مضمونه في هذه الفصول على الشكل الفني ،فلـو اهتم بالشكل لكان "جنة الحيوان" قصصا قصيرة ،و"في الصيف" قصة طويلة .

---

١) المصدر نفسه ،ص٦١ .

٢) المصدر نفسه ،ص٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

روايات طه حسين

(في الشكل الفني)

١ . قضية الشكل الفني في الرواية العربية .

٢ . السمات العامة للشكل الفني في روايات طه حسين :

أ : الشخصيات.

ب : الاحداث.

جـ : الحبكة .

د : الاسلوب .

هـ : علاقته بالقارئ .

و : التنوع .

ز : الانشغال بالهدف .

ح : القيم المطلقة في قصصه .

٣ . رأي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

روايات طه حسين

في الشكل الفني

١- قضية الشكل الفني في الرواية العربية :

نحن ندرك أن قضية الشكل الفني في الرواية العربية ما زالت مدار بحث، وأن المعمار بصورته النهائية بعد لم يكتمل، وأن محاولتنا هذه جديدة في تلمس ما في روايات طه حسين من خصائص البناء الفني . إننا ونحن ندرك هذا، سنحاول أن نتعرف على هذه القضية مقدمين لها بحديث نراه ضروريا في قضية الشكل الفني للرواية العربية :

إن الرواية العربية لم تتخلص إلى الآن من رواسب القديم في الأسلوب والقالب، مع استمرار التأثر بالغرب من حيث الغاية والبناء . فقد نهضت الرواية بأنواعها : التاريخية كما فعل زيدان، والرومانسية كما هي في رواية "زينب" لهيكل ثم امتدادا بها إلى محمود طاهر لاشين في "قرار الهاوية"، ثم هذا الاهتمام الواقعي في قصص عيسى عبيد، احسان هانم"، إلى ما قدمه محفوظ، والشرقاوي، ويوسف ادريس، في "الثلاثية"، و"الأرض" و"الحرام"، على التوالي :

ولعل الاتجاه الرمزي تمثل في "عودة الروح" للحكيم"، و"اللص والكلاب" لمحفوظ، الذي بدأ لديهما متأثرا بالواقعية وبعض الجوانب الرومانسية ثم مثله بشر فارس في قصته "رجل"، التي حوّلها إلى مسرحية بعنوان "جبهة الغيب" :

أما تيار التحليل النفسي فقد راوح بين التحليل النفسي وبين الواقعية أو الرومانسية أو الطابع الذاتي، كما في "سارة" للعقاد، ثم "السراب" لمحفوظ .

لعل هذه الملامح البسيطة للتأثر بالتيارات الغربية تتضح أكثر شمولا وعمقا من خلال دراسة مقارنة، وبخاصة اذا قرأنا في الرواية الاوروبية التي نمت خلال فترة تزيد عن قرنين وصوّر نموّها أحد مؤرخيها بقوله : "واذا تتبعنا بسرعة تاريخ النوع الروائي، منذ فترة الرواية المتحذلقة، فإننا نشعر بهذا الانطباع نفسه، فأنا أرى أول الأمر في القرن السابع عشر، ولدا من اسرة رفيعة متوزعا بين الخدمة والصالون، دنيوي وعامي كالرواية الباروكية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو المضحكة ،ثم بصفته وصيفا لدى إحدى الأميرات (دوكليف) كي يدرس الناس ويعاملهم بأدب. وبعد ذلك قاده أحد الخدم (روسو) إلى غوايات القلب، وبعد أن بلغ العشرين عمل وتعلّم علما ضخما بصفته متمرنا لدى سمسار الصيارفة (بلزاك) وعبدا لدى كاتب روايات متسلسلة (اوجين سو) وساعدا لدى طبيب المستوصف (زولا) . تلك كانت فترة التعلم. وقد اتاحت للرواية أن تتلقى صبغتها البرجوازية ،ولعب هذا العبة الشخصية الاجتماعية المغلوطة لدى (بورجه) . ولعب بالسياسة مع (زولا) و (بارّس) . وبعد أن باشر مهنته حاز عندئذ على مركزه بأى الادارة الادبية للملاحظات السيكولوجية والاجتماعية ، وحين بلغ سن النضج ،بعد عام ١٩٤٧ ،وهو ما يزال يقود بحزم مكتب نائب امانة سر الدولة .... تتخيل شخصية أخرى ،هي شخصية ابن عم له ،وابن أخت أحدث منه سنا تابع نموه . . إنها اذن رواية أخرى مع "كافكا" ،و"بروست" ،و"موزيل" ،و"جويس" . . . "(١)

ولهذا ،للتعرف على الشكل الفني ،علينا أن نقرأ بعض ما كتب في الفن بعامة ، والرواية بخاصة ،نقرأ "بيرسي لابوك" ،و"إدوين ميور" ،و"هنري جيمس" ،و"فورستر" عن البناء الروائي ، وأن نقرأ شيئا من "بلزاك" ،و"هوجو" ،و"هاردي" ،و"همنغواي" ،و"كلمي" ،و"سارتر" ،و"مالرو" و"جوجول" ،و"دوستويفسكي" ،و"تولستوى" ،و"تورجنيف" و"شولوخوف" ، ذلك لنعرف الإطار والصورة ،وما هو التكنيك ،عند كل ، الذى تخضع له القصة ،من مرحلة الشعر والعجائب والسحر وليالي ألف ليلة وليلة ،إلى مرحلة فوكنر في رسم شخصياته المعقدة القلقة ،لكن مثل جهد الدارس هذا قد لا يستطيع الالمام بهذا كله .

واليوم ،لابد لكل قصة أو رواية أن تقوم على تخطيط ذهني ،"تخطيط يفرضه استعداد المؤلف الفني تماما كما يفرض المضمون موقفه الحياتي "(٢) .

إننا نبحث في روايات طه حسين عن الميزات والمحاور البارزة للشكل الفني ،وكيف يبرز الحدث والشخصية والزمان والمكان من خلال السرد والحبكة . وصعوبة معرفة ذلك تتأتى من أن طه حسين كان قريبا من البداية ،حين كان كتاب القصة حائرين بين التقليد والرغبة في التحرر وغلبة المضمون على الشكل . في حين كانت الرواية في الغرب تخضع في القرن التاسع عشر لشيء من الدقة باسم الواقعية . وتبدأ في القرن العشرين بالتحرر من القيود ، أى تبدأ طرق تولستوى وبلزاك تتغير الى طرق بروست وفرجينيا وولف وجيمس جويس، حيث لم يعد يهم هؤلاء ثلاثية : التشابك ،التعاقد ،الحل .

---

١) ر.م. البيريس: تاريخ الرواية الحديثة (ترجمة جورج سالم) ص١٣٨، ١٣٩ .

٢) احمد كمال زكي ، قضية الشكل في الرواية ،الاداب، العدد ٣ آذار ١٩٦٣ ،السنة ١١ ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان هذا يجرى في اوروبا ،ونحن على عتبة تقليد ما لديهم في القرن التاسع عشر، وإن كنا نعيش القرن العشرين ، فنحن أمام تجربة لم تكتمل . ولعل النقاد الغربيين المختلفين حول مدى روائية كامي أو حول الذرية مالرو في "اللامذكرات" ،أقرب إلى تقييم تجربتهم من النقاد العرب،فنحن امام "شجرة البؤس" لطه حسين و"ثلاثية" نجيب محفوظ، نلاحظ أننا أمام تحكم الحبكة وسيطرة الزمن ،مع أننا لا نلبث أن نجد بعض التغيير في استعمال المونولوج في "اللص والكلاب" لمحفوظ،ونلمح التعبير عن البورجوازية المصرية في بعض كتابات المويلحي ولاشين وهيكل والعقاد وتيمور ،مؤكدة دور الفن في المجتمع، التغير إلى تصوير البرجوازية منتصرة من خلال كتابات السحار والسباعي وعبد الحليم عبد الله ،فالطبقة الصاعدة ،مصورّة في كتابات هيكل العقاد ،ينتصر افرادها المصاميون عند عبد الحليم عبد الله ،إلى أن نلمح محاولة محفوظ في تصوير تفسخ هذه الطبقة ذاتها ، ولعل بين هؤلاء من جمد الرواية في اطار الرؤية الجمالية كما فعل المنفلوطي ببلاغة ، أو من كان أكثر وعيا للموقف الحضارى الذى يعيشه مثل محفوظ،الذى قدم البطل من خلال شكل ومضمون مترابطين ،وطرح صيغ الصراع الموجودة في الطبقة الوسطي ،بورجوازية مصر ،كما أن بينهم من طوّر العمل الروائي إلى مرحلة جديدة تحتاج الوقوف عندها والحكم عليها ،ولعل هذا ممّا يمثل له بكتابات زكريا تامر ،ويوسف ادريس في "لغة الآى آى" ،وأميل حبيبي في "سداسية الأيام الستة" و"الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل"، وهي ،مع غيرها،علامات مرحلة جديدة في الفن الروائي في أدبنا الحديث. والذى اعتقد أن الأيام كانت في جانب من جوانبها الفنية (الاعترافات) . أكثر النماذج انسانية وحضارية.وينطبق عليها ما قيل عن رائعة مالرو "اللامذكرات" بأن أقرب الأشكال اليها "هو شكل الفوجا Fugue في الموسيقى الغربية. وكلمة فوجا مشتقة من الفعل اللاتيني Fugure بمعنى هروب. فهي مقطوعة موسيقية تبدو فيها الألحان المتشابهة وكأنها تهرب ويطارد بعضها بعضا دورا بعد دور. . ."(١)

إننا ونحن نحاول الوقوف عند الميزات الفنية لروايات طه حسين ندرك أننا سنقف عند اسلوبه بشكل عام ،وهو الاسلوب الذى يحكم عددا كبيرا من مؤلفاته اذ لا نرى أن هناك اسلوبا خاصا بالرواية لديه مختلفا عن اسلوبه في مؤلفاته الأخرى ،كما ندرك أن رواياته

---

١) فؤاد كامل : اندريه مالرو شاعر الغربة والنضال ،ص٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذات ميزات خاصة لا تبرر الخوض في تفاصيل تقنية الرواية كما طرحها "ادوين ميور" مثلا من حيث تقسيم الرواية النثرية إلى رواية شخصية ، ورواية درامية ، ورواية تسجيلية . وما قدمه من تفصيلات حول فن الرواية من خلال اعتماده دراسة روايات معينة في الأدب الغربي (١) .

ويضاف إلى ذلك ايضا أننا نعتقد أنه من الصعب بالنسبة للعمل الروائي وجود مقياس للقيمة ومبدأ للحكم ، وأن على الناقد "أن يعتمد على مقياسين متناقضين أساسا رواسبه ما ، فإما أن يعتبر الكتاب تسلية أو وثيقة أو اختيارا ، عند ذلك يقدم اليه هذا الكتاب ما يشكل لطيف منسجم سريع التمثل مادة يجدها اليوم بشكل أدنى في المجلات. أو أن يرى في الرواية محاولة للابداع المحض ، محيرة ملحة مسيطرة شأن سمفونية أو قصيدة صعبة". (٢)

وإذا كانت رسالة الفنان كما يرى كامي هي اشباع الحاجة إلى الحرية والكرامة ، واذا كان الروائي عظيما بمقدار تمرده وجمعه بين الثورة والابداع (٣) فإننا سنحاول أن نرى ابن تكمن عظمة طه حسين في رواياته ، مستندين إلى رأي كامي ـ وهو به محق . في أن غلبة الشكل على المضمون أو المضمون على الشكل فشل . وموضوع دراستنا يقع في البدايات في أدبنا ، ولا نحاسبه بمواقف كامي الحادة من الأدب الغربي ، مع اصرارنا معه على أن الروائي لابد أن يكون صاحب موقف وفلسفة ، ولو كانت فلسفات كبار الروائيين قد بقيت مطوية خلال مجموعة من المواقف البشرية التي عاشتها شخصياتهم الخالدة (٤) .

---

١) ادوين ميور ، بناء الرواية ، (ترجمة ابراهيم الصيرفي) ص١٤٤ .

٢) ر.م. البيريس ، تاريخ الرواية الحديثة (ترجمة جورج سالم) ص٤٧٢ .

٣) زكريا ابراهيم ، فلسفة الفن ، ص٢٢٥ .

٤) المرجع نفسه ، ص٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- السمات العامة للشكل الفني في روايات طه حسين :

من أهداف الدراسة التعرف على مكانة طه حسين بين الروائيين العرب. وهذا الهدف يقتضي أن نحدد، قبل الحكم على موقعه، حكمنا على الشكل الفني عنده. ونحن ننظر لأعماله من خلال منطلقنا بأن الفن وحدة واحدة، وأن الحقيقة الفنية هي جماع الحلم والواقع ومحاولة توسيع التجربة الانسانية، وأن الأدب الجيد يظل أدبا خالدا معاصرا، ما دام الفن في تجربة الانسان تجاوزا مستمرا للقانون، وتطبيق القواعد السابقة التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة، بشكل تقريري، يخرج كثيرا من أعمال طه حسين التي درسناها من باب الرواية، وخوفا من الوقوع في هذه المغالطة نحاول أن ننظر للشكل من خلال العلاقة الحية بالمضمون وعلى أنه بنيان تعبيري بهدف اكتشاف القيمة الجوهرية لأعماله. وفهم الشكل كتصور هندسي مقنن محدد ابتعاد عن الحقيقة المطلوبة من دراسته. بل ننظر إلى "نسق تطور الشكل ونطاقه الداخلي وبنائه وطريقة تعبيره... فالشكل هو جماع التقنية والاسلوب"(١) لهذا نقف للنظر من خلال المنهجين الداخلي والخارجي، الداخلي الذي ينظر الى السلاسة والايقاع والوزن والاسلوب والصورة والمجاز والرمز والاسطورة وطبيعة السرد القصصي والانواع الادبية، والخارجي الذي ينظر للاستعانة بالسيرة وعلم النفس والمجتمع والادب، الادب والافكار، والادب والفنون الاخرى (٢) دون أن نعني بالمنهج الخارجي أننا امام حقائق قاطعة فالمناهج في العلوم الاجتماعية وضعية لا معيارية، والبحث في أصول العمل الفني وتكوينه وتقييمه لا يحتاج إلى وضع نظرية أو رأى مسبق، بل تحتاج الى مزج بين الاستبصارات التي تصدر عن العديد من المناهج النقدية وإلى أسئلة اكثر تعقيدا. بهذا قبل أن نحدد الملامح العامة للشكل الفني لأعمال طه حسين نرى أن علينا أن لا نغفل ما يلي :

أولا، يجب أن لا يكون الحديث عن الشكل الفني عند طه حسين معزولا عن فهمنا لتطور المعمار الفني للرواية العربية، والاسئلة التي ما تزال تطرح حوله منذ البدايات الأولى عند البستاني، وزيدان، والمنفلوطي، إلى سهيل ادريس، وغائب طعمه، وإميل حبيبي،

---

(١) خلدون الشمعة، الشمس والعنقاء، ص٣٣.

(٢) رينيه ويليك، اوستن وارن: نظرية الادب (ترجمة محي الدين صبحي)، ص٨٩، ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزكريا تامر، وحنا مينه، مرورا بالمازني، والعقاد، ومحمد عبد الحليم عبد الله والسحار والسباعي، ومحفوظ، وما بلغت النظر من مشاكل فنية تتعلق بكل من: اللغة، واسلوب السرد، والاحداث، والمجال القصصي، وأنواع الرواية، والتأثر بالغرب، والتقليد، وغير ذلك.

ثانيا: إننا ننظر لروايات طه حسين على أنها ليست كل انتاجه الادبي، بل هي مجرد جزء منه، وقد لا يكون أهم ما في تراثه. وننظر أيضا إلى الفترة التي قدم فيها اعماله هذه، وكيف كانت الرواية العربية لا تزال غير مكتملة شروطها الفنية حين كتب هو آخر اعماله القصصية "المعذبون في الأرض"، وإن كان هذا لا ينفي أن هناك من معاصريه من طور الرواية أكثر مما فعل هو، مثل محمود تيمور، ونجيب محفوظ.

ثالثا: إن طه حسين يعي إلى حد كبير فن الرواية في الغرب بعامة وفي فرنسا بخاصة، لكن هذا لا يعني وجود منهج نقدي في فن الرواية لديه. فدراساته المبكرة للقصص التمثيلي الفرنسي في "لحظات"، و"صوت باريس"، ثم ترجماته عن اندريه جيد، وفولتير، شاهد على مدى اهتمامه بهذا الفن. كذلك دراساته لبعض أعمال الروائيين العرب.

رابعا: ندرك أننا نرى في أعمال طه حسين التي درسناها كثيرا من الملاحظات على عدم اكتمال الفن الروائي. فقصصه القصيرة هي أقرب الى الحكايات، والمقالات الوصفية. وقصصه الطويلة تتأرجح بين القصة التاريخية، والسيرة، والقصة الاسطورية، والقصة الطويلة الفنية. وهو مع ما طرح من آراء في فن القصة ليس بصاحب نظرية، وليس بالكاتب المبدع في فن الرواية. وهو تقليدي لا مقلد، أي أنه رغم تحرره كما يقول من كل قاعدة وضعها النقاد لهذا الفن، لم يستطع، وهو الذي كتب عن طاعون كامو وكان صديقا لاندريه جيد، أن يصل إلى أن يكون كاتبا روائيا من الدرجة الأولى.

خامسا: إن هذه الدراسة لا تحاول الخروج عن الفترة الحضارية التي عاشها طه حسين وكان جزءا منها، بل تنظر أيضا الى معاناته وجيله في الريادة ومسالكها، مدركين أن عمر الرواية العربية متأخر بقرن ونصف عن الرواية الغربية، وإن كان السؤال يبرز ملحا عن مدى كون هذه المساهمة اساسية أو فرعية، إذ أنها من حيث المضمون، ومن خلال حقيقته التاريخية، تقف من خلال "المعذبون في الأرض" موقفا ريادي واضحا في فن القصة القصيرة، وفي الالتزام بالمجتمع من خلال "دعاء الكروان" و"شجرة البؤس".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً: إن روايات طه حسين في غالبيتها تأكيد لربطه بين الابداع والظروف الاجتماعية، فهو يقول: "والحق الذي لا شك فيه أن الاديب أجدر الناس بأن يكون هذا الحيوان الاجتماعي الذي تحدث عنه الفيلسوف القديم، فهو لا يعيش إلاّ بالناس ولا يعيش الا للناس منهم يستمد خواطر وآراءه واليهم يوجه خواطره وآراءه"(١)

فهو ملتزم بالناس لا بطبقة أو فئة "وعدم الانتماء الى فئة معينة هو مبرر هذا التنوع في رواياته، كما أنه في فهمه لفن الرواية لا يخرج عن قدرته على تحليل المضامين، مع بقاء نظرته للشكل الفني نظرة سطحية تهتم بجمالية الاسلوب، وفصاحة اللغة ومثال ذلك اراؤه في أهل الكهف للحكيم إذ يقول عنها: ". . ولكن في القصة عيبان: أحدهما يسوءني حقا، ومهما ألم فيه الكاتب فلن أؤدي اليه حقه من اللوم، وهو هذا الخطأ المنكر في اللغة، هذا الخطأ الذي لا ينبغي أن يتورط فيه كاتب مافضلا عن كاتب كالأستاذ توفيق الحكيم قد فتح في الأدب العربي فتحا جديدا لا سبيل إلى الشك فيه. أنا أكبر الأستاذ، وأكبر قصته، وأكبر (الرسالة) عن أن أقف عند هذه الأغلاط القبيحة التي يمسّ بعضها جوهر اللغة، ويمسّ بعضها النحو والصرف، ويمسّ بعضها الأسلوب وتركيب الجمل . . . أما العيب الثاني فله خطره ولكنه على ذلك يسير، لأن القصة هي الأولى من نوعها، كما يقولون. هذا العيب يتصل بالتمثيل نفسه، فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب حتى نسي أن للنظارة حقوقا يجب أن تراعى، فأطال في بعض المواضع، وكان يجب أن يوجز، وفصل في بعض المواضع وكان يجب أن يجمل، وتعمق في بعض المواضع وكان يجب أن يكتفي بالاشارة".(٢)

لهذا لا نجد تناقضا حادا بين هذا الالتزام وبين التنوع في ارائه التي وردت في الغالب في ثنايا قصصه وسبق الحديث عنها.

---

١) طه حسين: فصول في الأدب والنقد، ص٥.

٢) المرجع نفسه، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الصفحات التالية محاولة للتعرف على ميزات الشخصية ، والحدث ، والحبكة ، والمجال القصصي ، والأسلوب ، في روايات طه حسين وقصصه ، وتعرف على بعض الميزات الاخرى التي يرى الدارس أنها تبدو ذات أهمية خاصة في إلقاء الضوء على هذا الجانب الفني في أعماله .

ننظر لهذه الميزات مجتمعة ، وليس تقسيمها سوى محاولة تسهل على الباحث إلقاء الضوء على كل منها ، فنحن حين ننظر للشخصية في العمل الفني لا ننسى أبعادها الخارجية والداخلية والاجتماعية ، وحين ننظر للحبكة ننطلق من أنها "سلسلة من الحوادث يقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج" (١) ، وأن تكون هذه السلسلة من الحوادث خاضعة لشروط البساطة والواقعية والحيوية ، وأن الشكل الروائي يعني "الانتقال مما وقع ، إلى مايحتمل أن يقع ، وبمعنى آخر الانتقال من التاريخ إلى الفن" (٢) ، وهذا تحديد هام ، ونحن ننظر الى أعمال طه حسين التي تقع بين السيرة والرواية ، " الأيام" ، لنرى هل استطاع بمثل هذا العمل أن يتجاوز النطاق المحدّد ، والوقائع التاريخية ، والاسلوب التقريري لتكون شخصياته متطورة تفصح عن دوافعها الداخلية أم لا ، وهل الأحداث متطورة خاضعة لرؤية الكاتب وموضوعه ؟ .

أ- الشخصيات :

شخصيات روايات طه حسين متنوعة ، فبعضها (رمزية) مثل شهرزاد في " القصر المسحور" ، وبعضها (خيالية) مثل فاتنة في " أحلام شهرزاد" ، وبعضها (تاريخية) كشخصيات (الوعد الحق) ، وهناك أيضا شخصيات من الواقع في " دعاء الكروان" و" شجرة البؤس" ، و " الأيام" .

وهذه الشخصيات المتنوعة تخدم ، في كل رواياته ، أهدافه ومواقفه الفكرية ، فهي صور عن أفكاره ودعواته الاصلاحية ، وشخصيته تكاد في الغالب تطغى عليها جميعا ، واللغة التي بها تتحاور هي لغته الخاصة ، وتفاعلها مع الأحداث خاضع لفكرة لا لتصوره لشروط العمل الروائي . هذه الشخصيات التي تعاني من عدم التحديد وسرعة انتقال الكاتب

---

١) أ . م . فورستر : أركان الرواية (ترجمة كمال عياد) ، ص ١٠٥ .

٢) يوسف الشاروني : الرواية المصرية المعاصرة ، ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحداث ،فما جعل بعضها شخصيات فقيرة في الحيوية والحركة وتقريرية إلى حد بعيد كشخصية (خالد) في "شجرة البؤس".

كما أن اقحامه لنفسه في العمل الفني جعل قصصه تعاني من زوائد كثيرة لا أهمية لها في البناء الفني ،ومن ظهور بعض الشخصيات الثانوية التي لم يبرّر وجودها مثل (زنوبة ونفيسة وخضرة) في "دعاء الكروان".

أما وصفه لشخصياته فهو في معظم أعماله وصف خارجي ،يعتمد جمالية اللغة وشاعريتها أكثر من اعتماده الشوغل في نفسيات هذه الشخصيات .

وهذا الوصف الخارجي واضح في شخصيات "المعذبون في الأرض" ،و"أحلام شهرزاد" ، و"شجرة البؤس". ونستثني "الأيام" ،فشخصية البطل في الجزأين الأول والثاني متطورة وواضحة في صراعها وأبعادها النفسية . كذلك شخصية (آمنة) في "دعاء الكروان". ومع أنه في "على هامش السيرة" ،استطاع تحويل شخصياته إلى نماذج إنسانية ،ورموز نضالية ،وحررهم من جمود السرد التاريخي ،غير أن معظمها ظل يخضع لهذه الجمالية الشاعرية في الاسلوب ،مما أفقدها الكثير من النماء والخصوبة اللذين كان يمكن من خلالها تحويل مثل هذا العمل إلى عمل فني روائي متكامل .

وإلى جانب هذه الجمالية في الاسلوب برز الهدف الاجتماعي للكاتب مؤثرا في تطور شخصياته ،فهي ــ أي هذه الشخصيات ــ رموز اجتماعية لثورة الكاتب ومحاولته الاصلاح ،وإن كنا لا نرى فيها رموزا مكتملة واعية لمفاهيم الثورة وأبعادها ،كما يرى فيها سهيل ادريس ذلك حين يحملها مسؤولية ثورة لم تكن واعية لها . يقول سهيل ادريس في دراسة له عن (البطولة في الرواية العربية الحديثة) : "وتكتسب معظم آثار طه حسين قيمة اجتماعية كبيرة ،لأن جميع أبطاله ثائرون على شاكلته ،فكتاب "الأيام" يحمل ثورة اجتماعية كاملة ،إنه يهاجم بطريقة رمزية آفات مجتمع مريض يزخر بالأكاذيب ، والجهل ،ونفاق رجال الدين . . . وأديب هو الآخر ثائر ،وقد أدّت به ثورته إلى هدمه . وترمز آمنة في "دعاء الكروان" إلى ثورة المؤلف نفسه . . ."(١)

نتفق معه في أن هناك بذور وعي ،ولكن ليست ثورة اجتماعية ،فالشخصيات عادية أو مسطحة . ولا يعني قولنا أن شخصياته مسطحة أنها شخصيات غير فاعلة ،فنحن نحس أمامها بنبض الحياة ،وإن كانت تبدو أحيانا نمطية متشابهة ،كالشخصيات الباهتة في "المعذبون في الأرض" ،مما يوقف أحيانا كثيرة نمو الشخصيات ،ويجعل وصفه

---

(١) سهيل ادريس: البطولة في الرواية العربية الحديثة مجلة الآداب ،العدد الأول ، ١٩٥٩ ،ص٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها قريبا من التقرير كما في "ما وراء النهر". فشخصياته تخدم موقفه الهادف مما يجعلها تسير في نموها حسب الحتمية الاجتماعية أو الفكرية لا حسب الحتمية الفنية. فلو نظرنا إلى شخصية آمنة في "دعاء الكروان" وخديجة في "ما وراء النهر" وبطلة "الحب الضائع" لوجدناها شخصيات يحركها المؤلف حسب مواقفه، لا شخصيات تتحرك بنمو وفاعلية داخل العمل الفني ذاته. كذلك نجد شخصيات "الوعد الحق".

كان بإمكانه أن يقدم آمنة مثلا في "دعاء الكروان" دون أن يشرح شيئا عن البؤس، لكنه يقدمها من خلال اعتقاده بأن في الحياة وخطوبها عظات وعبرا. ثم يقدم آمنة بأنها صبية بائسة يائسة، قد شوه البؤس واليأس شكلها ويقدم بشكل سردي مباشر عائلتها وأباها (١). ويقدم أيضا صالح في "المعذبون في الأرض" موضحا أن ما يعنيه هو الحدث لا الشخصية، فكل ما يهمه من صالح أنه صورة البؤس والشقاء والحرمان (٢). وفي بداية "شجرة البؤس" يقدم الشخصيات الرئيسية بوصف مباشر لهم ولمواقعهم الاجتماعية (٣). وكثيرا ما يبدو موقفه واضحا في تقديم شخصياته. فهو يقدم تصوره للخير والشر من خلال شخصيات "على هامش السيرة"، دون أن يترك لتناقضات الحياة أن تبرز بشكل واضح. فوحشي عنده يقابل حمزة، وأبو جهل يقابل بشره الشخصيات الخيرة في الدعوة الاسلامية.

من هنا برزت ظاهرة الشخصيات المستسلمة للكاتب، مع أنه استطاع في "الأيام" و"القصر المسحور" أن يقدم شخصيات نامية، كذلك الحال إلى حد ما في شخصية "أديب".

وشخصيات رواياته، تجد منه تعاطفا معها أو معاداة لها، وهي تعيش من خلال صراع بسيط بين الخير والشر. وهي في الغالب مستمدة من بيئته، وقد سبق ومثلنا لهذه الثنائية بين الخير والشر، ففي "على هامش السيرة" يبرز هذا الصراع كذلك في "دعاء الكروان" و "شجرة البؤس".

أبرز شخصياته نماء شخصيته في "الأيام"، وأكثرها سلبية واستسلاما شخصية "لين" في "الحب الضائع" و "خالد في "شجرة البؤس"، وأكثرها حدة في الصراع شخصية "أديب" في روايته التي تحمل الاسم نفسه. أما آمنة في "دعاء الكروان" فشخصية

---

١) طه حسين: دعاء الكروان، ص١٣-١٥.

٢) طه حسين: المعذبون في الأرض، ص١٢.

٣) طه حسين: شجرة البؤس، ص٨-١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذات نمو غير طبيعي إذ أنها عانت من سيطرة شخصيته عليها .

وتبرز في شخصياته قدرته على الوصف الخارجي ، وأحيانا يستطيع أن يقدم وصفا داخليا كما فعل مع أديب والفتى ، واستطاع في "شجرة البؤس" أن يجعلنا نحس بهموم أشخاصه ، وصراعهم وحياتهم .

وهذه الشخصيات نماذج انسانية بسيطة ، بساطة بلال في "الوعد الحق" ، والفيلسوف الحائر في "على هامش السيرة" وإن كنا نلمح ظاهرة الجنون بين هذه الشخصيات مثل اضطرابات آمينة في "دعاء الكروان" ، وجنون نفيسة في "شجرة البؤس" ، وجنون بطل "أديب" ، وصراع وحشي في "على هامش السيرة" ، والإضطراب في شخصية أبي جهل في "الوعد الحق" و "على هامش السيرة" ولعلنا لا نملك إلا أن نرى فيهم جميعا نماذج عادية يتوقع وجودها في كل مكان .

وفي شخصياته ، غير ظاهرتي البساطة والجنون ، ظاهرة الشخصيات المعذبة والحائرة والقلقة وأحيانا المثالية ، مثل أمينة الفقيرة المعذبة في "دعاء الكروان" وصالح وقاسم ومحبوبة وخديجة وأم تمام في "المعذبون في الأرض" ، ولين" المنتحرة وصديقتها في "الحب الضائع" ، وخديجة المقتولة ظلما ، كهنادى في "ما وراء النهر" و "دعاء الكروان" ، كذلك شخصيات "الوعد الحق" ، هذه النماذج الفقيرة تخدم بالتالي رغبة المؤلف في أن تكون مضامينه وشخصياته تخدم بشكل واضح مواقفه الفكرية والاجتماعية .

وشخصيات قصصه التي عايشها في "الأيام" كمعلميه من الكتّاب وحتى الجامعة شخصيات كثيرة ، لكنها في الغالب ثانوية لم ينج من بينها أحد من حب المؤلف أو كراهيته لها كما فعل مع المرصفي ، وأستاذه في الكتاب ، وشيوخه الأزهريين . لكن تعاطفه الحقيقي كان مع شخصيات عمليين من أعماله هما : "الوعد الحق" و "المعذبون في الأرض" .

وشخصياته مقدمة للقارئ في هذا الاسلوب الذى يكاد يبهره ، وهذا التدخل بين القارئ والشخصيات ، ثم هذا الانتقال السريع من حدث إلى آخر ، ومن شخصية إلى أخرى . ولا تبرز لنا أية شخصية محورية بين شخصياته ما عدا شخصيته في "الأيام" . وهذه المآخذ هي التي حولت أعماله إلى نماذج اسلوبيه ، وشخصياته إلى نمطية مفرطه ، ومضامينه في قصصه القصيرة إلى اعترافات ورسائل وخواطر ومذكرات ، فلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجد في أعماله هذه الوحدة العضوية الضرورية للعمل الفني المتكامل الذى يكون معقدا حيا ، تنبض شخصياته بالحياة ، ويرى القارئ ملامحها النفسية ومظاهرها الخارجية وأبعادها الاجتماعية ، كما لم نجد فيها خصوبة في الشكل وايحاء في الرمز وتكثيفا في التعبير وخلوا من المنحنيات والزوائد .

ثم نجد هذا كلّه لأننا نقيس أعمال طه حسين هذه للروائيين المعاصرين له، وبشروط الرواية العالمية الحديثة ، أو على الأقل ، بالرواية العربية الحديثة مثل " موسم الهجرة الى الشمال "، و " اللص والكلاب " ، أى بالطيب صالح ونجيب محفوظ.

ب ـ الأحـــداث :

الحادثه في القصة جزء من تجربة الكاتب ، والقصة ذات الأحداث تكون معقولة ، عندما يحكم الربط بين الأجزاء ، دون الاعتماد على الصدفة أو المفاجأة . والكاتب ينقل لنا واقع الحياة كما عاشه وتفاعل معه ، لكن خياله يبعده عن النقل الحرفي ، دون أن نطلب منه أن يجرب فعلا كل الأحداث التي ترد في قصصه و "حوادث القصة لا تكتسب قيمة من الموضوع الذى تعالجه ، فاذا كان الموضوع نبيلا كانت النتيجة أن القصة نبيلة ، والعكس صحيح . لين موضوع القصة لا قيمة له في تقييم القصة، لأن موضوعها هو الانسان في نفسه ، وصلته بأسرته ومجتمعه". (١)

كما أن طرق عرض الحوادث كثيرة، وهي عند طه حسين كذلك . فقد استعمل السيرة الذاتية ، والسيرة الغيرية ، والسرد المباشر ، والرسائل واللوحات القصصية . لكنه جعل شخصياته تنمو من خلال موقفه منها لا من خلال الحدث ذاته فالحدث عنده في خدمة العمل الفني من حيث المضمون لا من حيث الشكل . وفي رواياته ذات الطابع التاريخي تأتي أهمية الحدث بعد أهمية الشخصيات، كما في " على هامش السيرة " ، و " الوعد الحق " ، بينما في رواياته ذات المضامين الاجتماعية يمثل الحدث المرتبة الأولى قبل الشخصيات.

ويصرّ طه حسين على أن يملك الحدث. ففي مقدمته لـ " على هامش السيرة" يوضح مدى اعجابه ببعض الأحداث والمواقف في التاريخ القديم ، أى أنه لم يقصد أن يخلق الحدث ، أو أن يكون في تجربته ، ولين كان في مجال قصصه ، مع أن التأثر وحده غير كاف لاعتماد التاريخ أساسا لبناء عمل فني مكتمل .

---

١) محمود السمرة : في النقد الأدبي ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو أيضا مخل بالبناء الفني ،عندما يغرق الحدث بكثير من التفصيلات التي تكون أحيانا غير ذات قيمة ،كما فعل في "دعاء الكروان" بعد مقتل هنادى (١)، أو عندما يهمل التفصيل وينتقل بسرعة ويفسد الترابط كما في "شجرة البؤس" (٢) . وطه حسين في قصته التي لم تكتمل "ما وراء النهر" لا يخضع إطلاقا لأية شروط ،ويهمل ترابط الأحداث أو مصادرها ،قد تكون من خياله لكن بعدها عن الواقع يقربها من الأسطورة والمثال المجرد ، كذلك الأمر في غموض الحادثة في "أحلام شهرزاد" ،وعدم ترابط الموضوع في "على هامش السيرة" ،وإن بدا هذا الترابط خفيا جدا .

وإذا كان هذا وضع الحادثة في قصصه الطويلة ،فهو في قصصه القصيرة "المعذبون في الأرض" ،غير مهتم بها إلاّ لخدمة الفكرة التي خلق من أجلها شخصيات مثل (صالح) و(قاسم) . كما تفقد الحادثة كل أبعادها في مقالاته وصوره القصصية . فهي تعاني من الميل إلى الحركة البطيئة ،ويخضع الصراع فيها إلى مسلمة ساذجة في صراع الخير والشر . هذه السذاجة التي أفقدت "شجرة البؤس" مزية أن تكون رواية أجيال ،وأوقفت نمو "أديب" عن أن يكون عملا يستند إلى معطيات القصة النفسية الحديثة .

ونحن ننظر إلى تركيب الحادثة عنده ،ونرى بساطتها وبعدها عن التعقيد ،لا نطالبه بغير ما قدم ،فالفترة التي كتب فيها فترة عانت فيها الرواية العربية ،ولم يكتمل الوعي الفني إلاّ بعد سنوات ولدى من جاؤوا بعده . ومع ذلك يقدّر له هذا التنوع في طريقة العرض ،فقد عرض "الأيام" من خلال فن السيرة الذاتية ،لكنه جعل الجزأين الأول والثاني قريبين من العمل الروائي . وعرض "على هامش السيرة" باعتماد اللوحات المعبرة ،فأخرجها من إطار السرد التاريخي إلى دائرة العمل الفني . وقدّم لوحاته عن شخصيات "الوعد الحق" ،و"المعذبون في الأرض" ،دون أن يقع في دائرة المقال الوعظي التقريري . واستطاع في "أديب" أن يمزج أساليب السيرة ،والتحليل ،والمذكرات، والرسائل ،دون أن يصبح العمل تقريرا لمجموعة حقائق مجردة من الحياة ،وذلك كله إلى حد مقبول . هذا التنوع عنده مهم ،ونلاحظه في أعماله الأخرى التي تقع على هامش القصة القصيرة في "جنة الحيوان" ،و "جنة الشوك" ،بعض الفصول القصيرة الاخرى ،

---

١) طه حسين : دعاء الكروان ،ص٦٤ ، ٦٥ .

٢) طه حسين: شجرة البؤس، ص١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هذا التطوير يبقى أعماله في مرحلة أولية من الوصول إلى عمل فني روائي متكامل ، ويبدو أنه لم يحقق فائدة من تمرده على كلّ قواعد القصة كما أطلق ، فهذا التمرد لم يوصل أعماله إلى نتيجة ، فظل محكوماً لقواعد القصة من حيث الزمان وقد امتد بها الى مدى بعيد ، فقد نوّع المكان واستغل الحدث والشخصية والحبكة ، وهذه الحرية التي أصرّ عليها لم توصله مستوى (يولسيز) عند جيمس جويس، أو مستوى (الى المنارة) عند فرجينيا وولف ، أو حتى لم يقترب من (الحرام) ليوسف ادريس، و (اللص والكلاب) لمحفوظ.

وليست التجربة المباشرة هي مصدر كل ما كتب ، فهو منطلق في مجاله القصصي إلى مجال خبرته الانسانية الواسعة وأسلوبه الخاص وشخصيته الفذّة ، وإن كان هذا المجال وهذا الأسلوب وهذه الشخصية مجتمعين في عمل واحد ، فهذا العمل هو "الايام" .

ويلاحظ الدارس أن طه حسين كثيرا ما يخرج عن مجاله القصصي مع أنه يعرف بيئته القصصية جيدا ، وهذا الخروج المتكرر له أهداف واضحة يطرحها هو من خلال إصراره على عدم الاعتراف بقواعد لفن القصة ، لكن السبب الرئيسي يكون في رغبته طرح ارائه ومواقفه من خلال أعماله ، مقدما ذلك من خلال بيئته الفكرية والاجتماعية والسياسية التي ينتمي لها فكره ، فقد استمد الرمز الاسطورى من شهرزاد ، والرمز التاريخي من السيرة النبوية ، والمعذبين في الارض والثائرين على واقعهم من مجتمعه المصرى ، وأخذ حياته موضوعا لايامه . وصداقته لجلال شعيب موضوعا لأديب ، واستمد " الحب الضائع" من ثقافته الفرنسية أو حياته في فرنسا . استمد هذه البيئة وخرج عليها بفكره الحر ، وخرج عن مجاله القصصي في كثير من أعماله وبالذات في " الحب الضائع" ، "والمعذبون في الارض" و"ما وراء النهر" .

جـ ـ الحبكـــــة :

الحبكة في القصة هي : " الجانب المنطقي الذهني منها ، ومن مستلزماتها فنيا هذا الغموض الذى يتكشف لنا تدريجيا بما يلقيه الكاتب من شعاع من النور الكاشف هنا وهناك بالطريقة التي يراها مؤثرة أكثر من غيرها" .(١)

---

(١) محمود السمرة : في النقد الادبي ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ظل هذا التعريف ننظر إلى الحبكة في أعمال طه حسين القصصية . فليس بالامكان أن نرى بدقة في هذه الاعمال المتنوعة حكما على طه حسين في حبكته لقصصه المتنوعة الاغراض، فحبكته في الغالب بسيطة ، ولا تعني البساطة هنا ضعفا ، إذا نظرنا الى الحبكة بطرفيها المفككة والمتماسكة . ففي "دعاء الكروان" و "شجرة البؤس" وحدة في العمل القصصي تعتمد تسلسل الحوادث بينما الحبكة في الايام تعتمد البيئة والشخصية . أما في أحلام شهرزاد فهناك حبكة قد تكون قريبة الى الحبكة المفككة. ويصعب الحكم على القصر المسحور لانه يأخذ قيمته من اسلوبين مختلفين لطه حسين والحكيم. كما أن طه حسين غالبا ما يوزع الاضواء على جوانب قصصه توزيعا غير موحد، حين يهتم بالجوانب الموحية ، والأحداث التي تخدم هدفه . فهو في قصصه مشوق للقارئ الى حد ، لأن التشويق يأتي من هذا الايقاع الجمالي في الأسلوب ، وتنويعه بين السرعة في الحركة والبطء ، فمثلا نلاحظ البطء في الصفحات الاولى من "شجرة البؤس" ، والسرعة في النصف الاول من "دعاء الكروان" والجزء الاول من "الأيام" مع الاشارة مرة ثانية إلى خروجه المتكرر عن مجال القصة مما يقطع على القارئ تسلسل الافكار .

لقد استفاد طه حسين من الطرق الكثيرة في عرض القصة . وكان على عبقريته أن تنتفع بذلك . لكنه لم يخرج ـ رغم تنوع اساليب العرض لديه ـ عن العناصر الكلاسيكية في بناء القصة . وهو لا يلجأ إلى المفاجآت لكنه يميل إلى حل العقد عن طريق القدر كما فعل في "شجرة البؤس" ، أو عن طريق حادث بسيط كما في قصة صالح في "المعذبون في الأرض" ،

إن الحبكة في أعماله ـ على بساطتها ـ أدت دورها في هذه الاعمال ، وهي ليست حبكة آلية كما في القصص البوليسية ، أو النفسية التي تكتب تطبيقا لنظريه . ولا نجد في آرائه النقدية تصورا واضحا لهذه القضية الفنية الهامة . وإن كنا نرى في "الأيام" عملا ينقل لنا سماته الفنية والشخصية ، لكنه لم يصل في الأجزاء كلها إلى عمل قريب من الأعمال التي اعتمدت تيار الشعور في بنائها الفني .

والقصة عنده تخلق موقفا أو قضية لمكثر مما تخلق حياة . ويبدو أن الترابط عنده يخدم القضايا المجردة كقضية العدالة والحرية في "أحلام شهرزاد" ، وقضية حرية الأديب في "القصر المسحور" ، والتعليم في "دعاء الكروان" ، والتطور الحضاري في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"شجرة البؤس" . فهو لا يرى القصة كما يراها النقاد المحدثون "ليست هي الشعر ولا الأسطورة . وإنما ترسم حدودها ضمن المنطقي والقابل للانتقال والمشاركة".(١)

إن الحبكة الفنية تقوم على الاقتران بين العناصر وتداخلها . وتولد إما من تسلسل الظروف أو من الاشخاص. وعند طه حسين اعتماد على الطرفين . ففي "على هامش السيرة" و"الوعد الحق" و"المعذبون في الأرض" اعتماد على الاشخاص. بينما في "دعاء الكروان" و"شجرة البؤس" و "الحب الضائع اعتماد على الأحداث . ولو أنه جمع العنصرين معا في توازن منسجم لوصل إلى درجة تقرب أعماله من الكمال الفني ، مع أن كلا الطريقتين إن اتقن بناء الحبكة من خلالهما تحققت للعمل وحدته الفنية . وليست الحبكة عنده هذا النور المشع الذي يحول الحكاية من مجرد مجموع حوادث وأشخاص وعواطف إلى جزء من الحياة تمتزج فيه كل هذه الاشياء لتشكل نواة صلبة تكون في القصة مركز الثقل . كما أنه في تغليبه للأسلوب الشاعري الجميل ابتعد عن الحوار ، مما جعل هذه القصص ذات خطوط عامة في فن الرواية ، وكان بالامكان النظر بالرضا إلى هذه اللغة لو أنه استغلها لتقديم شكل فني كامل . فقد توافر له بيئة قصصية ، وثقافة واسعة ، نزعة انسانية ، وشرائح من الحياة والأسطورة والتاريخ تكفي لأعمال روائية متكاملة ، وتوافرت له شخصيته ـ في الأيام ـ المشعة المتألقة المشوقة ، فكان بإمكانه أن يحولها إلى قصة ذات حدث وشخصية وحبكة تمزج بينهما لو أنه اعطاها شيئا من الترابط أكثر ، وطور حقيقتها الزمانية والمكانية .

ونحن نلقي الضوء على فنية الرواية عنده ننظر بدقة إلى العالم الذي تتحرك فيه رواياته ، وهو عالمنا العربي الذي لم يتغير كثيرا في الربع الثالث من هذا القرن عن عن الربع الثاني منه ، وننظر إلى : "هذا العالم الروائي ـ النمط أو البنية أو العضوية ، الذي يضم العقدة ، والشخصيات ، والبيئة ، نظرة الى العالم ، الجرس هو ما يجب أن نتفحصه حين نقوم بمقارنة الرواية بالحياة" . (٢)

وننظر أيضا إلى هذه الآراء الهامة في النقد الحديث ، التي ترى الرواية من حيث أنها في التحليل النقدي " تتميز عناصر ثلاثة هي : العقدة والتشخيص ، والإطار . أو كما تساءل هنري جيمس: هل الشخصية سوى تحديد الحادثة ، وهل الحادثة سوى توضيح الشخصية".(٣)

---

١) نللي كورمو : فيزيولوجية القصة ، مجلة الآداب ، العدد الأول ١٩٥٤ ، ص٧٥ .
٢) رينيه ويليك ، اوستن وارن : نظرية الادب (ترجمة في الدين صبحي) ، ص٢٧٨ .
٣) المرجع نفسه ، ص٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ الأسلوب :

الحديث عن اسلوب طه حسين ليس أمرا سهلا ، ذلك أنه متأثر بثقافات واسعة. فهو صاحب أسلوب متميز ، متأثر بالقرآن والثقافة الاسلامية ، ومتأثر بأساليب كتّاب العصر العباسي ، الجاحظ وابن المقفع وأبي الفرج الأصبهاني . ومتأثر بالجملة الفرنسية الطويلة . فالكلمة عنده تعبير دقيق صادق عن عاطفة أو فكر ، وفي أسلوبه توازن وايقاع وتكرار وترادف وموسيقى محببه .

ولعلّ السبب في هذا أن طه حسين ، وقد فقد نعمة البصر ، ونتيجة لهذا حرم من رصد أثر كلامه في وجوه قرّائه ، قصد إلى العناية بأسلوبه بحيث يكون موسيقيّا مؤثرا، وبهذا يستيقن من تأثير ما يكتب في قرّائه ، وهو قادر على الحكم على مدى تأثير أسلوبه في قرّائه ، لأن له أذنا موسيقية ، ومن هنا تقوم الأذن بما عجزت عنه العين .

وهو في قصصه قد يكتب لا كروائي ،أو قاص ، ولكن كشاعر. فقصصه ذات مواقف شعرية وانسانية كثيرة ، يكشف من خلالها علاقات الناس والأشياء وواقعهم وتناقضاتهم . فجو القصة عنده محاط بهذا الاسلوب الذى يهتم به أكثر من اهتمامه بوحدة البناء العام، فارضا وجوده المفاجئ حينما يريد .

وهذه الشاعرية تتفتح بشكل مبشر في "دعاء الكروان" وهذا الحوار فذ والجيشان الوجداني حول هذا الطائر العزيز الذى يجعلنا نحس أننا أمام لوحات موسيقية رائعة. (١) وتتضح أيضا في "على هامش السيرة". (٢)

ومن هنا كان أسلوبه في دعاء الكروان مثار اعجاب، فقارئه "بحاجة إلى عين تسمع، إنه أشبه بالقصيدة الشعرية الطويلة التي تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل. (٣)

غير أن أسلوبه في الأيام ، وبخاصة في الجزأين الأولين ، هو أكثر أساليبه تميزا ، وبصورة منقطعة النظير ، وذلك في اعطائه الصورة تفاصيل حية تعتمد حواس السمع واللمس والشم . وفي هذا الاستطراد والتكرار ورسم الشخصيات الذى لا يخلو من سخرية لاذعة. خاصة في الجزء الاول حين صوّر معلم الكتاب، وفي الثاني حين صوّر دروس الأزهر وحوش عطا .

---

١) طه حسين : دعاء الكروان ص ١٠ ، ١١ ، ٢٢ ، ٦٦ .

٢) طه حسين : على هامش السيرة ١/٢ ، ٢/٢٢٦ ، ٣/١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٤٢ .

٣) انجيل فانيه : طه حسين وأسرار الليل المعرفة ١٥٣ تشرين ٢/١٩٧٤ ، ص١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يبدو للقارئ أن هذا الحديث في أسلوبه يشير إلى تناقض المؤلف، ونحن نسمي ذلك تنوعا لا تناقضا، مع أنه يعتقد أنه "ليس على الاديب بأس في التناقض فهو لا يتناقض في لحظة واحدة ولا في ظروف بعينها، ولكن ما يكتبه من آثار يمثل لحظات مختلفة من حياته فيظهر مختلفا متباينا كما اختلفت هذه اللحظات وتباينت".(١)

إننا ندرك تماما أن الحديث عن أسلوب طه حسين يحتاج إلى وقفة دقيقة، وبخاصة إذا أردنا أن نعرف أثر التقنية في قصصه ورواياته حيث يبرز أول اثر من خلال "اعتماده على الصوت مصدرا اساسيا له للتعرف على الشخصية، وكان حكمه على الشخص كثيرا ما يكون مبنيا على أساس ما يوحي به إليه صوته".(٢) وهذا موضوع رغم وضوحه المبدئي فانه يحتاج إلى استعمال "الكمبيوتر" مثلا كما تقترح سهير قلماوي في تتمة حديثها السابق، وبخاصة استعمال طه حسين الالوان لوصف الصوت أحيانا. فهذا صوت الهاتف الذى يهتف بعبد المطلب وصوت الكروان الذى تنصت اليه آمنة.

إن لغة طه حسين في كتاباته بعامة دلالة على أنه عرف كيف يطوع اللغة العربية الفصحى، لا إلى المفاهيم العصرية بل إلى الروح التي تنبع منها لغة الكلام العادية فقد ذلل صعوبة "التفاوت بين الكلام ولغة الكتابة، بين لغة الحديث واللغة الكلاسيكية، بين العامية والفصحى".(٣)

فلغته مع ملاءمتها لروح العصر ترتبط بالثقافة القومية والنزعة الانسانية وتلائم رواياته وشخصياتها. وإن كان يؤخذ على هذه الروايات أنه ينطق كل اشخاصها لغة واحدة، هي لغته هو. وأحيانا كثيرة تكون اللغة بمستوى أكثر مما هو متوقع من شخصية عادية كامنة في "دعاء الكروان"، أو فاتنة في "أحلام شهرزاد". ذلك أنه لم يلجأ إلى العامية إطلاقا أو إلى أى نوع من انواع الحوار السريع القصير.

وما دمنا نرى في النقد الادبي "فعالية فكرية ذوقية نستطيع بواسطتها فهم المسائل الادبية وتفسير الأعمال الادبية وتحليلها وإصدار احكام مناسبة بشأنها".(٤)

---

١) طه حسين: فصول في الأدب والنقد ص١٨.

٢) سهير قلماوى: ذكرى طه حسين ص٨٠.

٣) البشير بن سلامة: طه حسين بين الكلام واللغة، الموقف الادبي، عدد ٥٧، ٥٨ كانون ثاني. شباط ١٩٧٦، ص٥٣.

٤) حسام الخطيب: أبحاث نقدية ومقارنة، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن مثل هذا الفهم يقود إلى الاستعانة بالمعارف المتعددة والمعرفة الفنية الاسلوبية في فهم اسلوب طه حسين، الذى هو وعاء كل ما كتب. والاسلوبيات تحتاج إلى أساس كامل من اللغويات العامة حتى لا يبقى الحكم انطباعيا، وبخاصة ما يتعلق بالصور عنده. معتقدين أن الاسلوبيات "لن تكون جزءا من البحث الادبي إلا إذا كان هذا الاهتمام الجمالي أساسيا". وهناك منهجان ممكنان لمعالجة مثل هذا التحليل الاسلوبي: أحدهما أن نشرع بتحليل منهجي للنسق اللغوى للعمل الادبي، وأن نشرح ملامحه بحدود اعتراضة الجمالية، المنهج الآخر يقوم على دراسة مجموع الخصائص الاسلوبية التي يختلف بها هذا النسق عن الانساق المقابلة للمقارنة". (١)

فاسلوب طه حسين يحتاج مثل هذه الدراسة خاصة للتخلص من الأحكام العامة حول الأسلوب السلس الواضح الملائم لكل موضوع، أو الألفاظ المنسابة... الى غير ذلك من الاحكام التي قد تقبل في اسلوب المقالة أو التاريخ، لكنها في فن القصة جزء من كل. فقضية اللغة في الرواية العربية قضية هامة، فليس يكفي أن يكتب أحدهم باسلوب جميل حتى يكون روائيا، فهناك قضايا أخرى كالوحدة الفنية والشخصيات وعالم الظلال الذى يربط كل أجزاء القصة. فالتركيز على الاسلوب قد يجعل الشخصيات التي تتعارض داخل العمل الفني نمطية إن أخضعها الكاتب لأسلوب واحد في الحديث. والعمل الفني الروائي أرحب أفقا وحرية من أى عمل فني آخر، إن كان مبدعه قادرا على تمثّل كل قواعده التي قد تكون في نهاية الأمر حريته المطلقة، ويجعله قادرا على أن يفهم اللغة في الرواية، ويدرك أن القصاص "ندّ للاله، إنه الخالق بالكلمة، والقصة هي إذن خالقة الحياة، ولكنها ليست مع ذلك نسخة دقيقة عنها..." (٢)

إنها محاولة للتعرف على اسلوب طه حسين وإلى أى مدى يتبدى "الروح القوطي" (٣) فيه. ففي اسلوب طه حسين اعتماد في التصوير على الحركة والتفصيل والتنغيم والمقابلة والتضاد. كما يستعين بالحركة ناطقة وصامتة ونشيطة ر... وفي رسمه للشخصيات

---

١) رنيه ويليك، اوستن وارن: نظرية الأدب. ترجمة محي الدين صبحي، ص٢٣١.

٢) نللي كروو: فيزيولوجية القصة، الاداب، العدد الأول ١٩٥٤، ص ٧٣.

٣) كولين بالي: رأى انجليزى في القصة المصرية، الهلال، عدد مارس ابريل ١٩٤٣، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحدثنا عن ماضيها واضطرابها في الحياة وتطوراتها ،ومثال ذلك الجزء الثاني من أيامه حيث قدم حشدا من الصور. ونحن لا نسمي تفصيله لهذه الصور إطالة كما يرى بعض الدارسين (١) . بل نرى ذلك ميزة له ،لعل لعاهة العمى أثرا كبيرا فيها، فهو لا يكتب ولا يقرأ ما يكتب. وفي تصويره أيضا للبائسين والمترفين تدقيق واضح، وغالبا لا يحدّد صوره بالاسماء ،كما يوازن بين الجمل الطويلة والقصيرة مع انسياب موسيقى في اللفظ يؤدي الى المتعة والتأثير. فاسلوبه يمثل بلاغة الاسهاب اكثر من بلاغة الايجاز.

وصوره الفنية هذه من أروع الصور في أدبنا الحديث وأشدها حبكة وتماسكا واتفاقا مع المضامين حتى سمى بعض الدارسين هذا الاسلوب " مذهب الاستعراض التصويري" (٢) فهو يرسم لوحات متتابعة ،أدواته فيها الكلمات والجمل ،لوحات للمناظر وللحوادث وللمعاني وللخطرات النفسية وللانفعالات الذهنية على السواء.

هـ- طه حسين والقارئ :

هذه ميزة جديدة لطه حسين على غيره من الكتّاب ،وهي حرصه على وضوح علاقته بقارئه ،هذا الحرص الذي جعله يحس بالقارئ ،فيحاوره قاطعا حركة الحدث والشخصية مؤكدا لقارئه أنه حر فيما يريد ،مهاجما قواعد القصة. ونجد هذا الإلحاح في قصص قاسم وصالح في (المعذبون في الأرض) حيث مرّبنا كيف قدم افضل آرائه في القصة من خلال هذا الحرص على الحوار مع قارئه.

وهذا الشعور بالقارئ أبعده عن التقيد بقواعد القصة ،مما جعل الصفحات الاولى من (ما وراء النهر) حديثا في الفن قبل أن يقدم شخصياته. وطه حسين يحس بعمق حضور قارئه ويريد دائما أن يفتح حوارا معه ، يعلمه ويعظه ويقدم له صور الناس في الحياة جادة وهازلة ،فقد قدّم للقارئ صورا انسانية كثيرة للحرمان والقسوة،وخلع على شخصياته كثيرا من عواطفه وارائه.(٣)

---

١) نعمات فؤاد : قمم أدبية ،ص١٦٢ .

٢) سيد قطب: كتب وشخصيات،ص١١٠ .

٣) انظر في علاقته بقارئه : المعذبون في الأرض ص٢٠ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٧٠ ، الحب الضائع ص١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وصلت به هذه النزعة إلى الوعظ والتعليم إلى حد أنه في كثير من المواقع قدّمها على الفن الروائي ذاته ،وجعل شخصياته مميزة نمطية مثالية يقدمها بأسلوبه المتميز والوصف السردى المحكم الذى تغلب فيه اللغة على أى جانب آخر. هذه الحرية التي مارسها في رواياته هي من العلامات المميزة لها . فقد كان يلمح إلى أنه ليس بكاتب قصة . ومن هنا ،من هذه الحرية ،ومن هذه اللغة الجميلة أثبت لنا أن أسلوبه هذا يصلح لتقديم أى عمل روائي مهما كان معقدا حيث تمكن من تصحيح مفهوم اللغة وخلصها من التصور الخاطئ الذى يراها صورا ورموزا تقرأ بالعين فحسب. فاسلوبه له ابعاده التي تتجاوز المصطلح اللغوى وهي أبعاد موسيقية . فمن الضرورة أن نعنى بالايقاع عنايتنا بالتراكيب اللغظية . فإذا كان يتلقى المعرفة والتعبير عن طريق الاذن،فهو أيضا يبعث المعرفة والتعبير عن طريق الصوت المسموع.(١)

من هنا تبرز في هذه الميزة ثلاث ميزات فرعية هي :

١ . شعوره بقارئه .

٢ . ميله إلى الحرية وتمرده على قواعد الفن الروائي .

٣ . رغبته في التعليم ونشر آرائه في كل ما يكتب.

و — التنـــــوع:

من خلال الفصول السابقة يمكن أن نوجز هذه الميزة في روايات طه حسين وقصصه من جانبين :

الأول من حيث الفن الروائي ذاته : فقد قدّم صورا قصصية في "جنة الحيوان" ،ومقالات قصصية في القصص الملحقة بالحب الضائع، وبعض فصول "أحاديث" و"بين بين" ، وقدّم قصصا قصيرة في "المعذبون في الأرض" . كما قدم قصصا طويلة في "دعاء الكروان" ،وقصصا رمزيا في "القصر المسحور" ،و"أحلام شهرزاد" ،وسيرة ذاتية في "الأيام" ،وسيرة غيرية في "أديب" ،وقصة رومانسية في "الحب الضائع" ،وقصصا ذا طابع ملحمي في "على هامش السيرة" .

---

(١) انظر في ذلك عبد الحميد يونس: طه حسين بين ضمير الغائب وضمير المتكلم ،طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره ،ص٦٨ ، ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني من حيث الموضوع: قدم قصة حياته في "الأيام"، وقصة أجيال في "شجرة البؤس"، واستمد من التاريخ موضوعا رائعا لكتابيه "على هامش السيرة"، و"الوعد الحق". ومن التراث الاسطورى العربي "أحلام شهرزاد"، و"القصر المسحور". ومن الواقع الاجتماعي المصرى "دعاء الكروان" و"المعذبون في الأرض"، هذا التنوع الذى نجده عنده في الشكل والمضمون جزء من اهتماماته الكثيرة في كل مؤلفاته. فهو ليس مثل تيمور أو نجيب محفوظ أو الحكيم متخصصا بفن معين. وهذا التنوع يمتد زمنيا فترة ربع قرن ويزيد. أى منذ الجزء الأول من الأيام سنة ١٩٢٦ حتى الجزء الثالث منه سنة ١٩٥٥ وبينهما كان هذا التراث القصصي المنوّع، الذى قدمناه في فصل روايات طه حسين بين الاتجاه والمضمون بشكل مفصل. ولا يعني هذا أننا نرى فيه نقطة ضعف في تراثه القصصي. وإن كانت قصصه المتنوعة هذه في الغالب وسيلة لا غاية إذ أنها تنقل فكره ومواقفه، وتقوم على صراع الأفكار لا على صراع الأحداث والشخصيات. هذه الشخصيات التي لم يقدم خلقا كاملا لها جميعا ولم يعط مفاتيحها بوضوح. فظل الدارس يحتاج التعامل مع هذه الشخصيات وأحداثها حتى يستطيع، من بين هذا العطاء الغزير، أن يجد شيئا يمكن أن يقوله، حين يبحث عن نزعة التأمل في أسلوبه، وضمير الغائب في أيامه، وتخلخل البناء الفني عنده، وتبرمه باصول الفن كله، ومعالجاته الروائيه المباشرة، فهو مكتشف لا مبدع استنادا الى رأيه في الحكيم. ويمكن ان ينطبق هذا الرأى على "على هامش السيرة" و"الوعد الحق"، و"أحلام شهرزاد"، والقصر المسحور". فقد قال هو عن "أهل الكهف" للحكيم: "أما موضوع القصة فلم يخترعه الكاتب، وإنما استكشفه وفرق ظاهر بين الاختراع في الادب والاستكشاف. ولعل الاستكشاف أن يكون أصعب في كثير من الاحيان من الاختراع".(١)

غير أنه في هذا كله يستند الى رأى له في المكونات للروح المصرى، التي ينبغي أن يقوم عليها الأدب الحديث وهي الروح الأدبي المصرى، والعنصر العربي، والعنصر الأجنبي. (٢)

---

١) طه حسين: فصول في الأدب والنقد، ص٩٤.

٢) المرجع نفسه، ص١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ز- يؤخذ على رواياته هذا الانشغال بالهدف أكثر من الوسيلة، وتظهر بعض أعماله غير ناضجة من حيث الفن الروائي؛ ويظهر هذا واضحا في "شجرة البؤس"، ففيها مظاهـــرة سياسية دينية".(١)

فقد سعى طه حسين إلى الناس عامة ليعيش في وسط الجماهير التي ينتمي اليهـا. فكان همّه أن يقدّم ما يرضيها، وخاصة في أوقات الأزمات. فالأيام بعد أزمة الشعـــر الجاهلي وجزؤه الثاني بعد أزمة الدستور، و"أحلام شهرزاد" في الحرب الثانيـــة و"المـــعذبون في الأرض" في واقع مصر الخانق بعد هذه الحرب.

لقد كان طه حسين يستلهم الخيال ويعتمد طريقته التصويرية، لكن ذلك يبقى مشروطـا برغبته في تقديم ما يناسب مجتمعه. فغلب المضمون والأسلوب على البناء الفني الحقيقي. فقدّم صورا من المآسي، ومقطوعات من الاسلوب ذات ايقاعات لونية، فكان ما قدمه جديدا في أسلوبه وبيانه، لكن هذا لا يبرر له إهمال الشكل الفني وهو الذي نقد قصص يحيى حقي "صح النوم" ومحمد حسين هيكل "هكذا خلقت" ونجيب محفوظ "بين القصرين"، وغيرهم.

ح- يؤخذ عليه أيضا أن مضمونه الاجتماعي يتألف من قيم مطلقة كالعدالة والكرامة. ووسائـل التعبير الفني عنده ترتكز على الفصحى فهو يبقى مميزا باسلوبه، هذا الأسلوب الفني بالظلال المستند إلى ثقافة عميقة. لكننا نختلف مع من يقولون إن الرواية عند طه حسين خلق معقد (٢) فنحن نفهم القصة المعقدة كما هي عند "وليم فوكنر"، ونسمي قصص طه حسين أو نصفها بأنها قصص عادية ذات أسلوب منساب واتزان واضح وهدف محدد. فهو لا يضيف مكتسبات فنية حقيقيـــة للقصة العربية. إذ لم تنتقل على يديه من مرحلة السرد والتحليل إلى عدد الابعاد القصصيـــة وتوحد الرمز بالحدث، رغم استعماله لها. كما أنه لا يلتزم بمجاله ولا بمناخ الشخصيات نفسها. وحتى في قصصه ذات الطابع الاسطوري، لا تكتسب هذه القصص غموض الاسطورة وجمالهـــا وغرابتها، فهي رموز مباشرة. كذلك الأمر في قصصه ذات الطابع الواقعي. فيجب أن يكون هذا التلاحم نابعا من وجدانه وانفعاله الذاتي، وهما مصدر الابداع والخلق حتى يكتسب الواقع الخارجي سماته الفنية. وهذا يحتاج مزيدا من التنظيم والتنسيق والوحدة العضويـــة مما لا نلمسه بشكل محدد في أعمال طه حسين.

---

١) فتحي سلامة: مدخل إلى فن الرواية عند طه حسين، القصة، العدد الثالث السنـــة الأولى، آذار ١٩٧٥، ص١١٦.

٢) شكري عياد: الأدب في عالم متغير، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . رأى :

طه حسين في النهاية روائي ، سا هم في الرواية المصرية بأن كان حلقة في حلقات التطور ضرورية لا بد منها . فنحن إذا أخذ ناه كاتبا روائيا جاء بعد هيكل الذى تحرج من وضع اسمه على رواية "زينب" ، وبعد المازني والعقاد في "ابراهيم الكاتب و"سا رة" ، وبعد رومانسية جبران وعواطف المنفلوطي المتفجرة ، وتاليا لزيدان ورواياته التاريخية المسطحة ، فإنه ذو مساهمة من هذا المنطلق فقط ، أما من حيث المعمار الفني فلعل مساهماته الأساسية تأتي من دراساته النقدية وترجماته ومن توضيح الصورة وطرح قضية الرواية العربية أمام النقاد . فهو "روائي دون شك" (١) ، لكنه إلى ذلك عبقرى ورائد في مجالات أخرى ، مدرسة من مدارس فكرنا الحديث ، وإن يكن ليس روائيا بالدرجة الأولى قياسا على بقية اعماله . ويعذر اذا نظرنا إلى الرواية العربية اليوم ، فهي ما تزال غير محددة المعالم ، ولعلها في الغرب رغم كل ما كتب عن قواعدها ما زالت تعيش مراحل تطور كثيرة . لقد عبر عن قضايا مجتمعه وصور مواقفه وعواطفه واحاسيسه بكل حرية ، بتنوع يرتد بالتالي إلى مواقف فكرية محددة وبفهم للشخصيات خاص . فقد أنطقها باسلوب واحد فيه تكرار وسود وإلحاح ، وإن كانت الرواية تحتاج الدقة لا التعميم والخضوع للعقل في بنائها ، لا في تدخل المؤلف في لبّ القضايا وحركة الاحداث ، مما أفقده الروئية الفنية الواضحة وجعلنا نقف حائرين بين شخصيته وشخصيات قصصه ، وبين ثقافته وبين فنه . فإذا كان يعتمد الحرية ويرفض القواعد فهو يخضع أدبه للظواهر الاجتماعية دون أن يطرحه كظاهرة جمالية مع ما في أسلوبه من جمال ، كما أنه لا يملك نظرة شمولية للفن ، فقصصه مراحل في تطوره الفكرى والنقدى ، هذه المراحل التي نقلته من ناقد بلاغي لغوى إلى منهج النقد الفني العلمي ، لكنه يخضع كل ما يكتب لعقله الحر سواء كتب بضمير الغائب كما في "الأيام" ، أو بضمير المتكلم كما في "الحب الضائع" أو التفت إلى الاسلوب كما في "دعاء الكروان" ، أو ابتعد عن الحوار وسمى قصصه أحاديثا كما في "المعذبون في الأرض" ، فهو بالتالي روائي من نوع خاص ونحن نقصد في هذه الكلمة الرواية عامة كظاهرة تغلب على نتاجه الذى ندرسه ، مع أن فيه قصصا قصيرة وقصصا طويلة .

---

(١) سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، ص٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل في كل ما تقدم من هذه الدراسة ما يبرر هذه المحاولة التي تظل مجرد نظرة عامة إلى جزء خاص من فكر طه حسين ، والتي تضع الدارسين أمام حقيقة لا بد من التركيز عليها وهي أن فن الرواية العربية ما يزال بحاجة الى مزيد من الدراسة ، وبخاصة إذا نظرنا إلى الفن الروائي على أنه رؤية للحياة من خلال مجموعات من الشخصيات والأحداث تتحرك في الزمان والمكان ، وأنها خلق لواقع جديد وليست نسخة عنه ، ورصد لحياة الأشخاص الذين يتحركون في هذا العالم ، وتماس مع الوضع البشرى والمصير الانساني كله . ويتم التعبير عن ذلك بالفكر والرؤيا والقلم ، تكون كالموسيقى من حيث انفتاحها على الحياة وتواجه التحدى كي تتطور من الرواية التقليدية إلى الرواية المعاصرة ، التي هي تصوير دقيق للحياة بأوسع مفاهيمها .

وتبقى هذه المآخذ على طه حسين ودوره في الرواية العربية الحديثة ، فلو أنه طور الصراع وعقد الحبكة لوصل الى نتائج أفضل ، خاصة وهو قد طرح صراع الانسان والقدر في "الأيام" ، وصراع الانسان مع التطور والتخلف في "شجرة البؤس" ، ومع التقاليد في "دعاء الكروان" ، وصراع الخير والشر والحق والباطل في "على هامش السيرة" و"الوعد الحق" و"أحلام شهرزاد" ، لكنه جعل ابطاله الرئيسيين يستسلمون في الغالب أو يتدخل القدر لانقاذهم ، وحتى صراع الطبقات في "المعذبون في الأرض" كانت نتائجه سلبية ، وإن كان هذا الصراع لا تدخل فيه الشخصيات الثانوية بشكل واضح ، فشخصيات "الأيام" مثلا كثيرة ، وكان من الممكن أن تدخل زوجته وأبوه وابناؤه بالمستوى الذى دخل به معلم الكتّاب ، لكنه صوّر الواقع والصراع من خلال تدخله المباشر ، هذا التدخل الذى أخضع العملية الفنية للعقلانية والتخطيط ، "كما اخضعها لكثير من الاستطراد ووقوف الحركة ، حركة الحدث الروائي . لقد كان كثيرا ما يملك أسباب الرواية الخصبة العطاء ، والمادة الخام التي تكفل له البراعة الروائية ، ولكنه كان معلما وكان قارئه أمامه دائما يريد أن يتلقى عنه ويحسب له ألف حساب."(١)

من كل ما تقدم نرى أن اعماله القصصية فريدة في نوعها ، وإن كانت بعض هذه الانواع قد استمرت في انتاج من جاؤا بعده وبالذات التدخل بين القارئ والنص.(٢) فقد جاءت شخصياته نماذج عامة ، وقد أرادها هو كذلك حيث قال عن أمونة وسكينة

---

(١) سهير القلماوى : ذكرى طه حسين ، ص١٢٦ .

(٢) انظر مثلا يوسف ادريس : لغة الآى آى ، ص١٣٧ ، ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في " المعذبون في الأرض" ، "فأيسر شيء أن ينظر القارئ إلى هذه الحياة الصاخبة من حوله فسيرى فيها أمونات وسكينات كثيرات لا يحصين بالمئات ولا بالالـــوف".(١) فلجوئه إلى جعل شخصياته رموزا أمر واضح ، واضح في "أحلام شهرزاد" ، و"جنة الحيوان" و"شجرة البؤس" (إن اخذت على أنها جزء من حياته الخاصة) فهو يستغل الشخصيات كمعان مجردة ، يشرح من خلالها أفكاره ناسيا حق البناء الفني عليه . هذا التصـــور لأعماله في هذه الدراسة يظل قاصرا اذا لم يعمد إلى مقارنته مع معاصريه وأدوارهـــم وفهمه في ظل تحرّك الرواية العربية الحديثة من المقامة إلى واقعها الحالي اليوم .

ونحن نريد للرواية العربية بعده أن لا تكون لحنا جنائزيا يرافق صور البـــؤس والتخلف والحرمان في عالمنا العربي ، بل أن تكون قادرة على إزالة الغشاوة عـــن كل العيون التي انطفأت فيها حرارة الرؤيا ، وأن تكون رد فعل ايجابي لا سلبـــي ، وأن تتحرر من وطأة الضغوط الاجتماعية والمظاهر الخارجية لتغوص بالقارئ العربـــي في أعماق الحياة ، لترفعه من هوة العذاب والقهر والخنوع والذل ، ومن هجير الصحراء والرمال المحرقة إلى ظل نخلة شامخة فوق أرضنا العربية .

إننا ونحن نقرأ طه حسين في "شجرة البؤس" ، لا نريد انسانا مثل "خالـــد" ينحلّ من الداخل ، وتسقط كلّ قيم النضال عنده ، يعيش في بلادة وعجز عقلي ، وينتظـــر القدر بعقل عاجز ويد مشلولة ، ويمارس مع شخصيات اخرى صلاة أبدية للسكينة التـــي تهيمن على واقعه .

إننا نريد أن يخرج بنا الروائيون العرب من الشوارع الخلفية المعتمة إلى انـــوار الحياة ، ومن البطولة الفردية وفروسية عنترة إلى البطولة الجماعية ، ومن الفرد المعذب الذي يموت تحت عجلات قطار في "المعذبون في الأرض" إلى انسان يؤمن بـــالأرض والعذاب من أجلها ، ويموت شجاعا حين يعانقها بعينيه وفكره وصلاته .

آن لنا أن نكتفي من صور العذاب والانسحاق والهزيمة ، وإذا رسمناها فلتكـــن فيها عبرة ، لا مجرد نقل حرفي لواقع نرفض أن نعيش فيه كما هو إلى مليون عام قادمة .

إننا ونحن نقرأ روايات كتابنا في الربع الأخير من هذا القرن نحس بالفرحة ، حيـــن نقرأ زكريا تامر ، وحنا مينة ، وإميل حبيبي ، وحين نقرأ غسان كنفاني ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ويوسف أدريس وغيرهم كثيرين ، نحس بالفرحة حين نرى التطور في الإلتزام من حيث المضمون وفي المعمار من حيث الفن . وكلنا أمل أن يكون لنا في الرواية العربية أكثر من مبدع .

---

(١) طه حسين ، المعذبون في الأرض ، ص. ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ما تقدم إضاءة لجانب من فكر طه حسين ، وكان مجرد إشارات إن استطاعت أن ترى بعيني الباحث بعض عطاء طه حسين ، فإنها قاصرة عن أن ترى كلّ ما قدمه طه حسين ولم ير شيئا من حروفه .

إن الباحث يرى في طه حسين ذروة ما وصل إليه العقل العربي في هذا القرن ، يرى فيه مناضلا صعبا من أجل الحرية والديموقراطية والتجديد ، كان بفكره رائدا من روّاد نهضتنا الحديثة بشجاعته وجرأته وثقافته ، وكان مناخا من الحرية ما زلنا ندير من خلاله كلّ ما تيعلق بأدبنا ، قديمه وحديثه ، من معارك وبحوث ودراسات .

انتقل طه حسين من أعماق صعيد مصر في مطالع هذا القرن ، يحمل همّ بلده في قلبه بعد أن ساهم تخلف هذا الوطن في ضياع عينيه وهو بعد في فجر طفولته ، وقد حمل الهم إلى القاهرة بأزهرها وجامعتها ، ثم إلى باريس ، بلد السوربون وسوزان واميل دوركهايم ، ومدّ فكره إلى ثقافات قومه وثقافات شعوب العالم من حوله ، وعاد إلى مصر ومعه هموم "أوديب" ، وزاد من ثقافات الاغريق والرومان ، وشعلة من نار "بكارت" المتوهجة ، عاد يتلمس صفحات تاريخ قومه منذ جاهليتهم إلى اللحظة التي فيها يعيشون معه . واستطاع بهذه المكتسبات أن يبعث في أعماق الجمود هزّة مدوية في معركته حول الشعر الجاهلي ، ما كاد القوم يفيقون منها حتى قدّم لهم أيام عمره صفحات رائعة في كتابه "الأيام" ثم ما تبع ذلك من دراسات ومعارك وأيام ، يجدها الباحث في تلمس طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر" ، وصفحات "السياسة" ، و"الكاتب المصري" ، ولوحات "الوعد الحق" ، و"المعذبون في الأرض" .

كان سر عظمته في هذا التوازن الدقيق بين الشرق والغرب ، وهذه الشخصية التي لم تتعود الانحناء ، وهذه "الوحدة" في عطائه على ما في هذا العطاء من تنوع . وكان السرّ أن فكره كان انعكاسا لتطلعات وطنه وأمته ، وشهادة صادقة لأصالته وعمقه وانفتاحه الواعي على الانسانية ، وأسلوبه المميز بين الأساليب .

ألم يكن هو الذي قدّم "المعرّي" و "ابن خلدون" في رسالتين جامعيتين ، أولاهما لجامعة مصر الناشئة ، وثانيتهما لجامعة السوربون العريقة ؟

وهو الذي قدّم فولتير وديكارت والمتنبي وأبا تمام والبحتري وشعراء الغزل العذري . . . حتى وصل إلى حافظ وشوقي . . . ؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قدّم كل ذلك ليوقظ النائمين من قومه ، وحين أفاق بعضهم هاجموه ؟

لقد كان فكر طه حسين تصورا شاملا للحضارة الانسانية ، وفهما لمكتسبات العصر الذى بدأ يتفتح عليه ، ووعيا لقضايا الوطن الذى كان هو وأهله بعض قرائه . ولعلّ توهج ثورته العقلية فترة طويلة نابع من انتمائه العميق لوطنه ورغبته في أن يعيش بنو قومه بحرية ، هذه الحرية التي وفق من خلالها بين التراث والمعاصرة ، والقديم والحديث ، وقدّم في ظلّ معاناته في سبيلها أروع كتاباته .

وكان طه ، إلى ذلك كله ، تيارا وظاهرة ، تيارا يجرف في طريقه كلّ مظاهر الموت والجمود ومقابر الأزهريين في شروحهم وشروحهم على الشروح ، وظاهرة تقف أمام الدارس بكل تفرعاتها وألوانها لتضعه في تماس مع الصدق والأمل وحرية الانسان .

لقد خرج طه حسين من ريف مصر ، ليكتب عنه بعد خمسين عاما ويزيد : "شجرة البؤس" و "دعاء الكروان" وحكايا "المعذبون في الأرض" ، وليجمع بين فقراء مكة المنتظرين "الوعد الحق" وبين فقراء مصر . وذلك بعد أن جعل عقله يحتمل اعباء أربعة عشر قرنا من الزمان ، قدّمها ، بقلمه وعقله وخياله وجرأته ، في صفحات كتبه عن الجاهلية ، وصدر الاسلام ، والمعرى ، وأبي الطيّب ، وفي صفحات جنتيه : "جنة الحيوان" و "جنة الشوك" وبقية كتاباته .

ولو لم يكن له شيء من هذا . . . . ،

وكان له موقف من الحرية الفكرية لعرفه ،

وموقف من العلم نجلّه ،

وموقف من التراث نعتز به . . .

لكان بهذه فقط واحدا من عظماء تاريخنا الحديث . . .

أما ميدان هذا البحث فكان تلمّس ما قدمه طه حسين في فن الرواية ، وكان محاولة للتعرف على جهده في هذا المجال ، من خلال الإلمام بما قدّمه الروائيون العرب ، من سبقه منهم ومن عاصره . وقد قدم الباحث تصوّره في الفصول السابقة وهي خمسة :

الأول : وقد سبقه تمهيد ، وفيه حديثه عنه انسانا ومؤلفا . وقد عرض الباحث بإيجاز لهذين الجانبين ، مقدما ما يخدم الدراسة ، بعد أن حدّد اهداف البحث ومنهجه ومصادره .

الثاني : فن الرواية العربية قبله ، وقد حاول الباحث أن يقدّم بين يدى الحديث عن روايات طه حسين بحديث عن الجهود العربية في هذا المجال ، موجزا الخطوط العامة والمساهمات الرئيسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما حصل من تطور في مضمون الفن وشكله .

الثالث: وفيه تحدث الباحث عن نظرة طه حسين لفن الرواية ، مستقرئا لذلك كتبه بعامة ودراساته النقدية في القصص العربي والغربي . وكان الهدف من هذا الفصل معرفة ما إذا كان طه حسين صاحب نظرية في فن الرواية أم أنه يقدم آراء متناثرة . وقد مهّد بهذا الفصل للحديث عن روايات طه حسين .

الرابع: يشكل هذا الفصل مع الذى يليه أساس هذه الدراسة ، فقد درس الباحث فيه عددا من مؤلفات طه حسين التي رأى فيها طابع الرواية أو القصص القصيرة . وقد صنفها في محاور، بما يخدم توضيح هذا التنوع في رواياته بين فنون أدبية مختلفة من جهة ، وفن الرواية من جهة أخرى ، مما قاد الى الحديث عن السيرة والتاريخ والأسطورة ومذاهب الأدب المختلفة . وقد درس الباحث في هذا الفصل من كتب طه حسين : "أديب" ، و "الأيام" ، و"دعاء الكروان" ، و"شجرة البؤس" ، و "المعذبون في الأرض" ، و "القصر المسحور" ، و "أحلام شهرزاد" ، و"على هامش السيرة" ، و"الوعد الحق" . كما درس قصته التي لم تتم "ما وراء النهر" ، وفصولا متناثرة في عدد من كتبه وبعض المجلات .

الخامس: كان عن الشكل الفني في روايات طه حسين ، وقد اهتم الباحث بقضية الشكل الفني في الرواية العربية بعامة ، وعند طه حسين بخاصة . وحاول أن يبرز المحاور العامة والميزات الرئيسة لروايات طه حسين من هذا الجانب . وقد قام الباحث بذلك، تتمة للفصل السابق الذى كان عن مضامين هذه الروايات، إذ ساعد هذا التعرف على ميزات الشكل الفني عنده في تحديد مكانة طه حسين في الرواية العربية ثم قدم الباحث في نهاية هذا الفصل بعض ما توصل إليه من آراء .

لقد أشار الباحث في مقدمة بحثه إلى أهداف الدراسة ومنهجها ومصادرها ، وطرح عددا من الأسئلة ، كانت الدراسة كلها محاولة للإجابة عنها وهي :

هل لطه حسين نظرية محددة في فن الرواية؟

هل طه حسين مبدع ومجدد في هذا الفن؟ وإلى أى مدى نعتبره كاتبا روائيا بالمقارنة مع الروائيين العرب؟

ما هو دوره في تطوير الرواية العربية الحديثة من زاويتي الشكل والمضمون؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الإجابة الموجزة عن هذه التساؤلات يمكن أن يخلص بها الباحث من خلال الدراسة كلها على النحو التالي :

من حيث علاقة طه حسين، بفن الرواية يرى الدارس أن طه حسين ساهم في تقديم آراء هامة في الفن بعامة وفن القصة بخاصة، وكانت مساهمته نقدا وكتابة.

غير أنه ليس صاحب نظرية في هذا الفن، فاهتمامه بالرواية جزء من دراساته كلها. وقد كان متصلا بهذا الفن، ويرى فيه فن تثقيف ومتعة يرتبط بالعقل والقلب ويخدم قضايا المجتمع، كما لاحظ الدارس أن طه حسين ملم بقواعد الرواية إلماما جيدا، وأن دراساته فيها ذات أثر في تطور هذا الفن.

أما الإجابة عن السؤال الثاني، فيرى الدارس أن طه حسين كان كاتبا ذا مساهمات في فن القصة، والفصل الرابع من هذه الدراسة تأكيد لذلك. غير أنه كاتب قصة من نوع خاص، يفهم من خلال تراثه كله ومساهماته في الفكر بعامة، إذ لم يكن متفرغا لهذا الفن، حتى أنه لم يكتب قبل عقود حياته الأربعة الأولى أثرا قصصيا، كما أنه حاول أن يقدم ثورته على قواعد القصة، لكنها كانت ثورة محدودة، لم تبرز في أي عمل فني من أعماله لما يعطيه مكانة عادية لا متميزة بين كتاب الرواية العرب. فهو في قيمة هيكل والمازني وليس في مثل أهمية محفوظ على سبيل المثال. كما أننا لا نستطيع أن ننفي أن طه حسين كاتب قصصي.

أما عن السؤال الأخير، فإن طه حسين ذو مساهمات في فن الرواية العربية، غير أنه ظل في مضمونه عاديا، أي لم يلتزم بهذا الفن الذي كان بإمكانه أن يرى فيه خلقا لواقع جديد، وأكثر الفنون قدرة وزخما في التعبير عن هذا العصر وقضايا الوطن. أما من حيث الشكل الفني فقد رأى الباحث أن في تنوع أساليب قصصه لمحة من تطور، فلو نظرنا إلى أسلوبه الذي يعتمد السيرة، وإلى اعتماده التاريخ والأسطورة والواقع وحياته الخاصة، لحكمنا له بمساهمة لا بأس بها.

من كل ما تقدم، يرى الدارس أن هذا التلخيص لموضوع بحثه لا يغني عن التعرف بكثير من التفصيل على أعمال طه حسين، ولا يغني عن التماس معها، وفهمها في ظل العصر، وحياة الرجل، وموقعه بين معاصريه، والظلال التي ألقاها بعد رحيله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

مؤلفات طه حسين

ثانيا : المراجع :

أ : عن طه حسين .

ب : عامة .

جـ : مترجمة .

د : أجنبية .

هـ : الدوريات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

مؤلفات طه حسين :

١ . أديب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
٢ . أحاديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ .
٣ . أحلام شهرزاد ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .
٤ . الحب الضائع ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ .
٥ . الفكر والفن في أدب يوسف السباعي ، (طه حسين وآخرون) دار الفكر (؟) .
٦ . القصر المسحور ، (بالاشتراك مع توفيق الحكيم) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .
٧ . الأيام ، الجزء الأول ، مطبعة أمين عبد الرحمن ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٩ .
٨ . الأيام ، الجزء الثاني ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٩ .
٩ . الأيام ، الجزء الثالث ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ .
١٠ . ألوان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ .
١١ . الوعد الحق ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٥٠ .
١٢ . أوديب ثيسيوس ، (ترجمة طه حسين) دار المعارف للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .
١٣ . بين بين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٣ .
١٤ . جنة الحيوان ، مطابع جريدة المصرى ، مصر ، (؟) .
١٥ . جنة الشوك ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، (؟) .
١٦ . حديث الأربعاء ، الجزء الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٢٦ .
١٧ . حديث الأربعاء ، الجزء الثاني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .
١٨ . حديث الأربعاء ، الجزء الثالث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
١٩ . خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ .
٢٠ . خواطر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧ .
٢١ . دعاء الكروان ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٩٧٤ .
٢٢ . ذكرى أبي العلاء ، مطبعة المعاهد ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣. رحلة الربيع، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٨ .
٢٤. رحلة الربيع والصيف، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤ .
٢٥. شجرة البؤس، دار المعارف بمصر، ١٩٥٦ .
٢٦. صوت أبي العلاء، مكتبة المعارف، القاهرة، ١٩٤٤ .
٢٧. صوت باريس، الجزء الأول، مطبعة المعارف ومكتبتها في مصر، ١٩٤٣ .
٢٨. على هامش السيرة، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣ .
٢٩. على هامش السيرة، الجزء الثاني، دار المعارف ١٩٦٣ .
٣٠. على هامش السيرة، الجزء الثالث، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤ .
٣١. فصول في الأدب والنقد، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٩٤٥ .
٣٢. في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٤٦ .
٣٣. كلمات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧ .
٣٤. لحظات، الجزء الأول، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (؟).
٣٥. لحظات، الجزء الثاني، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (؟).
٣٦. ما وراء النهر، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ .
٣٧. مراة الأسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ .
٣٨. مراة الضمير الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣ .
٣٩. مع المتنبي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢ .
٤٠. من أدب التمثيل الغربي، دار المعلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ .
٤١. من أدبنا المعاصر، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٥٨ .
٤٢. من بعيد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧ .
٤٣. من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥ .
٤٤. من لغو الصيف، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩ .
٤٥. من لغو الصيف إلى جد الشتاء، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ .
٤٦. من هناك، سلسلة الكتاب الذهبي، روز اليوسف، القاهرة ١٩٥٥ .
٤٧. نقد وإصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٠*.

---

* أورد الدارس هذه المجموعة من مؤلفات طه حسين باعتبارها مصادر للدراسة، أما ما تبقى من كتب طه حسين فقد اطلع عليها الباحث لاغراض البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : المراجـــــع.

أ ـ عن طه حسيـــــن*

١. ثروت أباظة : شعاع من طه حسين ، دار روز اليوسف ، ١٩٧٤ .

٢. جمال الدين الالوسي : طه حسين بين أنصاره وخصومه ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، ١٩٧٣ .

٣. حمدى السكوت ومارسدن جونز : أعلام الأدب المعاصر في مصر (طه حسين ، قسم النشر بالجامعة الاميركية بالقاهرة ، ١٩٧٥ .

٤. سامح كريم : طه حسين : حياته وأعماله ، ملحق مجلة الاذاعة والتلفزيون ، مصر ، ١٩٧٤ .

٥. سامي الكيالي : مع طه حسين ، الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦. ـــــ : مع طه حسين ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٧. سهير قلماوى : ذكرى طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .

٨. عبد الرحمن بدوى : إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (مقدمه عن حياته وأعماله ومجموعة دراسات مهداة من تلاميذه) . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

٩. كمال الملاخ : قاهر الظلام ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

١٠. كمال قلته : طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ .

١١. مجموعة من الدارسين : طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، دار الهلال . (؟) .

١٢. مجموعة من الدارسين : طه حسين وقضية الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

١٣. Istitute Universitarie-Orientale: Taha Husein, Napolge, 1946.
وهو مجموعة دراسات لعدد من المشرقين الايطاليين .

١٤. Cachia, Pierre Taha Husayn: His place in the Egyptian literary Renaissance, London, 1965

---

* لم يورد الباحث هنا الكتب التي ألفت في السرّد على كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - عامـــــــــــة

١. ابراهيم سلامة : تيارات ادبية بين الشرق والغرب، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولـــى ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

٢. ابراهيم المازني : قبض الريح ، المطبعة المصرية بالفجالة ، ١٩٢٧ .

٣. احسان عباس: فن السيرة ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ .

٤. أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، الجزء الأول ، كتاب روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٥. احمد عبد الغفار : حديث في الكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٧ .

٦. أحمد كمال زكي : النقد الأدبي الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

٧. أحمد هيكل : الأدب القصصي والمسرحي في مصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ .

٨. ـــــ : تطور الأدب الحديث في مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٨ .

٩. اسماعيل مظهر : في النقد الأدبي ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ .

١٠. إميل حبيبي : الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٤ .

١١. أنور الجندي : الممارك الأدبية ، مطبعة الرسالة ، (؟) .

١٢. ـــــ : الحساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة ، دار المعرفة ، القاهرة . (؟) .

١٣. ـــــ : القصة العربية المعاصرة . أدب المرأة العربية ، تطور الترجمة ، مطبعة الرسالة (؟) .

١٤. أنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية الحديثة في العالم العربي الحديث ، الجزء الثاني ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٥. ـــــ : الفنون الأدبية وأعلامها ، دار الكاتب العربي (؟)

١٦. ـــــ : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ .

١٧. توفيق الحكيم : شهرزاد ، المطبعة النموذجية ، مصر ، (؟) .

١٨. جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

١٩. جمال الدين الرمادي : أعلام الأدب العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، (؟) .

٢٠. جورج سالم : على هامش الأدب العربي ، مكتبة الشرق ، حلب ، ١٩٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١. جورج سالم : المغامرة الروائية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٧٣ .

٢٢. حسام الخطيب: أبحاث نقدية ومقارنة ، دار الفكر ، ١٩٧٣ .

٢٣. حسين مروّة : دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٥ .

٢٤. حسين القباني : فن كتابة القصة القصيرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، (؟) .

٢٥. خلدون الشمعة : الشمس والعنقاء ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٧٤ .

٢٦. خير الدين الزركلي : رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، مقدمة بقلم طه حسين ، المطبعة العربية بمصر ، ١٩٢٨ .

٢٧. خيري شلبي : محاكمة طه حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٢٨. درويش الجندي : الرمزية في الأدب العربي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨ .

٢٩. رئيف خوري : الأدب المسؤول ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ .

٣٠. رجاء النقاش: كلمات في الفن ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ .

٣١. ـــــ : أصوات غاضبة في الأدب ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ .

٣٢. ـــــ : أدباء معاصرون ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

٣٣. ـــــ : أدباء ومواقف ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ،

٣٤. زكريا ابراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، (؟) .

٣٥. زكي مبارك : البدائع ، الجزء الثاني ، المكتبة المحمودية التجارية ، ١٩٣٥ .

٣٦. سامي الدهان : درب الشوك ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٣٧. سامي الكيالي : من خيوط الحياة ، المطبعة التجارية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٣٨. سيد حامد النساج : "تطور فن القصة القصيرة في مصر" ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

٣٩. سيد قطب: النقد الأدبي ، اصوله ومناهجه ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ .

٤٠. ـــــ : كتب وشخصيات ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٦ .

٤١. شاكر مصطفى : محاضرات عن القصة في سوريا ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨ .

٤٢. شكري عياد : القصة القصيرة في مصر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٣. شكرى عيـاد : الأدب في عالم متغير ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

٤٤. ـــــ : تجارب في الأدب والنقد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشـــر ، القاهـــرة ، ١٩٦٧ .

٤٥. شكرى فيصل : مناهج الدراسة الأدبية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعـــة الثالثة ، ١٩٧٣ .

٤٦. شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦ .

٤٧. ـــــ : الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، (؟) .

٤٨. طه وادى : مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعـة الأولـى ، ١٩٧٢ .

٤٩. الطيب صالح : موسم الهجرة إلى الشمال ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ .

٥٠. عباس خضر : قصص اعجبتني ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١ .

٥١. عباس العقاد : ردود وحدود ، تحرير الحساني حسن عبد الله ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (؟) .

٥٢. ـــــ : ساعات بين الكتب ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى

٥٣. عبد الالة أحمد : نشأة القصة وتطورها في العراق ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٩ .

٥٤. عبد الحميد ابراهيم : القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث ، دار المعارف بمصر ، المطبعة الأولى ، ١٩٧٣ .

٥٥. عبد الحميد السحار : القصة من خلال تجاربي الذاتية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .

٥٦. ـــــ : همزات الشياطين - مصدر وبحث واف عن الرواية والأقصوصـة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ١٩٤٦ .

٥٧. عبد الحميد يونس : فن القصة القصيرة ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ .

٥٨. عبد الحي دياب : التراث النقدى قبل مدرسة الجيل الجديد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٥٩. عبد الرحمن ابو عوف : البحث عن طريق جديد للقصة المصرية ، الهيئة المصريـة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٠. عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٤٥ .

٦١. عبد الرحمن ياغي: الجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ، دار العودة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢ .

٦٢. ـــــــ: مقدمة في دراسة الأدب العربي الحديث، المطبعة الاردنية، عمان، ١٩٧٥ .

٦٣. عبد المحسين بدر: تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ .

٦٤. عدنان بن ذريل: أدب القصة في سوريا، منشورات دار الفن العالمي الحديث مطبعة الأيام، دمشق. (؟).

٦٥. عز الدين الأمين: نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، بالفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ .

٦٦. عز الدين اسماعيل: روح العصر: دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢ .

٦٧. عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، الجزء الثاني، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٤ .

٦٨. علاء الدين وحيد: مسرحيات في الوهج والظل، دار الهلال، ١٩٧٦ .

٦٩. على الراعي: دراسات في الرواية المصرية، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤ .

٧٠. على جواد الطاهر: في القصص العراقي المعاصر، دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧ .

٧١. غالي شكري: الرواية العربية في رحلة العذاب، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧١ .

٧٢. فاظمة موسى: في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٧٢ .

٧٢. فؤاد دوآرة: عشرة ادباء يتحدثون، دار الهلال، ١٩٦٥ .

٧٣. ـــــــ: في الرواية المصرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ .

٧٤. فؤاد كامل: اندريه مالرو: شاعر الغربة والنضال، دار المعارف، مصر (؟).

٧٥. فاروق خورشيد: في الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق الطبعة الثانية، ١٩٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦. فتحي الابياري : فن القصة عند محمود تيمور، مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.

٧٧. كامل الشناوي : زعماء وفنانون وأدباء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.

٧٨. لويس عوض: تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، ١٩٦٩.

٧٩. ـــــ : ثقافتنا في مفترق الطرق، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٤.

٨٠. ـــــ : الحرية ونقد الحرية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.

٨١. ـــــ : دراسات في أدبنا الحديث، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١.

٨٢. ماهر حسن فهمي : السيرة : تاريخ وفن، مكتبة النهضة، المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

٨٣. محمد حسن خلف الله : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤٥.

٨٤. محمد حسين عبد الله : مقدمة في النقد الأدبي، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥.

٨٥. محمد حسين هيكل : ثورة الأدب، مطبعة مصر، (؟).

٨٦. محمد حسين هيكل : زينب : مناظر وأخلاق ريفية، كتاب الهلال، الطبعة الثالثة،

٨٧. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر، (؟).

٨٨. محمد السباعي : الفيلسوف (مقدمة بقلم طه حسين) الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٧.

٨٩. محمد عبد الغني حسن : التراجم والسير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥.

٩٠. محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه : الحلقة الأولى، القاهرة، ١٩٦٨.

٩١. محمد عطا : رأي في ادبنا المعاصر، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٨.

٩٢. محمد عوض: افكار ضد الرصاص، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤.

٩٣. محمد مندور : في الميزان الجديد، مكتبة لهضة مصر، الطبعة الثانية، (؟).

٩٤. محمد المويلحي : حديث عيسى بن هشام، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٥. محمد نصر: أدباء في صور صحفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (؟).

٩٦. محمد النويري: ثقافة الناقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٤٩.

٩٧. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥.

٩٨. ـــــ: القصة في الأدب العربي الحديث، المكتبة الاهلية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦١.

٩٩. محمود أمين العالم: الثقافة والثورة، دار الاداب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠.

١٠٠. ـــــ: تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.

١٠١. محمود تيمور: اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، مكتبة الاداب، ومطبعتها بالجماميز، القاهرة، ١٩٧٠.

١٠٢. ـــــ. الشخصيات العشرون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.

١٠٣. ـــــ دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الاداب ومطبعتها بالجماميز، القاهرة، (؟).

١٠٤. ـــــ فن القصص، دار الهلال، ١٩٤٨.

١٠٥. ـــــ ملامح وقضون، مكتبة الاداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، ١٩٥٠.

١٠٦. محمود حامد شوكت: الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، دار الفكر العربي، ١٩٦٣.

١٠٧. محمود الربيعي: قراءة الرواية، نماذج من شخصيات نجيب محفوظ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، (؟).

١٠٨. محمود السمرة: في النقد الأدبي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤.

١٠٩. ـــــ: النقد الأدبي الحديث، دراسة مقارنة، محاضرات على طلبة الدراسات في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية للعام الدراسي ١٩٧٣، ١٩٧٤ (مخطوطة).

١١٠. محمود طاهر حقي: عذراء دنشواي، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١١. محمود طاهر لاشين : سخرية النـاى ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهـرة ، ١٩٦٤ .

١١٢. ـــــ : يحكى أن ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

١١٣. محمود عـــوض : شخصيـات ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ .

١١٤. منصور الحازمـي : محمد فريد ابو حديد كاتب الرواية ، مطابع الجزيرة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ .

١١٥. نبيل راغـــب : فن الرواية عند يوسف السباعي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، (؟) .

١١٦. ـــــ : قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١١٧. نجيب محفـوظ : اللص والكلاب ، مكتبة مصر ، ١٩٦٤ .

١١٨. ـــــ : بين القصرين ، مكتبة مصر ، ١٩٦٠ .

١١٩. ـــــ : قصر الشوق ، مكتبة مصر ، (؟) .

١٢٠. ـــــ : السكّريـة ، مكتبة مصر ، ١٩٦٢ .

١٢١. نزيه الحكيـــم : محمود تيمور رائد القصة المصرية ، مطبعة النيل ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

١٢٢. نعمات أحمد فؤاد : أدب المازني ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانيـــة ، ١٩٦١ .

١٢٣. ـــــ : قصـم أدبية ، الناشر : عالم الفكر ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٢٤. يحي حقـــي : انشودة البساطة ، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (؟) .

١٢٥. ـــــ : خطوات في النقد ، مطبعة المدني ، (؟) .

١٢٦. ـــــ : فجر القصة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٢٧. يوسف ادريـــس : لغة الآي آي ، دار العودة ، بيروت ، (؟) .

١٢٨. يوسف الشارونـي : دراسات في الرواية والقصة القصيرة ، مكتبة الانجلو المصريـة ، ١٩٦٧ .

١٢٩. ـــــ : الرواية المصرية المعاصرة ، دار الهلال ، ١٩٧٣ .

١٣٠. يوسف عز الديـن : الرواية في العراق : تطورها واثر الفكر فيها ، قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ، ١٩٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - مترجمـــــــــــة

١ . فورستر، أ.م : أركان القصة، ترجمة كمال عياد، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، ١٩٦٠.

٢ . ميور، ادوين : بناء الرواية، ترجمة ابراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (؟).

٣ . حوراني، البرت: الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، دار النهـــار بيروت، (؟).

٤ . تيـــت، ألان : دراسات في النقد، ترجمة عبد الرحمن ياغي، مكتبة المعـــارف بيروت، ١٩٦١.

٥ . جيد، أندريه : الباب الضيق، ترجمة نزيه الحكيم، دار الهلال، ١٩٦٨.

٦ . كروكشانك، جورج : ألبير كامي وأدب التمرد، ترجمة جلال العشرى، دار الوطـــن العربـــي (؟).

٧ . البيريس، ر.م : تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، منشورات عويـــدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧.

٨ . همفرى، روبرت : تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة محمود الربيعي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، (؟).

٩ . ويليك، رينيه : نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرابيشي، واوستن وارن دمشق، ١٩٧٢.

١٠ . جب، هملتون : دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس ومحمد يوســـف نجم، ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت. (؟).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ أجنبيـــــــــه

1. Cachia, Pierre: Taha Husayn: His place in the Egyptian Literary Renaissance, London, 1965.

2. Haywood, John.A: Modern Arabic Literature 1800-1970 Lund Humphries, London, 1971.

3. Istitute Universitarie-Orientale: Taha Husein, Napolie, 1946.

4. Khemire, Taher and D.G. Kampffmeyer: Leaders in Contemparary Arabic Literature, Leipzig, 1930.

5. Semah, David: Four Egyptian Literary Critics, Leiden, E.J. Brill, 1974.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - الدوريـــــات

الاداب ،العدد الأول ،السنة الثامنة ،كانون الثاني ١٩٥٤ ،(بيروت) .

الاداب ،العدد الثاني ،السنة الثانية ،شباط ١٩٥٤ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد السابع،السنة الثانية ،تموز ١٩٥٤ ،(بيروت) .

الاداب ،العدد الحادى عشر ،السنة الثانية ،تشرين الثاني ١٩٥٤ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الاول ،السنة السادسة ،كانون الثاني ١٩٥٨ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الاول ،السنة السابعة ،كانون الثاني ١٩٥٩ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الثالث،السنة الحادية عشرة ،آذار ١٩٦٣ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الحادى عشر ،السنة السابغة عشرة ،تشرين ثاني ١٩٦٩ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الاول ،السنة التاسعة عشرة ،كانون الثاني ١٩٧١ ، (بيروت) .

الاداب ،العدد الثالث، السنة الثانية والعشرون ،آذار ١٩٧٤ ، (بيروت) .

الاديب ،الجزء السادس،المجلد الثالث،السنة الثانية عشرة، ١٩٥٣ ، (بيروت) .

الاديب ،الجزء الثاني ،المجلد الثالث،السنة الثانية عشرة، ١٩٥٣ ، (بيروت) .

اكتوبـــر ،العدد الأول ، ٣١ أكتوبر، ١٩٧٦ ،القاهرة.

الاقلام ،العدد الرابع،السنة التاسعة، ١٩٧٤ ، (بغداد) .

البـــلاغ ،العدد التاسع والثلاثون ، ٢ تشرين الاول ، ١٩٧٢ ، (بيروت) .

البـــلاغ ،العدد الثامن والثمانون ، ١٠ أيلول ، ١٩٧٣ ، (بيروت) .

الثقافة ،العدد الرابع والستون ،السنة الثانية ، ١٩ آذار ١٩٤٠ ، (القاهرة) .

الثقافة ،العدد ٢١٩ ،السنة الخامسة ، ٩ آذار ١٩٤٣ ، (القاهرة) .

الثقافة ،العدد ٦٣٦ ،السنة الثالثة عشرة ، ١٩٥١ ، (القاهرة) .

الثقافة العربية ،العدد الاول ،تشرين الثاني ، ١٩٧٣ ، (طرابلس ــ ليبيا) .

الثقافة العربية، ،العدد التاسع،تموز، ١٩٧٤ ، (طرابلس ــ ليبيا) .

الثقافة العربية ،العدد الرابع،شباط، ١٩٧٥ ، (طرابلس ــ ليبيا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجديد ،العدد الثامن ، ١٩٧٢ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد العاشر ، ١٩٧٢ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد الخامس والاربعون ، ١٩٧٣ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد الرابع والخمسون ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد الثامن والستون ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد التاسع والستون ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .
الجديد ،العدد الثامن والسبعون ، ١٩٧٥ ، (القاهرة) .

حوار ،العدد الاول ، ١٩٦٠ ، (بيروت) .

الدوحة ،عدد مايو ، ١٩٧٦ ، الدوحة ،

روز اليوسف ،عدد ٢٨ اكتوبر ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .

الرسالة ،عدد ٢ نوفمبر ، ١٩٣٦ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ٣٨٩ ، ١٦ ديسمبر ، ١٩٤٠ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ٤٦٦ ، ٨ يونيو ، ١٩٤٢ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ٥٠٨ ، ٢٩ آذار ، ١٩٤٣ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ٥٤٧ ، ٢٧ ديسمبر ، ١٩٤٣ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ٨٦٠ ، ٢٦ ديسمبر ١٩٤٦ ، (القاهرة) .
الرسالة ،العدد ١٠٩٩ ، فبراير ١٩٦٥ ، (القاهرة) .

السياسة الاسبوعية ،عدد ٥ نيسان ١٩٣٠ ، (القاهرة) .

الطليعة ،العدد الثاني عشر ، ١٩٧٥ ، (القاهرة) .

عالم الفكر ،العدد الثالث ، المجلد الثالث ، ١٩٧٢ ، (الكويت) .
عالم الفكر ،العدد الثالث ، المجلد السادس ، ١٩٧٥ ، (الكويت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي ،العدد ١٨٦، ١٩٧٤، (الكويت) .
العربي ،العدد ١٨٩، ١٩٧٤، (الكويت) .

القصة ،عدد ٥/١٠/١٩٤٩، (القاهرة) .
القصة ،عدد ٢٠/١٠/١٩٤٩، (القاهرة) .
القصة ،عدد ٥/١١/١٩٤٩، (القاهرة) .
القصة ،العدد الاول ،السنة الاولى ،١٩٦٤، (القاهرة) .
القصة ،العدد الثاني ،السنة الاولى ،١٩٦٤، (القاهرة) .
القصة ،العدد الثالث، ١٩٧٥، (القاهرة) .
القصة ،العدد الثامن، ١٩٧٥، (القاهرة) .

الكاتب ،العدد ١٦٤، ١٩٧٤، (القاهرة) .

الكاتب المصرى ،العدد الرابع عشر ،المجلد الرابع ،السنة الثانية، ١٩٤٦، (القاهرة) .
الكاتب المصرى ،العدد الخامس عشر ،المجلد الرابع ،السنة الثانية، ١٩٤٦، (القاهرة) .
الكاتب المصرى ،العدد السادس عشر ،المجلد الرابع ،السنة الثانية، ١٩٤٧، (القاهرة) .
الكاتب المصرى ،العدد السابع عشر ،المجلد الخامس ،السنة الثانية، ١٩٤٧، (القاهرة) .
الكاتب المصرى ،العدد ١٩٥٤، ١٩٧٤، (القاهرة) .

المجلة ،العدد السابع والستون، ١٩٦٢ .
المجلة ،العدد الرابع، ١٩٦٣ .
المجلة ،العدد السادس والسبعون، ١٩٦٧ .
مجلة الجامعة الاسلامية ،العدد الاول ،السنة الثامنة، ١٩٧٥، (المدينة المنورة) .

المعرفة ،العدد ١٤٦، ١٩٧٤، (دمشق) .
المعرفة ،العدد ١٥٣، ١٩٧٤، (دمشق) .
المعرفة ،العدد ١٥٨، ١٩٧٥، (دمشق) .
المعرفة ،العدد ١٦٣، ١٩٧٥، (دمشق) .
المعرفة ،العدد ١٦٦، ١٩٧٥، (دمشق) .
المعرفة ،العدد ١٧٣، ١٩٧٦، (دمشق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف الادبي ،العددان السابع والخمسون والثامن والخمسون ، ١٩٧٦ ، (دمشق) .
الموقف الادبي ،العددان التاسع والخمسون والستون ، ١٩٧٦ ، (دمشق) .

الهلال ،العدد الاول ،أول مارس، ١٩٣٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الاول ،أول نوفمبر ، ١٩٣٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،عدد اول مايو ،الجزء السابع ،السنة ٤٣ ، ١٩٣٥ ، (القاهرة) .
الهلال ،عدد اول مايو ،الجزء السابع ،السنة ٥١ ، ١٩٣٥ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الاول ،السنة السادسة والاربعون ، ١٩٣٨ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الثاني ،السنة الخمسون ، ١٩٤٢ ، (القاهرة) .
الهلال ،عدد اول آذار ،الجزء الثاني ،السنة الحادية والخمسون ، ١٩٤٣ ،(القاهرة) .
الهلال ،عدد اول ايار ،الجزء الثاني ،السنة الحادية والخمسون ، ١٩٤٣ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الخامس ،السنة الثالثة والخمسون ، ١٩٤٥ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الخامس ،السنة السادسةوالستون ، ١٩٥٨ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد العاشر ،السنة الثانية والسبعون ، ١٩٦٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الحادى عشر ،السنة الثانية والسبعون ، ١٩٦٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الخامس ،السنة الثالثة والسبعون ، ١٩٦٥ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الثاني ،السنة الرابعة والسبعون ، ١٩٦٦ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الخامس ،السنة الثمانون ، ١٩٧٢ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الخامس ،السنة الحادية والثمانون ، ١٩٧٣ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الرابع ،السنة الحادية والثمانون ، ١٩٧٣ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الحادى عشر ،السنة الثانية والثمانون ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الثاني عشر ،السنة الثانية والثمانون ، ١٩٧٤ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الرابع ،السنة الثالثة والثمانون ، ١٩٧٥ ، (القاهرة) .
الهلال ،العدد الحادى عشر ،السنة الرابعة والثمانون ، ١٩٧٦ ، (القاهرة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This thesis is an attempt to study the novel in Ṭāhā Ḥusain's works, his theory in the art of fiction and his place in the development of modern novel writing in the Arab World.

The Thesis consists of an introduction in which the author clarifies his method, objectives and sources.

The whole subject matter was dealt with in five chapters:

Chapter 1: Ṭāhā Ḥusain: the man and the writer.

In this chapter, the author sheds light on Taha Husain's life and personality and tries to introduce the readers to his literary works. In addition, this chapter helps the author to study closely the novel in Taha Husain's works.

Chapter 2: The Arabic Novel before Ṭāhā Ḥusain.

Here is a quick survey of the development of the Arabic Novel since its inception in the second half of the 19th century until it reached its maturity in the present century.

Chapter 3: Ṭāhā Ḥusain and the Art of Fiction.

An introduction to Ṭāhā Ḥusain's art of fiction through his critical studies of Arab and Western Novels.

Chapter 4: Ṭāhā Ḥusain's novels.

Here is an analysis of his novels with respect to their content. The main structure of this analysis is as follows:

.../2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- Biography and novel: Al-Ayyam and Adib.

2- Realist novels: Duʿāʾ al-Karawan, shajarat al-Buʾs Al-Muʿadhabūn Fīal-Arḍ.

3- Mythology: Al-Qasr al-Mashūr, Aḥlām shahrazād.

4- Historical novels: ʿAla-Hāmish-al-Sīrah, Al-waʿd al-Ḥaqq.

5- Romantic novels: Al-Ḥubb al-Ḍāʾiʿ.

6- Novelette and short stories: Ma warāʾ al-Nahr; other works.

Chapter 5: Structure and form in Ṭāhā Ḥusain's novels.

The author discusses here the events, characters, plots, style and other characteristics of the form used in his novels.

Conclusion:

The conclusions reached as a result of this study are the following:

1- No one theory belongs to Ṭāhā Ḥusain but the fact is that he has several ideas about the art of fiction.

2- Ṭāhā Ḥusain is in fact a novelist but has a unique way of writing the novel. He wrote novels, short stories during the period 1926-1950.

3- Ṭāhā Ḥusain is a contributor to the development of the Arabic art of fiction, but this does not make him a pioneer in this field, especially with respect to structure.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit